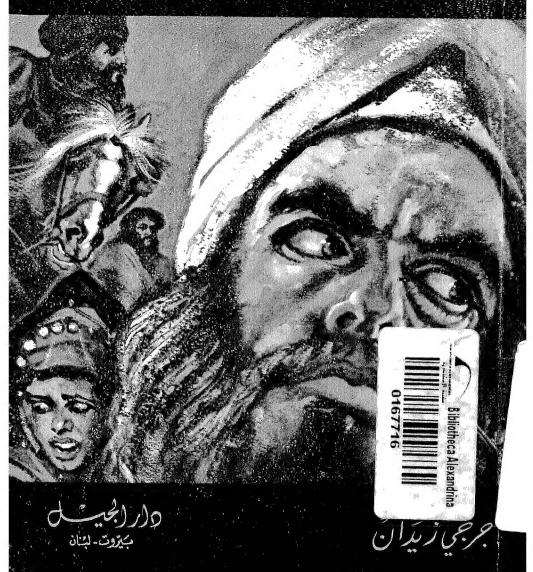
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

# عبر المعلق الحيارة الموسف المعلق ا المعلق المعلق





Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

## رِّنُولْنَاتِّ تَكْنِيجُ إِللْإِنْدِلِيْنَ

# الحجاج بن وسيف

تتضمن حصار مكة على عهد عبد الله بن الزبير الى فتحها ومقتله وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان م مع مسا يتخلل ذلك مسن وصف مكسة والمدينسسة

و(ر (بجیسٹ ل میتزوت۔ ابنان ممين الفنة تمعنظت لداد الجيل الطبعة الثانية iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versio

### ابطال الرواية

: ابن الزبير بن العوام \* عبد الله بن الزبير : احد ملوك بني أمية پر عبد الملك بن مروان : عامل عبد الملك على العراق 🙀 الحجاج بن يوسف الثقفي : بنت الحسين بن على ير سكينة بنت الحسين : الشباعرة المشبهورة \* ليلي الاخيلية ير عزة الميلاء : زعيمة الغناء بالمدينة : من فتيات المدينة ير سمعة بنت عرفجة الثقفي : من اهل العراق ير حسن خطيب سمية : اخو الحسين بن على 💉 محمد بن الحنفية : من اتباع ابن الزبير ير عبد الله بن صفوان

## مراجع رواية الحجاج بن يوسف

هذه هي المراجع التي اعتبد عليها المؤلف في باليف الروايه ووعائمها التاريخية :

★ صفوه الاعتبار ﴿ المستطرف

★ مراسد الالملاع ﴿ الدر المنثور

★ الاغاني لابي الفرج الاصفهائي ﴿ مشكاة المصابيح

★ التقويم العام

★ البيان والتبيين ﴿ مقدمة ابن خلدون

★ ماريخ: ابن هشام \_ ابن الاثير \_ ★ أسد الغابة
 الدميري \_ ابن خلكان \_ الفخري ★ العقد الفريد

#### - 1 -

#### فذلكة تاريخية

انتهينا في رواية «غادة كربلاء» الى مقتل الحسين بن عاي وأهله في كربلاء بجوار الكوفة ، وما تلا ذلك من وعاة يزيد بن معاوية سنة ٢٤ هـ، وكان عبد الله بن الزبير ما زال في مكة يدعو الى بيعته وقد خلا له الجو بعد موت الحسين ، وكان يزيد قد بعث لقتاله جندا بقيادة الحصين بن نسير ، فحاصروه بمكة ، ثم جاء الخبر بوفاة يزيد وهم في الحصار ، ولم يكن من ابناء يزيد من يصلح المخلافة ، فرأى الحصين ان الامسر لا يستنب الا بمبايعة عبد الله بن الزبير ، فطلب اليه ان يحقن الدماء ويقدم معه الى الشام ليبايعه فأبى عبد الله ، فارتحل الحصين الى الشام بعن معه ودانت الحجاز لابن الزبير ،

اما اهل الشام فبايعوا بعد موت يزيد ابنه معاوية (الثاني) • ولكن هذا لم يعش الا اياما ، فاخلفوا فيمن يبايعون بعده • وكان من أمراء بني أمية وقتئذ مروان بن الحكم ، وقد تولى امارة المدينة في عهد يزيد ، فلما علم بموته عاد الى الشام ، فبايعوه • وكان شيخا طاعنا في السن ،

فتزوج أم خالد بن يزيد ليصغر نفس خالد عن طلب الخلافة ، ويكتسب حزبه • ولكنه لم يحكم الا تسعة اشهر وبضعة عشر يوما ، اذ خنقت ه امرأته هذه سنة ٦٠ هـ فولوا مكانه ابنه عبد الملك بن مروان • وفي ايام هذا الخليفة زهت دولة بني أمية وتأيد سلطانها •

وأما اهل الكوفة فانهم بعد مقتل الحسين ندموا على تخليهم عنه وقاموا يطالبون ابن زياد وأصحابه بدمه وسموا انفسهم التوابين •

وفي سنة ٦٦ هو ظهر في الكوفة رجل اسمه المختار بن ابي عبيد ، قام يطالب بدم الحسين ويدعو الناس الى بيعة ابن الزبير ، فحسارب الامويين وقتل قتلة الحسين وفيهم عبيد الله بن زياد وشمسر بن ذي الجوشن وخولي الاصبحي وعمر بن سعد وغيرهم وعلى انه ما لبث ان غير دعوته ، فأخذ يدعو الى بيعة محمد بن الحنفية اخي الحسين لابيه، وزعم ان جبريل يظهر له ، واتخذ كرسيا قال ان فيه سرا مثل سر تابون العهد عند اليهود و

فلما استفحل امر المختار في الكوفة ودان له العراق ، اصبحت الخلافة يتنازعها ثلاثة : عبد الملك في الشام ومصر ، والمختار في العسراق والكوفة ، وعبد الله بن الزبير في الحجاز ، وغضب عبد الله عالمنتار لنقضه بيعته فبعث لقتاله جندا بقيادة اخيه مصعب بن الزبير ، فقتلوه ودانت العراق لعبد الله ، ولم يبق لبني أمية غير الشام ومصر ، ولكن عبد الملك بن مروان ما لبث ان حمل على مصعب في العراق بجند كثيف فقتله سنة ١٧ ه، واسترجع العراق ، وبعث جندا الى الحجاز فقتح المدينة ، ثم أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي في جند لفتح مكة وفيها عبد الله بن الزبير ، فحاصرها وطلب الى عبد الله ان يسلم فأبى ، فدخلت سنة ٣٧ وابن الزبير محصور في مكة وقد قل زاده وفارقه رجاله، ومن هنا تبدأ حوادث هذه الرواية ،

#### عزة الميلاء وليلي الأخيلية

المدينة او «يشرب» هي مدينة الرسول وفيها قبره ومسجده وكان يحيط بها سور وخندق ، وهي واقعة في منبسط من الارض تكتنفها الآبجام والغياض ، وتتخلل ابنيتها البساتين والحدائق وأكثر مغارسها من النخل و وقد عمرت في صدر الاسلام ، حتى كانت ايام يزيد بن معاوية فهاجر منها كثير من اهلها لكثرة الفتن والحروب في ايامه ، ولكنها ما زالت آهلة بالناس ، وفيها اهل البيت ،

وكان من اهل المدينة في اواسط القرن الاول للهجرة مغنية يقال لها «غزة الميلاء» • وكانت مولاة للانصار ، وهي اقدم من غنى الغناء الموقع من النساء في الحجاز • وقد سميت «الميلاء» لتمايلها في مشيتها لفرط سمنها • وكان العود حديث العهد عند العرب فأجادت العزف عليه ، عدا ما كانت تحسنه من العزف بالمزاهر وبقية آلات الطرب ، وكانت جميلة الوجه ظريفة اللسان كريمة الخلق سخية النفس لا يقدم قادم الى المدينة الا التمس ان يراها ويسمع غناءها •

وكان العرب يومئذ لا يعدون الغناء من الصنائع اللائقة بأهل الشرف، على ان عزة كانت مع ذلك ذات دين حسن وهيبة ووقار ، اذا جلست للغناء في حفل عام ، أنصت لها الحاضرون وكأن الطير على رؤوسهم .

وكانت دارها في اقصى شمال المدينة مما يلي طريق الشام ، يحيط بها بستان من النخيل تتخلله اشجار الفاكهة من البرتقال والتفاح ، وعليب سور قليل الارتفاع له باب بمصراع واحد في وسطه خوخة ، وفسسي بعض جوانب البستان حظيرة مبنية من سعف النخل توضع فيها الدواب،

وللدار باحة كبيرة في كل جانبيها غرفنان ، وفي الصدر قاعة واسعـــة تجلس فيها عزة لمقابلة الزوار ، وفي باحة الدار نخلات متقاربة تظلل الباحة في اثناء النهار .

ففي يوم من ايام ربيع الآخر سنة ٧٧ للهجرة (وهو يوافق شهر أغسطس سنة ٢٩٣ م) قضت عزة الميلاء نهارها في بيتها • وكان يومسا شديد الحر ، والحر ثقيل هناك للرطوبة المتكاثفة مما يتصاعد من أبخرة المستقعات والاشجار • فلما دنت الشمس من الغروب دخلت الى مخدعها فأخرجت فارورة من الطيب فتطيبت ، وبدلت ثيابها فالتحفت مسلاءة معصفرة لونها اصفر زاه ، وكشفت النقاب عن رأسها لشدة فيحر مع خلو المكان من الرجال . وأرادت ان تناول عشاءها على سطح البيت نحت قبة السماء •

وكانت يومئذ في نحو الخسس من عمرها وقد تزايد سمنها وذهبت استدارة وجهها وارتخى خداها واستطالا الى أسفل الذقن ، وثقل يدنها حتى لم يكن في المدينة دابة تحملها • وكانت قلما ننتقل من ينتها والناس يفدون عليها لسماع غنائها او ضرب عودها ويحملون البها الامسوال والهدايا من الحلي والجواهر ، حتى ملان معصيها بالاساور والدمالج وطوقت عنقها بالعقود ، وضفرت شعرها بسلاسسل الذهب والدنانير ، وعلقت في أذنيها قرطين كبيرين يتناسبان مع حجم أذنيها لانهسا كانت كبيرتهما مع تناسب التكاسير • وكذلك آذان اهل الغناء والموسيقى في الغالب •

وكان الرجل من اهل الوجاهة اذا اراد التزوج بفتاة لا يعرفها استشار عزة ووسطها في خطبتها او استطلاع مدى جمالها وصحتها •

وكانت عزة قد قضت ذلك اليوم ولم تعمل عملا لشدة الحر ، وعندها فتاة من نزالة المدينة اسمها «سمية» كانت تحبها ونأنس بها • وكانت

الفتاة ترتاح الى عزة وتكاشفها بسرها وتستشيرها في امرها ، وقد جاءتها يومئذ وعليها ثوب احمر يكسوها كلها ، وكانت معتدلة القامة صحيحة الجسم اذا نظرت الى تقاطيع وجهها أفرادا لا ترى جمالا باهرا ، ولكن في عينيها ما يدل على الذكاء والحب ، وحول ثغرها ابتسامة تأخسسة بالعقول ، حتى كانت وهي في أشد اضطرابها قلما تبدو الكآبة في وجهها، وربما زاد ذلك في هيبتها ، وفي ذقنها اندفاع قليل الى الامام مع بروز ، وهو دليل الانعطاف ، وفي أنفها ذلف قليل يزيدها مهابة ، وكانت في نحو الثالثة والعشرين من عمرها ،

فلما ارادت عزة الصعود الى السطح امرت جارية لها ان تفرشسه بالابسطة وتعد عليه المائدة ، وأمسكت ضيفتها بيدها وقالت لها مداعبة : «هلم بنا الى السطح يا سمية واتركي الهموم جانبا ، وتعالي لأريك يثرب وضواحيها من سطح بيتي فانها من اجمل نما يكون ، ولا تعجلي فسسي العودة الى بينكم فما اظن أباك قد عاد اليه بعد» •

فمثت الفتاة وراءها وقد ارتاحت لقولها وأرادت نسيان ما يجول في خاطرها من دواعي الهموم ، وصعدتا على سلم من خشب كان يهتز تحت قدمي عزة ، حتى وصلتا الى السطح وقد انتهت الجارية من اعداد المائدة فجلست عزة وأجلست سمية الى جانبها ، ولاحظت انها ما زالت مضطربة البال فأرادت ان تصرف ذهنها الى شيء اخر فلم تر خيرا من ان توجه التفاتها الى ما يحيط بالمدينة من بساتين النخيل وما بينها من برك الماء والمستنقعات فقالت لها : «تأملي يا بنية في هذه البساتين الواسعة وراء مور المدينة فان نظرك لا يقف في اخرها الا على التلال البعيدة ، ولاسيما هذا الحبل ، وهو جبل احد الذي جرت فيه الوقعة الشهيرة بين النبي (صلعم) وقريش ، وذكر هذه الوقعة يؤلمني لان الغلب سبة فيها كانت للقرشيين وقتل من المسلمين سبعون رجلا وأصيب النبي بجراح وقتل للقرشيين وقتل من المسلمين سبعون رجلا وأصيب النبي بجراح وقتل

قالت سمية : «وهل شهدت تلك الوقعة ؟»

قالت: «كلا ، فقد حدثت منذ سبعين سنة فكيف أشهدها ؟» • ثم عادت الى اتمام كلامها عن تلك المناظر فقالت: «واني ليعجبني مناظر المياه حوالي غروب الشمس ، انظري الى هذه البحيرة فان ماءها ساكن كأنه صفحة من الفضة اللامعة ، وظلال النخيل تتراءى على شواطئها مقلوبة كأنها مردة من الجان غائصون في الماء» •

وكانت الشمس لما دنت من المغيب قد ارسلت أشعتها منحرفة على تلك المغارس فاستطالت ظلال النخيل وما زالت تستطيل وتضعف حنى اختلطت بالظلام .

وأما سمية فكانت تساير عزة فيما تقول وبصرها شائع في تلسك البحيرة بالرغم عنها والبصر اذا أطلق سراحه يطلب النور • وكان سطح البحيرة بعد ان غابت الشمس ما زال يلمع بفعل انعكاس الشفق عليه وظلال النخيل فيه واضحة عليه وضوح الخطوط السود على الصفحة البيضاء • وبعد قليل لم يعد يظهر للرائي غير سطوح المياه وما يبدو فيها من ظلال الاشجار •



اشتغلت عزة وسمية عن الطعام والكلام بالتأمل في ذلك المنظر البديع ثم همت عزة بالطعام ودعت سمية الى مشاركتها فيه ، وجعلت تقطع من لحم الدجاج وتناولها فتأكل وعيناها شاخصتان الى نلك المناظر ، ثم عادت عزة الى محادثتها فقالت لها : «مالي اراك صامتة يا سمية ، هل تفكرين في تأخر عودتك وتخافين ان ينقم عليك ابوك لهذا ؟ ، انه اذا علم انك عند عزة فلن يلومك » .

وتوقعت عزة ان تسمع من سمية جوابا ، ولكنها رأتها تحدق النظر في تلك البحيرة ، وآنست في وجهها بغتة وقد نوففت عن المضغ واللقمة لا نزال في فمها ، وقطبت حاجبيها وحددن بصرها ، فأعادت عزة سؤالها، فأجابتها سمية وهي تشير بيدها الى البحيرة : «كأني ارى النخيل تنتقل في الماء . . ما هذا . . ؟ ماذا ارى ؟»

فالتفتت عزة الى جهة البحيرة فرأت ظلالا تتحرك في الماء بين ظلال النخيل ، ولكنها لم تر الاشباح على الجرف لان الظلام حجبها بينسال انعكاس الشفق على سطح الماء ابداها فقالت: «انك ترين ظل شبح سائر بجانب البحيرة» و وتفرست عزة قليلا ثم قالت: «ان الذي نراه ظلل شبحين أظنهما فارسين مارين بين النخيل على حافة الجرف : لا بل هما جملان وعليهما رجلان و أليس كذلك ؟»

قالت سمية : «بلى ، هما جملان ، وبخيل الي انهما ماتيان علــــى سطح الماء !»

فضحكت عزة وقالت: «انك ترين ظليهما يا بنية ، وأرى الان شبحا ثالثا أظنه جملا ثالثا» ولم يمض قليل حتى توارت الاشباح فقالت عزة: «لا تقلقي ، ليس ما ترين الا أناسا أظنهم قادمين الى المدينة من دمنى وما هذه اول مرة رأيت مثل هذا المنظر ، فعودي الى طعامك فقد بـــرد الهواء وانفأت حمأة القيظ ، ومتى فرغنا من الطعام أسمعك صوتا تلقنته عن أستاذتي رائقة» •

فعادتا آلى الاكل وهما لا تتكلمان ؛ ولم تكادا تفرغان من الطعام حتى تكاثف الظلام واحتاجتا الى الضوء ، فصفقت عزة فجاء رجل في نحو الستين من عمره ما زالت آثار الجمال بادية فيه ، وهو نظيف النسوب حسن الهندام ، فلما رأته سمية غطت وجهها ، فضحكت عزة وقالت : «أتحتجبين من مخنث ؟» ، ولم تكن سمية قد عرفته في الظلام ،

وكان في المدينة جماعة كبيرة من هؤلاء المخنثين ، يخالطون النساء ،

وأكثرهم يحبون الغناء ويحسنونه • وكان من اراد خطبة امرأة سأل عنها احد المخنثين فيصفها له ، ثم بتوسط بينه وبينها حتى بتزوجها • وكان اكثر هؤلاء المخنثين يترددون على عزة ويتقربون اليها ليسنفيدوا منها تعلم الاصوات •

فلما وقف ذلك المخنث بين يديها قالت : «ما جاء بك يا طوبس ؟» فلما سمعت سمية اسم طويس قالت : «أطويس هذا ؟»

قالت : «هو بعينه . ولا تعجبي من انه جاء على غير موعد فان ذلك دأبه معنا» • ثم التفتت اليه وقالت : «يا طويس قل للجارية تضيء لنا الشموع فاننا سننزل بعد فليل» •

قال : «أفعل ذلك بشرط» •

قالت : «وما هو ؟»

قال : «تغنين لي شعرا على الهزج» .

قالت : «أتطلب أن أغني لك الهزَّج وأنت أهزج الناس ؟ ألا سألنني أن أغنى من الثقيل أو الرمل ؟»

فالُّ : «لا أبالي اي صوت وانما أقترح عليك شعرا تغنينه» •

قالت : «أفعل أن شاء الله . ولكني الحاف من وجهك فانه متنوم». قال : «وأكثر من مشئوم ، فان أمي ولدتني ليلة قبض النبي (صلعم).

وفطمت ليلة مات أبو بكر ، وبلغت الحلم ليلة فتل عمر ، وزففت الى اهلي ليلة قتل عشمان ، وولد لى يوم قتل علي !»

فضحكت عزة لخفة روحه وقالت له : «ارجو ألا يكمل شؤمك علينا الليلة ، فامض أعزك الله وافعل ما قلته اك» •

نزل طويس ، وبعد قليل نزلت عزة وسمية ودخلتا القاعة المعـــدة لاستقبال الاضياف ، وجلست عزة على مقعد ، والارض مفروتـــــة verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالطنافس وحولها الوسائد وقد اوقدت فيها السموع • وجلست سسبة بجانبها وعادت الى هواجسها • وأما طويس فانه تناول دفا مربعا كان معلقا على الحائط بين طائفة من الاعواد والمزاهر والدفوف . ورماه في حجر عزة •

فقالت : «ويلك ! ماذا ترىد ؟»

فال : «بأبي انت وأمي • أريد ان اسمع غناءك» •

فالت : «تسهل يا طويس ريشا أستريح» •

وفيما هي تكلمه سمعت هدير الجمال بقرب باب البسنان فقالت : «انظر يا طويس من جاءنا الليله ٥٠ انبي اخشى ان يكون شؤمك قسد وصل الينا» ٠

قالت سمية : «وأي شؤم تخافين ونحن في أمان ؟!»

قالت وقد خفضت صوتها: «ما أظتنا في أمان وأميرنا اليوم يأكل المخ ويأكل فوقه التمر على منبر رسول الله (صلعم) • اذهب يا طويس وانظر من القادم» •

فهرول طويس الى نعليه ولبسهما . ومشى وهو يتظاهر بالمجون في منسيته حتى قطع البستان وانتهى الى باب الدار وفتح خوخة الباب وأطل منها . فرأى جملين بجانبهما رجلان : احدهما قد تلتم بالكوفية والتف بالعباءة ، والآخر قصير غير ملثم يشبه ان يكون خادما • فقال لهما : «من التما وماذا تريدان ؟»

فأجابه الطويل بصوت كأنه هدير الجمل وفال : «أليس هذا بيت عزة الميلاء ؟»

قال : «بلی وماذا ترید منها ؟»

قال : «أريد الدخول اليها» •

قال : «ومن انت ؟ ألا اتسبت ؟»

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال: «لا أنتسب» .

قال : «أتريد الدخول وأنت ملثم كما ارى ؟!»

قال : «نعم» ٠

قال: «دعني أستأذن لك» وعاد طويس الى عزة وأخبرها بسا رآه و فلما سمعت سمية قوله تحفزت للقيام وقالت لعزة: «دعيني أنصرف الى ابي فقد طال مكثي عندك اليوم ، ولاسيما اني ارى رجالا قادمين اليك ولا يليق بى البقاء معهم» •

قالت: «لك الخياريا بنية ، ولكن اذا انصرفت فلا تطيلي الغياب، وليكن خروجك من الباب الخلفي للدار ، وذهابك من الطريق القريب الذي تعرفينه ، و فودعتها وانصرفت ، وجعل طويس يشيعها ببصره حتى توارت عنه ، ثم التفت الى عزة وأشار بضم انامله وزم تنفتيه الى انها جميلة ، فأومأت اليه ان يصمت ثم قالت: «اخرج الى الطارق واطلب اليه ان يريك وجهه او يذكر لك اسمه» ،

فذهب طويس وبعد غياب طويل عاد وهو يقول لعزة: «ان صاحبنا من اهل البادية ويهوى الفناء ، وقد جاء لسماع عزة الميلاء . وقد سألته عن اسمه فأبى ان يخبرني به ، ولما ألححت عليه قال انه لا يقول اسمه ولكنه أنشدني هذين البيتين:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها فليس اليها مـــا حييت سبيل لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليـــل

«وطلب ان أخبرك انه قائلهما» •

فلما سمعت عزة قول طويس بغتت وتبسمت ، ولولا ثقل بدنها لوثبت الى الباب لاستقبال ذلك الضيف ، فقال لها طويس : «ما بغتك

قالت : «ألا تعرف قائل هذا الشعر ؟»

قال : «كلا ••• ومن هو ؟»

قال : «أظنني لحظت ذلك فيه ، ولكن ماذا في هذا ؟»

قالت : «ويلك ! هذه ليلى الاخيلية الشاعرة وهذا الشعر شعرها وهي تكسر حرف المضارعة في لفظها ايضا» .

قال طويس : «اذا كانت هذه هي ليلى فقد تم حظنا ، لاني أسمع بشعرها وحديثها مع توبة الذي كان يهواها ، فهل ادعوها ؟»

قالت : «كيف لا وهي صديقتي ويندر ان تنزل الى المدن الا لحاجة ماسة لانها تقطن البادية» •

فأسرع طويس مهرولا حتى اتى الباب ففتحه ، ورحب بليلى وجعل ينظر الى قامتها ويلاحظ مشيتها وهي ملتفة بالعباءة وطولها يندر في النساء ، ولكنه لم يتمكن من رؤية وجهها لانها كانت ما زالت ملشمة فدخلت البستان وأشارت الى خادمها ان يدخل الجملين الى الحظيرة ومشت تخطر في مشيتها وطويس يمشي وراءها ويتأمل قامتها وحسسن مشيتها واللثام محيط برأسها ووجهها جميعا ،

فلما اقبلت على القاعة نهضت عزة وسارت لاستقبالها عند الباب وهي تقول: «مرحبا بليلى ، اهلا بك يا حبيبة ، لقد بالغت في الاختفاء حتى اسأنا معاملتك وأخرناك ، قالت ذلك وتناولت وسادة فوق السلط وثنتها وأجلستها عليها ،

فقالت ليلى بصوتها الجهوري الذي لا يكاد يشبه اصوات النساء : «لا بأس عليك ، وان لم يكن ذلك ذنبي لاني كنت أحسبك تعرفينني من

صوتی ولهجة كلامی» •

كَانَ طُويس واقَّهَا بالباب يتشوق لرؤية وجه ليلى ولكنها بقيت ملثمة لا تلتفت الى طويس كأنها تتوقع خروجه لتخلو الى عزة ، فأدركت هذه ما في نفسها فقالت : «لا تحتجبي يا ليلى منه ، انه طويس المغني» ، فضحكت ليلى ونظرت الى طويس وأزاحت اللثام وهمسى تقول :

فضحكت ليلى ونظرت الى طويس وازاحت اللتام وهـــــي تقول . «أهذا هو طويس المشهور بالشؤم ؟ لقد تم سرورنا بلقياه !»

فلما ازاحت النقاب بان تحته وجه يتدفق مهابة وعينان دعجاوان ، وثفر حسن ، وآثار الصحة بادية في وجهها من سكنى البر ، فدهش طويس من جمالها ، ولما رأى استئنامها به فرح وقال وهو يمشي نحو البساط الذي كانت هي جالسة عليه : «إن سروري تم بلقياك اينهال الشاعرة البارعة ، وقد كنت أعجب لما اسمعه من شغف توبة بسسك واشادته في الاشعار بذكرك وأنت زوجة لسواه ، فلما رأيت هذا الوجه علمت السر الذي دعاه الى ذلك» ،

فلما مسعت ليلى اسم توبة علا وجهها الاحمرار وكأسما خجلت وطأطأت رأسها حياء ، ثم رفعت بصرها اليه وقالت : «وهل سمعت شيئا من قوله ؟»

قال : «سمعت كثيرا ، ولكنني أذكر هذه الابيات فقط :

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت على ودوني جندل وصفائح لسلمت تسليم البشاشة ، او رفا اليها صدى من جانب القبر صائح وأغبط من ليلى بما لا اناله اللاكل ما قرن به العين صالح ولم يتم كلامه حتى اصفر وجه ليلى ، وأدركت عزة ذلك فيها فأحبت الترفيه عنها فدعتها الى الطعام والفسل ، فشكرتها وذكرت انها لا تحتاج الى شيء من ذلك ، وانما جاءت لزبارتها ساعة لتسمع حديثها وتطرب بغنائها ثم تنصرف ،

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقالت عزة : «لعلك قادمة من الشام ؟»

قالت : «نعم وقد وصلت الى المدينة الساعة ، وكان معي رفيق خليته في مكان وجئت اليك على ان اعود اليه عاجلا» .

فتذكرت عزة الاشباح التي رأتها وسمية على شاطىء تلك البحسيرة فقالت: «أظنني رأيت أشباحكم عند الغروب بين النخيل» • قالت: «كنا ثلاثة وصلنا عند الغروب الى ضاحية المدينة على جمالنا» •

#### - 4 -

#### حكاية ليلي مع توية

فأيقنت عزة انها هي التي كانت مع الركب ، وقالت تداعبها : «أتحبين توبة ؟»

فقالت ليلي: «ماذا تعنين ؟»

قالت : «أعرف انك تحبين توبة ، وأسمع انه شاب جميل شحّاع ، وانه يحبك ، فكيف تزوج غيرك وتزوجت انت غيره ؟»

فلم تشأ عزة ان تلح عليها ، ولكنها عمدت الى الحيلية فقالت : «صدقت ان الذكرى تؤلم» • ثم التفتت الى طويس وقالت : «هـــات الــدف » •

فناولها طويس دفا فنقرت عليه وغنت :

وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها على دماء البدن ان كان بعلها يرى لي ذنبا غير اني أزورها

ولم تتم هذين البيتين حتى تململت ليلى وامتقع لونها وقالت : «ما هذا يا عزة ؟ اراك تلحين لتعلمي سبب فراقي توبة» •

وضيحكت عزة وتجاهلت وهي نفول : «وما لهذا الشعر ولك ؟ هل تو بة قاله فيك ؟»

قالت: «أتتجاهلين؟ ما دمن مصرة على سماع حديثي مع توبسة فسأفصه عليك وان كان ذكره يؤلمني مع اعلمي يا اخية ان عاداتنا نحسن معاشر البدو غير عادات الحضر اهل المدن أمثالكم و فان الرجل منكم اذا احب فتاة تزوجها و وأحسن الزواج ما يكون على حب و وأما نحن فاذا عرف اهل الفتاة ان تعابا يحبها وتحبه منعوه منها ، وهذا ما وقع لي مع توبة فانه كان يحبني ويقول في الشعر : فلما خطبني الى ابي ، رفض ان يزوجني به ، وزوجني برجل من بني الادلع هو زوجي الى الان ، ولم يكتفوا بذلك ولكنهم اهدروا دم توبة ومكثوا له في الموضع الذي يلقاني فيه حتى اذا جاءني هموا بقتله و وكنت اذا جاءني قبل ذلك تبرقعت واحتجبت منه على عادتنا و ففكرت في حيلة أحذره بها غدرهم بحيث واحتجبت منه على عادتنا و ففكرت في حيلة أحذره بها غدرهم بحيث اليوم خرجت اليه سافرة وجلست في طريقه و فلما رآني على تلك الحال فطن لما اردت وركض فرسه فنجا ثم نظم في ذلك قصيدته التي مطلعها :

نأتك بليلي دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

«ومنها البيتان اللذان غنيتهما • وهي طويلة» •



وكانت عزة قد سمعت القصة من قبل ، ولكنها ارادت ان يسمعها طويس ، فلما فرغت ليلى من حديثها قالت عزة : «اني لم اكن أجهل حدينك هذا ولا غيره ، ولولا ذلك ما عرفتك من البيتين اللذين بعثت بهما تعرفينني بنفسك ، فبالله ألا ذكرت لي سبب قولك ذينك البيتين فانهما يدلان على انفة تندران في المدن» ،

قالت: «صدقت، ان العفة والحب النقي انما يكوبان في اهسل البادية وبنو عذرة اهل وادي القرى على مقربة من هذه المدينسة متهورون بهما ولكن ذلك غير مفصور عليهم وان كان غالبا فيهم وقد قلت ان نوبة كان يحبني وأحبه ولم أسمع منه ما يدعو الى ريبة ولكني اجنمعت به مرة بعد ان تزوجت وتزوج ، فقال لي كلمة ظننت انه قد خضع فيها لبعض الامر فقلت له:

ودي حاجة فلنا له لا بسح بها فليس اليها ما حييت سبيل لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وألت لأخرى صاحب وخليل

«فلم أعد أسمع منه ريبة فطـ» •

فضحك طويس وقهقه حتى كاد يستلقي ثم قال: «ما أشبه هــــذه العفة بعفة مخنثي المدينة ، والله ان البداوة حلوة ولكني لا احبها !» فقالت ليلى: «اذا شاقك ذلك فعليك بوادي القرى انه قريب منكم وفيه بنو عذرة الذين تضرب بعفتهم الامثال . وفيهم جسيل بثينة ، وكثير عزة : وغيرهما» •

فضحكت عزة ، ورأت الرجوع الى الغناء ، فأخذت فيه وهي تنقر الدف . فطربت ليلى وطرب طويس ، ثم استبدات بالدف عودا عزفت عليه وغنت الحانا شجية ، وكانت ليلى في اثناء الغناء تطرق وتستغرق في التأمل ، كأنها تفكر في امر ذي بال ، فلما رأت عزة فرغت من غنائها

قالت لها : «لقد اطربتنا يا عزة بفنائك وعندي امر احب ان أسره اليك فهل تسمحين بخلوة ؟»

فلما سمع طويس كلامها خرج مسرعا وأغلق الباب وراءه •

واقتربت لیلی من عزة حتی جلست بجانبها وقالت بصوت یقرب ان یکون همسا: «أتعرفین رملة بنت الزبیر ؟»

قالت : «محصور ؟ ومن حصره ؟»

قالت عزة: «انه اقام بالحرمين يدعو الناس الى البيعة له منذ توفي معاوية ونولى الخلافة ابنه يزيد سنة ٦٠ ه، ولم يقو أمره الا بعد مقتل الحسين وموت يزيد ، وهو الان ينكر الخلافة على عبد الملك بن مروان خليفة بنى أمية بدمشق» ٠

قالت ليلى : «أعلم ذلك : وأعلم ايضا ان اهل الحجاز بايموه ، وان الامويين ينوون قتاله ورده الى بيعتهم» •

قالت : «ألم تسمعي بقدوم الحجاج بن يوسف الثقفي من الحجاز بأمر عبد الملك لقتال عبد الله في مكة ؟»

قالت : «أظنني سمعت شيئًا من ذلك قبل خروجي من الشام» •

قالت عزة: «وقد جاء الحجاج ، ولعلك سمعت بشدة بطشه واستبداده ، وفد حاصر عبد الله بن الزبير في مكة وضيق عليه . حتى خرجت المدينة من سلطانه ، وعاملنا الان من قبل عبد الملك بن مروان» و فأطرقت ليلى وصست وكأن خاطرا طرأ عليها فأرجعها عما كانت تهم به ، فأدركت عزة ذلك ففالت لها : «مالي اراك صامتة ٥٠٠ قولي ما في نفسك » ٠

قالت : «جئت المدينة في مهمة تنعلق برملة بنت الزبير ، ولكن حال

اخيها يحول دون بلوغ الغرض من السؤال • هل هي معه في مكة ؟» قالت : «نعم هي معه هناك ، وأظنهم في أشد الضيق من الحصار ، وقد قل زادهم ولا ندري ما يؤول اليه امرهم» •

فتأففت ليلى وتذمرت ثم جعلت تحك ما وراء أذنها وتنظر الى البساط بين يديها كأنها تتفرس في نقوشه وهي لا تتكلم ٠

ين ي ي ... فقالت عزة : «قولي يا أخية ما في نفسك فقد أقلقت خاطري بسكوتك، ما الذي تريدينه من رملة وأخيها ؟»

قالت: «لا اخفي عليك ان اميرا كبيرا من اكبر أمراء بنسبي أمية ، انتدبني للبحث عن رملة واستطلاع احوالها ، لانه يريد خطبتها ، فلسم اجد من يصف لي جمالها سواك لانك عاشرتها وعرفتها فماذا تقولين ؟»

قالت : «على الخبير وقعت • اما رملة فانها من احسن النساء خلقا وعقلا ودراية • ولكنني أعجب لاقدام امير من بني أمية على خطبتها والحرب قائمة بين الامويين وأخيها» •

فأمسكت ليلى عن الكلام قليلا ثم قالت : «اخشسى ان أصرح بالاسساء فأكون قد بحت بسر اؤتمنت عليه» •

قالت : «لا تخافي فاني مسنودع اسرار اهل المدينة • واني أعاهدك على كتمان ما تقولينه» •

قالت : «إن الأمير الذي يبغي خطبتها احسن امراء بني أمية علمسا وأدبا وشعرا وفصاحة وعارضة ، وله ولع خاص بعلم الكيمياء وهو ابن خليفة وحفيد خليفة» •

فقطَّمت عزة كلامها قائلة : «قد عرفته، انه خالد بن يزيد، أليس هو؟» قالت : «هو بعينه فما قولك ؟»

فأطرقت عزة هنيهة ثم قالت : «قد ادركت سر الامر ، وعلمت السبب الذي سوغ لخالد خطبة رملة وهي من اعداء بني أمية وان كــــان

هو أمويا» .

فالت : «اما وقد فهمت سر الامر فاكتمبه عن كل احد ، وهذه هدية من خالد بعث بها اليك» ، قالت ذلك ومدت يدها الى كمها وأخرجت عقدا من اللؤلؤ دفعته اليها ، فتناولته عزة وأثنت على فضلها وقالت : «هل عزمت على خطبة رملة لخالد ، ومن يخطبها له ؟»

قالت : «ليس لي ان اصرح بأكثر مما قلت» •

فقالت عزة : «ما السر عندي الا في بئر عسيقة ، فطيبي نفسا وقري عبنا » •

ثم تحفزت ليلى للقيام فأمسكتها عزة ودعنها الى البقساء عندها . فاعتذرت بأن هناك من ينتظرها في الخارج ، ولا بد لها من موافاته لامر لا يحسن تأجيله ، ثم خرجت ، فمرت على طويس في البستان فودعته قبل انصرافها .

\* \* \*

كانت ليلى الاخيلية شاعرة بارعة كما تقدم ، وكانت تفد على الملوك والامراء سدحهم وتنال منهم الرعاية والجوائز ، وكانت قد وفدت على عبد الملك بن مروان في ذلك العام فامتدحته ، ثم سارت الى خالد فعهد اليها في البحث عن رملة واستيصافها من عزة ، وبعث معها شابا من خاصته اسمه حسن كان في جملة من جاء الشام مع عبد الملك بن مروان عند عودته من العراق بعد مقتل صعب بن الزبير واخراج العراق معن سلطة اخيه ،

وكان حسن من رجال مصعب الداعين الى بيعة اخيه في العـــراق وحارب معه في قتاله المختار بن عبيد الثقفي فأبلى بلاء حسنا حتى قتل المختار وخلص العراق لمصعب • فلما جاء عبد الملك لحرب مصعب دافع

حسن عنه جهده حتى قتل ووقع هو في أسر عبد الملك ورافقه الى الشام، فلقي هناك خالدا فأحبه هذا وجعله من بطانته ، وكان يثق به ويبوح له بما في نفسه على عبد الملك لانه تولى الخلافة دونه وهو أحق بها لانه ابن الخليفة يزيد بن معاوية ، وبين أمه وأم عبد الملك حكاية سيأتسي ذكرها .

وكان خالد فد سمع برملة بنت الزبير ، وأراد خطبتها ، فلما جاءته ليلى سألها عنها فذكرت له انها لم ترها ، فكلفها ان تستفهم عنها عسزة الميلاء في المدينة ، وكتب الى اخيها عبد الله الزبير يخطبها منه ، وسلم الكتاب الى حسن وأرسله مع ليلى وأوشاه اذا أمرته ليلى بالذهاب الى مكة ان يذهب ويدفع الكتاب الى عبد الله بن الزبير ويبذل جهده فسي اقناعه ، وكان حسن يحب خالدا حبا شديدا فعزم على ان يبذل ما فسي وسعه لتنفيذ مرامه ، وكان له في المدينة وطريحن الى فضائه فأسرع مع ليلى حتى وصلا الى المدينة مساء ذلك اليوم ، فعرج هو الى منزل يمكث فيه ريثما تعود ليلى .

اما ليلى فلما عادت من منزل عزة آمرت الخادم ان يذهب بالجمال الى منزل سكينة بنت الحسين ، على ان توافيه الى هناك ، وسارت لمقابلة حسن في الملتقى ، فلقيته في انتظارها على مثل الجمر فأخبرته بما دار ينها وبين عزة وأوعزت اليه ان يسافر الى مكة في المهمة التي جاء من اجلها ودعت له بالتوفيق ،

- 1 -

#### حسن وسمية

ولما خلا حسن الى نفسه ، عاوده ما كان يتقد في قلبه من الوجد •

وكان يحب فتاة عرفها منذ أعوام وأنقذها وأباها من الموت في العراق في العراق في اثناء القتال ضد المختار بن عبيد ، وقد تعاهدا على الزواج ، وهمو يعلم انها تقيم بالمدينة ولكنه لم يكن يعرف منزلها ، فرأى ان يسأل عزة في امرها بوصفها أخبر اهل المدينة بنسائها • فسار توا الى عزة وكانت لا تزال جالسة وقد خرج طويس من عندها •

وكان حسن طويل القامة ، حسن الخلقة ، في وجهه دلائسل المروءة وصدق المودة ، وعيناه تتقدان ذكاء وحدة ، فلما أفبل على عزة استقبلته باشة ، وكانت قد تعودت كثرة الوافدين عليها من سائر البلاد ، علسى انها استغربت قدومه اليها في اخر الليل ،

واعتذر حسن عن ذلك فقال : «اني قادم اليك في امر أقلقني وحرمني المنام وليس لي من يفرج كربي سواك» •

قالت: «قلى ما بدا لك» .

قال : «اني احب فتاة من اهل المدينة ولكنني لا أعرف منزلها ولا ادرى أمقيمة هي هنا ام سافرت الى بلد اخر ؟»

قالت: «ما اسمها ؟»

قال : «اسمها سمية بنت عرفجة الثقفي» •

فبهتت عزة عند سماعها الاسم ، وجعلت تنفرس في وجهه كأنهـــا تستطلع حفيقته ، ثم قالت : «من اين عرفتها وكيف احببتها وأنت بعيد عن المدينة ؟»

قال : «قولي لي اولا أهي في المدينة ؟ وهل تعرفينها جيدا ؟»

قالت : «أُعرَّفها كما اعرفُ نفسي ، وهي مقيمة هنا وكانت عندي هذا المساء ، فقل لي اين وكيف عرفتها ؟»

قال : «كنت من رجال مصعب بن الزبير الذين ساروا معه الى العراق لتتال المختار بن عبيد الثقفي • وكان المختار بعد قتل الحسين قد قام

يدعو الناس الى الاخذ بثأره وتظاهر بمبايعة عبد الله بن الزبير اللائــذ بالحرم الان • فقتل المختار قتلة الحسين جميعهم بمعونة النوابين وهم اهل الكوفة الذين خانوا الحسين وأمسكوا عن نصرته فلما قتل ندموا وقاموا يطالبون بدمه» •

قالت : «نعم أذكر ذلك ، ولكن المختار هذا كان يدعو الناس الى يبعة محمد بن الحنفية اخي الحسين من ابيه ، وليس لعبد الله بسن الربسير » •

قال: «انه كان يدعو الى البيعة لعبد الله اول الامر ، فلما فاز في حروبه طمع في الخلافة لنفسه وتظاهر بالدعوة لمحمد بن الحنفية • ولا أشك في ان محمدا لم يكلفه بذلك لانه زعم اشياء لا يرضى بها محمد» • قالت: «أظنك تعني الكرسي الذي زعم انه كرسي علي ، وصار يحمله معه في حربه ويزعم ان جبريل يظهر له ويكلمه» •

قال: «نعم، ولكنه لم يفلح لان عبد الله بن الزبير لما سمع بما فعله ارسل اخاه مصعبا في جند كبير فقتلوه وسمروا يده في مسجد الكوفة، وكنت انا في جملة رجال مصعب وفني يوم المعركة بعد ان تم لنا النصر وأمعنا في رجال المختار قتلا ونهبا و لقيت عرفجة أبا سمية طريحا على الارض بين يدي بعض رجالنا وقد هموا بقتله ، ثم رأيت سمية ابنته قد خرجت من الخباء وشعرها محلول على كتفيها ، فتحرك فلبي نحوها تحركا غريبا ، وسمعتها تستنجدني لانقاذ ايها من القتل ، فصحت في الرجال فأبعدتهم عنه وأوصلته الى مأمنه فقبل يدي وشكرني ذاكرا انه لا يقدر على مكافأتي و فقلت له: (لا ألتمس منك الا ان تزوجني ابنتك هذه) وفقال: (هي جاريتك بين يديك) و فتواعدنا على ان آتي المدينة وأتزوجها وأتممت امر انقاذه فأخرجتهما من الكوفة وبعثت معهما من أوصلهما الى هنا ، وبقيت انا هناك وشغلت بأمور كثيرة لا محل لذكرها فلم استطع هنا ، وبقيت انا هناك وشغلت بأمور كثيرة لا محل لذكرها فلم استطع

#### $\star$ $\star$ $\star$

كان حسن يتكلم وعزة تتطاول بعنقها لسماع بقية الحديث . فلما وصل الى هذا الحد قطعت كلامه قائلة : «لعلك حسن ؟»

فبهت وقال : «نعم ، وكيف عرفت ذلك ؟»

قالت: «عرفته منها ، واني أهنئك بسمية فانها زينة فتيات المدينة وليس احد يعرف مكنون قلبها غيري ، وقد طالما ذكرت اسمك لي ، وأطلعتني على خصائك وأثنت على مروءتك ، فثق بأنها ما زالت على ودك، ولو انك جئننا قبل ساعة لوجدتها هنا» ،

قال : «وهل من سبيل الى رؤيتها ولك علي ما يرضيك ؟»

فأطرقت عزه هنيهة ثم قالت : «لم يكن أهون من ذلك علي لولا ان أباها ضنين بها ، لا يأدن في خروجها من البيت ، الا نادرا ، وهي انما تجيئني خلسة في اكثر الاحيان ، ولا شك في انه اذا عرف انها جاءتني لمثل ما تريده انت فانه يفضب وربما اساءها وأساءني ، ولاسيما انه ذو نفوذ لدى امير هذه المدينة ، ففي استطاعته ان يتهمني عنده بما ينغص على عيشى» ،

فلبث حسن مدة يفكر في امره ، وقد اقتنع بالمشقة التي تحول دون مجيء سمية ، لكنه ما لبث لعظم شوقه ان استسهل كل عسير ، ورأى ان يصبر الى صباح الغد ثم يذهب لزيارة ابي سمية ، فنهض مودعا عزة بعد ان استدل منها على بيت عرفجة ، فدلته عليه وودعته معتذرة من عدم استطاعتها اجابة رغبته في رؤية سمية ،

وبات حسن تلك اللّيلة على مثل الجمر ، ثم أفاق قبل الفجر وأخذ يتأهب للذهاب الى بيت عرفجة وقد اشتد هيامه وخفق قلبه وهو يفكر verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في لقياها ، وشق عليه انه لا يستطيع مخاطبتها امام ابيها لكي يبثها شوقه وهيامه ، فعلل نفسه بما قد يأتي به القدر من سوائح الفرص ، وخرج والنسس قد أطلت من وراء المنازل ، والناس يذهبون ويجيئون فسي الطرق وهو لاه عنهم بما قام في خاطره من امر اللقاء المنتظر بعد الغياب الطويل .

وكان بيت عرفجة بالقرب من بيت سكينة بنت الحسين ، وهو أضيق مساحة وأقل فخامة ، فلما وصل الى بابه رآه مفتوحا فدخل ولم يقرع الباب ولم يتكلم ، فأطل على باحة تحيط بها ثلاث غرف ، وفي بعسض جوانبها نخلة عظيمة رأى بجانبها فتاة عليها رداء احمر زاه وليس على رأسها نقاب ، وقد جلست امام النخلة وأسندت ظهرها اليها ووجهها الى جانب الدار بحيث لا يقع بصرها على الداخل ، ومع انه لم ير من وجهها الا صفحة خدها وجانبا من عينها وفعها فانه ادرك انها سية ، فندم على دخوله بغتة واستنكف ان ينظر اليها او يدخل بلا استئذان ، ولكسسن الشوق اعسى بصيرته فوقف مبهوتا وقلبه يخفق ، والشوق يدفعه السي رؤينها ، والحياء يدعوه الى الرجوع وقرع الباب ،

ثم غلب عليه الحياء وخاف ان يقع نظرها عليه فتخجل وربما اصابها سوء من تأثير البغتة ، فتقهقر حتى وقف بالباب وقرعه بحلقة من الحديد كانت معلقة في خوخته ولبث ينتظر من يدعوه الى الدخول او من يأتي لاستقباله ، ثم سمع وقع أقدام في الباحة فعلم ان سمية تمشي السمى احدى الغرف للاستتار ، وظل واقفا مدة فلم يأته احد فأعاد القرع مثنى وثلاث ، وبعد هنيهة سمع وقع أقدام قادمة نحو الباب عرف من شدتها وسرعتها انها أقدام رجل ، ثم جاءه رجل في نحو الخمسين من عمره قصير القامة نحيف البدن يكاد جلده يلصق بعظمه ، وهو أشمط شعر اللحية خفيفه ، وعلى كنفيه مطرف النف

به ، وكأن خديه حفرتان ، ووجنتيه أكستان ، وأنفه كتلة بارزة في مننصف وجهه ، وله عينان غائرتان ، ولو تفرس فيه حسن لتببن من اخسلاج أجفانه وعدم استقرار نظره انه من اهل الرياء والخبث ،

فلما وقع نظر حسن على الرجل عرف انه عرفجة ابو خطيبته . فهش له وهو يتوقع ان يعرفه ويرحب به اما عرفجة فلبب برهة بنظر الى وجه حسن وهو بتجاهله • فضحك حسن وتقدم وألقى النحية . فرد عرفجة التحية دون ان يبدو على وجهه ما يدل على انه عرفه ، ثم سعل كأنه بنبه اهل بينه الى قادم غريب . فقال له حسن : «أظنك لم تعرفني يا عماه ؟» فلما سمع عرفجة كلامه تكلف الابتسام وألقى نفسه عليه وجعل يفبله ويرحب به وبقول : «اهلا بك يا بني : انت حسن ؟. من اين اتبت ؟» . وأمسكه ميده ودخل به الى الدار وسار نوا الى غرفة هناك يستقبل بها الزائرين • فاستأنس حسن بذلك الترحاب بعد ان كاد يتسبز غيظا مخافة ان يعود من سفرته بخفي حنين • وابتدره عرفجة بالسؤال عن حاله وعن سبب غيابه ، وسأله اذا كان في حاجة الى طعام • فاعتذر شاكرا . وأخبره بأنه قدم المدينة للقياء • فجعل عرفجه يتملقه بالكلام اللطيف ليسلطلم ما مى فلبه • فاطمأن اليه حسن وأطلعه على تبدة شوقه الى سبية • وكان يخاطبه ويراقب ما يبدو منه من استحسان او استهجان • فالم يجد الا انعطافا وترحاباً • وعلم منه ان سمية في خير ، وانها ما زالت تذكر فضله عليهما ، فازداد حسن استئناسا وتوقع منه ال يدعو سمية لتراه . فاما لم يدعها ظنه أجل ذلك الى ما بعد الاستراحة . واسنغرقا في الحديث في شؤون مختلفة حتى ذكر حسن انه جاء المدينة في مهمة من خالد بن يزيد الى عبد الله بن الزبير بسكة • ثم قال : «الم يئن لي ال ابلغ امنيتي التي منیت بها منذ أعوام ؟»

فتجاهل عرفجة وقال : «وما هي يا بني ؟»

قال : «الزواج من سسية ٠٠ خطيبتي» ٠

قال: «هي جارينك وطوع ارادتك. ولكنك ذاهب الى مكة كما نفول. فيحسن ارجاء الامر حتى تعود، ولاسيما ان سمية ليست هنا الان. وسأخبرها بقدومك متى عادت، ولا أشملك انها سنسر بلقياك؛ فاذهب الان في مهمتك، ومتى عدت نعقد فرانكما بادن الله» •

فعجب حسن لانكار عرفجة وجود سبة في المنزل . ولكنه السمس له عدرا وشكر الله على انه رآها خلسة ، على انه كان يوفع وهسو يخاطب عرفجة ان يسمع خطوات سمية او يلسح طرف ثوبها وهي مارة او يسمع كلامها فلم يكن يرى الا بعض الجواري يخطرن في السدار لقضاء بعض حاجات المنزل ،

وسكت كلاهما لحظة وكل يفكر في شأنه وشتان بين الفكرين • ثم عاد عرفجه الى الكلام فقال : «متى تعتزم المسير الى مكه يا بني ؟» قال : «في القريب العاجل ، وربما خرجت الليلة» •

قال : «وهذا ما اراه ، فان سرعة ذهابك يقرب يوم زواجك فنفرح بك وتنشرف بمصاهرتك» •

فسر حسن بما سمع ولم يفقه ما كان يبدو في عيني عرفجة وفسي حركاته من دلائل الخبث والفدر \_ ولم يكن ذلك سذاجة فيه ولكنه كان سليم القاب صادق النية كبير النفس ، يعتقد ان الناس كلهم منله \_ هذا الى ان عرفجة كان مدينا له بانقاذه من القتل ، وقد رحب بمصاهرته اولا وآخرا ، وهكذا اقتنع با سمع منه فقال : «ارى ان اخرج مسسن المدينة الليلة» ،

قال : «وهل تعرف الطريق ؟ ومن اي باب تخرج ؟»

فال : «نعم يا مولاي اني خارج من الباب المطل على قباء» ؛

قال : «اجعُل خروجكُ عند العُروب من الباب المؤدي الى مكة ، فانه

اسهل مسلكا ، ولكنني اخاف عليك من برد الليل فهل احتطت لذلك ؟»

قال : «عندى عباءة ألتف جها اذا برد الليل» •

قال وهو يبتسم وكأنه اهتدى الى سبيل لتنفيذ مرامه: «لا ارى ان تخرج من المدبنة وأنت ملتف بعباءة . ومن كان مثلث من ذوي الوجاهة لا يليق ان يمر في الاسواق ملتفا بعباءة ، فاسمح لي ان اقدم اك قباء يليق بمفامك» • قال ذلك وصفق فجاءه غلام فقال: «هات القباء الاخضر المعلق في الحجرة» •

فعاد الغلام وعلى يديه قباء من صوف ، فتناوله عرفجة ودفعه السى حسن وقال له : «اليك هذا القباء فالبسه وأنت خارج على ناقتك في هذا المساء فانه أوتى لك من البرد» .

فتناول حسن القباء شاكرا ، مع انه لا يرى حاجة اليه . اذ لم ير من اللياقة ان يرده و وازداد ثقة في عرفجة وحسن قصده و ولحظ في حركاته ميلا الى فض الاجتماع ، فنهض وقبل يده مودعا . وخرج وقلبه ما زال في تلك الدار . وقد شق عليه ان يخرج منها دون ان يخاطب حبيبته ولكنه علل نفسه باللقاء القريب بعد رجوعه من مكة ، وسار توا الى السوق ليبتاع بعض النبال استعدادا لعاديات الطريق ولكنه لم يكسن يعرف اين يبيعون النبال فرأى غلاما رن الثياب على رأسه قفة يلنقط نوى التمر ويضعه فيها . وهي أحقر مهن اهل المدينة ، فناداه حسن وسأله: «ألا تعرف رجلا يبرى النبال قريبا من هنا ؟»

قال : «أعرف كثيرين : هل تريد النبال المريسة او النبي بلا ريش ؟» قال : «انبي أفضل المريش منها» •

قال : «تعالُّ معي فأدلك على احسن من يبريها في هذه المدينة» .

سار حسن في أثر العلام حتى اتنهى به الى الطرف الاخر من المدينة، ووفف به عند حانوت امامه دكة ، وفي صدر الحانوت رجل من اهل يثرب بين يديه القسي والنبال ، وفيها المبري بعضها من الخشب والبعسض الاخر من القنا ونحوه ، فدفع الى الغلام درهما وصرفه ، ودخسسل الحانوت والقباء على ذراعه فلما رآه الرجل عرف من لباسه انه من اهل السام فرحب به وأجلسه على الدكة ، فجلس حسن ووضع القباء بجانبه وأخذ يقلب السهام ، وفيها الريش المربع والمثلث وذو الجناح الايس او الايس ، وجعل ينتقي ما يريده منها ثم قال للرجل : «هل اجد عندك جعبة الليال ؟ »

قال: «لا يا مولاي ، اني لا اصنع الا النبال ، ولكن جاري جعاب يصنع الكنانة والجعبة من الجلد او من الخشب على أشكال مختلفة ، فاذا شئت بعثت اليه فيأتيك بأصنافها» •

فقال: «اذهب اليه بعد الفراغ من انتقاء النبال» • ثم انتقي مسا احتاج اليه منها ودفع الثمن ، وسأل الرجل عن حانوت الجعاب ونهض وقد سبي القباء عند النبال ، وسار النبال يسير امامه حتى أوصله الى حانوت واسع فيه جلود وأخشاب وجعاب معلقة • فرجع النبال وتقدم حسن حتى اتهى الى باب الحانوت • فرأى الجعاب يخاطب شابا يظهر من لباسه انه من اهل الوجاهة وهو يساومه على جعبة اراد ابتياعها ، فوقف حسن ينتظر الانتهاء من تلك الصفقة ، وقد استأنس برؤية ذلك الشاب وتذكر انسه يعرفه • فجعل يتأمله ويتفهم كلامه ، وهو يستحث ذاكرته لعله يذكره والشاب مشتعل بالمساومة ، ثم التفت الشاب الى حسن فلما وقع بصره عليه بعت وتفرس في سحنته ولم يطل النظر اليه حتى ابتسم وصاح: «حسن ؟» • قال: «نعم ، وأنت • • سليمان ؟»

الجعاب وصاحبها ، فقال سليمان : «من اين انت قادم يا اخي ، ومنى قدمت ؟ »

قال : «اني قادم من دمشق وقد وصلت الى المدينة مساء امس» • قال : «وهل تنوي الاقامة هنا ؟» ِ

قال : «كلا ، انى عازم على السفر الليلة» .

قال : «لا • لا • انبي مشناق الى رؤيتك ، وقد مضى علي بضع سنوات وأنا أفكر فيك وأتذكر اياما قضيناها في الكوفة معا ، وقد كانت اياما سعيدة رغم ما شهدناه فيها من القتال» •

قال حسن : «لا ريب انها كانت سعيدة لكم لانكم فزتم بالامر الذي قستم له وقتلتم قتلة الامام الحسين شر قتلة • أظنك لم تنس عبيد الله ابن زياد وهو مضرج بدمه في ساحة الحرب» •

قال: «وهل اقدر على نسيان ذلك ، اني أتذكره كلما شسمت رائحة المسك ، لاني حين تمهدت جثة عبيد الله في الوقعة شسست رائحة المسك قوية ، اذ كان كثير التضمخ بالمسك ، ولكنني لم افرح بمقتل ابن زياد فرحي بسقتل ذلك الابرص الذي قطع رأس الحسين بيده» ،

... قال حسن : «أظنك تعني شمر بن ذي الجوشن قبحه الله ؟»

قال : «اياه أعني ٥٠ فقد رأيت هذا الخبيث في معركة اخرى مننولا وعليه بردة ، وقد عرفته من بياض برصه» ٠

فقال حسن : «انها لذكرى حسنة ، ولكننا لا نسنطيع الخوض فــي هذا الموضوع ونحن على قارعة الطريق» •

قال سليمان : «هلم الى مكان لنقضي فيه بقية هذا اليوم ، فانسي احسبه من أسعد ايامي ، لانه يذكرني بأيام النصر وان كنا الان في» ٠٠ وقطع كلامه لئلا يسبعه احد ٠

ثم نهضا فابتاع حسن جعبة وضع النبال فيها ، وسار وقد شغــــل

بصديقه عن تذكر القباء وهو لم يتعود حمله •

\* \* \*

كان سليمان هذا صديقا لحسن تعارفا منذ الصبا و وكان مقيما مع اليه بالكوفة مع دعاة الحسين و فلما قدم الحسين الكوفة في اهله كان هو وأبوه من الذين تخلفوا عن نصرته و ولما قتل الحسين في سهمل كربلاء وقتل اهله معه اصبح سليمان وأبوه من النوايين الذين ندموا على تخلفهم عن نصرة الحسين وقاموا بعد قتله للمطالبة بدمه ، فلما جمساء المختار بن ابي عبيد الثقفي الى الكوفة يدعو الناس الى يبعة عبد الله بن الزبير ، انضم النوابون اليه فقتلوا قتلة الحسين و ثم طمع المختار في الامر وأرسل عبد الله بن الزبير اخاه مصعبا لمحاربته ، وكان حسن مع مصعب فلما غلب مصعب المختار وقتله تفرقت رجاله ، فانحاز بعضهم الى مصعب فلما غلب مصعب المختار وقتله تفرقت رجاله ، فانحاز بعضهم الى مصعب ومنهم سليمان وأبوه ، وقد ائتلف قلبا حسين وسليمان و وكان مسعما بالكوفة وقتله وتفرق رجاله ، سار حسن مع عبد الملك ، وجساء مسيمان وأبوه الى المدينة فأقاما بها و

فلما تلاقيا بالمدينة على هذه الصورة أنس به سليمان وأحب البقساء معه ، فدعاه الى منزله وقال له : «ان ابي يسر بلقياك» ، فتذكر حسن ابا سليمان فقال : «فاتني ان اسأل عن ابيك كيف هو وما الذي يعمله الان ؟»

قال : «انه في خدمة طارق بن عمر عامل هذه المدينة من قبل عبد الملك ابن مروان» •

قال : «وهل هو يخدمه عن رضنّی ؟»

قال: «اراه راضيا بخدمته ، وكثيرا ما اظهرت عدم رضائي بخدمــة هؤلاء القوم الذين قتلوا الحسين ، وكنا بالامس نجرد السيوف عليهم ونطالبهم بدم المقتولين ، ولكنني رأيته راضيا فسكت عنه ، ولعل له عـــذرا » .

وكانا يتكلمان وهما ماشيان حتى وصلا الى بيت سليمان ، ولم يكن ابوه في البيت فمكثا هناك وتناولا الغداء معا وقد سر كل منهما بلقاء صديقه ، فلما كان العصر نهض حسن واعتذر باضطراره الى الذهباب لوداع ليلى الاخيلية في بيت سكينة بنت الحسين ، وهو انما كان يرجو ان يستطيع مشاهدة سمية لان بيتها بجانب بيت سكينة ،

قالح عليه سليمان ان يؤجل سفره الى الغد ، ولكنه اعنذر شاكرا ، فقال سليمان : «اذا لم يكن بد من سفرك فاني أرافقك في أوائل الطريق لانك اذا خرجت من المدينة عند الغروب لا نسير الليل كله • فاذا رضيت برفقتي فاني أصاحبك الى العقيق فنمكت هناك ساعة أتعلى من حديثك ثم نفترق» •

فال حسن : «كيف لا ارضى بذأك وفيه راحتي وحسن حظي» • قال : «اين نلتقى ؟»

قال حسن : «نلتقي بباب المدينة المؤدي الى مكة ونخرج مــــن هناك معا» •

قال : «وهل تعرف الطريق الى الباب ؟»

قال: «نعم أعرفه فانه على مقربة من حانوت النبال الذي اشتريت هذه النبال منه اليوم» •

ولما ذكر النبال تذكر القباء فبغت وقال : «لقد نسيت عنده القباء ، وأخاف اذا اردت الذهاب اليه ان تفوت الفرصة لمشاهدة ليلى» •

فابتدره سليمان قائلا : «دع هذا لي ، فأنا أمر بالنبال وآخذ القباء

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

منه وأحفظه لك الى الملتقى» . فشكره حسن وودعه : وخرجا فهمار كل فى طريقه .

\* \* \*

موكانت سمية جالسة في ساحة بيتها حين قرع حسن الباب ، فدق فلبها وحدثتها نفسها بأن الطارق حبيبها ، تم استبعدت ذلك ، فعاودها الحزن ، ونهضت لكي يحتجب عن الطارق ، فانزوت في اقرب غرفة الى الباب وفي نفسها ميل الى معرفة الطارق ، لان طريفة دقه الباب لم تكن نشبه دقات زوارهم المعروفين ، وكثيرا ما تدل الدفة على صاحبها ويعلم الهل البيت من هو صديقهم من قرعه الباب ، هذا الى ان عرفجة كان من اكثر الآباء تضييقا على بنانهم في امر الحجاب ، فكان ذلك يدعو سمية الى التطلع الى الفادمين من سقوق النوافذ او ثقوب الابواب ،

واتفق في ذلك الصباح انه لم يكن في البيت احد من الرجال غير عرفجة وكان مشغولا في حجرة خاصة لا يدخلها احد غيره ، وفيها محفة من ختب مقفلة لا يفتحها سواه ، فاذا دخل نلك الحجرة أقفل بابها ولا يدري اهل البيت ماذا يفعل هناك ، فيقضي فيها ساعة او بعض الساعة ثم يخرج ويقفل الباب وراءه ، وكتيرا ما احبت سسية استطلاع امر نلك المحفة ومشاهدة ما في داخلها فلم توفق الى ذلك ، لان المحفة من خشب متين لا منافذ المبصر فيه ، فلسا قرع حسن الباب كان عرفجة هناك فأبطأ في ذتح الباب كما تقدم ، ثم سمعته بعد ان فتحه وهو يخاطب حسنا في ذيح بصرها على حجرة ايبها فوقع بصرها على حسن وهو يخلع حذاءه بباب الحجرة ، وهي اول مرة فوقع بصرها على حسن وهو يخلع حذاءه بباب الحجرة ، وهي اول مرة وقع بعد ذلك الغباب الطويل ، فلم تكد تتحققه حتى شعرت بهزة وأنه فيها بعد ذلك الغباب الطويل ، فلم تكد تتحققه حتى شعرت بهزة

قوية وخفق قلبها خفوقا شديدا ولكنها ظنت نفسها مخطئة فنفرست فيه جيدا فاذا هو حسن بعينه ، ورأت أباها يخاطبه ويرحب به وقد فهمت ذلك من اشاراته وملامحه لانها لم تكن تفهم الكلام لبعد المسافة ، ثم دخلا وأقفلا الباب • فأرسلت جارية لها تنسسع حديثهما وتعود اليها بما سمعته • والعبواري اكثر الناس رغبة في نقل الاحاديث وبخاصة اذا كانت من هذا القبيل • فكانت تلك الجارية تنظاهر بخروجها لغرض تريده من البستان او الباحة فتقف هناك بحيث تسمع ما يدور وربما سمعت بعضه فتكمل الحديث من عندها وتعوذ الى سمية به • فأطلعت سمية بذلك على ما دار بينهما حرفيا ، وساءها رفض ابيها ان يجمعها بحسن ولو من وراء حجاب ، ولكنها سرت برؤيته واطمأنت الى انه ما زال على حبها . ولما اخبرتها الجارية انه جاء يطلبها من ابيها زاد اضطرابها واصطكت ركبتاها ولم تعد تستطيع الوقوف فثنت وسادة كانت بجانبها وجلست عليهسسا وعيناها على شق الباب • على انها ما لبثت أن علمت أنه غير الحدث واعتزم الخروج من المدينة في تلك الليلة ، وان أباها حبب اليه الاسراع في ذلك وأعطاه القباء • فاستغربت اعطاءه اياه ، مع ما تعلم من بخله ، علَّى ان ذلك أكد لها رضاءه عن تلك الخطبة فانبسطت نفسهـــــا وتعللت بقرب اللقاء بعد الرجوع من مكة .

فلما خرج حسن وتبعه عرفجة لوداعه ، طارت عيناها شماعا السبى حسن ، ولكنه ما لبث ان غاب عن مدى بصرها من ذلك الثفب ، فلما رأت أباها راجعا خرجت من الفرفة لملاقاته وقد توردت وجنتاها من عظم التأثر وبانت دلائل الحب في وجهها ، فلما رآها عرفجة في تلك الحال انقبضت نفسه وتظاهر بأنه في شاغل عن الحديث معها ،

ولكنها لم تصبر على استطّلاع افكاره وأمسكت عن الكلام تهيبا لانها كالت تخافه كثيرا وتخشى غضبه وقد قاست منه الامور الصعاب ، على

انها كانت تحسن الظن به فتحولت الى حجرتها وهسي منقبضة النفس ودخل عرفجة حجرة اخرى وقد لحظ ما في نفس ابنته ولم يفته اطلاعها على ما دار بينه وبين حسن • فبعث اليها فجاءت وليس في المكسان سواهما فوقفت وقلبها يخفق وهي لا تستطيع التطلع الى ابيها ولا تدري ما ريد منها • فاشار اليها فجلست على وسادة بالقرب منه وهي نشاغل بسداعبة اطراف جدائلها المرسلة • وكانت تضفر شعرها عادة في طسرة اشتهرت في المدينة يومئذ بالطرة السكينية نسبة الى سكينة بنت الحسين لانها اول من ضفرها على تلك الصورة •

لبتت سمية برهة هكذا ، وأبوها ينظر اليها ويتأمل في حركاتها فلم يزدد الا وثوفا بنعلقها بذلك الشاب وهو لا يحب ان يتقرب منه ، ولكنه لم يذكر ذلك لسمية صراحة ، على انه كثيرا ما حاول ان يزوجها بسواه فلم تقبل ، وكان قد ظن حسنا مات او فتل لفيابه عن المدينة ، او عدل عنها واشتغل بغيرها ، فلما رآه في ذلك الصباح وتحقق انه ما زال حيا بغت واستعاذ بالله ، ولكنه عمد الى الخبث والرياء فتغلب على عواطفه وبش له واستدناه وأظهر له ما أظهره من اللطف والانس على امل ان يفتك به غيلة ، فلما رأى اضطراب سمية قال لها : «اراك مضطربة ، فما الذي دعاك الى هذا ؟»

قالت وهي لا تزال مطرقة وقد صعد الدم الى وجهها فزاد احمراره: «وأى اضطراب تعنى ؟»

قال: «أعني ما يبدو في وجهك من الاحمرار على أثر الاصفـــرار وكاني أسمع دقات قلبك ، فما هذا ؟» قال ذلك بنغمة رقيقة رفقا بهـــا واجتيالا في استطلاع سرها ، وقد كان يعب رضاءها ولكنه لا يريد ان تعمل عملا تستقل به عنه ، وكان اهل المدينة يتحدثون بجمال سسيـــة ولطفها ، وكان هو يريد ان يتجر بذلك الجمال فيزوجها بحاكم او امير

فيكتسب بزواجها منصبا او مالا ، وكانت له مطالب اخرى ترجع كلها الى الطمع وحب الاثرة مع خبث الطوية ، وحب الاثرة مع سلامة الطوية قلسا يضر بالناس اذ ليس في البشر من لا يحب ذاته ويؤثرها على غيره من الناس ، اما اذا صحبه خبث النية وسوء الخلق فانه يكون وبالا على الناس ، لان صاحبه لا يبالي ما قد يضحيه من الانفس او الاعراض في سبيل نيل أغراضه ، وكان عرفجة ذا مطامع لا حد لها وكان ذلك شأن كثيرين في ذلك العهد على أثر تزعزع أركان الخلافة وانقسام الناس وكثرة الدعاة وتعدد الدعوان ، فكان هذا يدعو الى بيعة عبد الملك ، وذاك يدعو الى بيعة عبد الملك ، وذاك يدعو الى بيعة محمد بن الحنفية ، وآخر الى بيعة عبد الله بن الزبير ، فضلا عن دعاة آخرين في البلاد الاخرى ، فأصبح الامر فوضى وربسا خطر لعرفجة ان يدعو الى احد هؤلاء او غيرهم ، ولو أتبح له ان يدعو خطر لعرفجة ان يدعو الى احد هؤلاء او غيرهم ، ولو أتبح له ان يدعو غير أكفاء للقرشيين ، وكان الحجاج والمختار بن ابي عبيد ثقفيين ايضا ، فلما اراد المختار ان يستأثر بالملك تظاهر بالدعوة الى محمد بن الحنفية فلما اراد المختار ان يستأثر بالملك تظاهر بالدعوة الى محمد بن الحنفية فلما قدمنا .

\* \* \*

لما سمعت سمية سؤال ابيها ولم تر فيه نغمة الجفاء اجابت وهي تكاد تذوب خجلا: «اتسألني يا سيدي عما انت أعلم الناس به ؟» فقال وهو يعتصب الضحك اغتصابا: «أظنك تحبين هذا الشاب ؟» قالت: «لا اقول اني احبه ولكنني أعلم فضله علينا لانه انقذنا من

الموت . وقد اشترط شرطًا وعدناه به أفلا نفي بالوعد ؟» وكانت تقول ذلك بلهجة المنتصر وهي تنظر في وجه ابيها متوقعه ان يكون جوابه الاذعان الصريح . ولكنها رأته ابتسم ابتسام الاستخفاف ، ثم هز رأسه ، وأخذ يلاعب طرف لحيته بأنامله وهو يقول : «ما شاء الله! وأي فضل تعنين يا سمية ؟»

قالت: «ألم ينقذنا هذا الرجل من القتل ونعن في الكوفة • ألـم اخرج اليه محلولة الشعر وأطلب نجاتك فأسرع لانقاذك ؟• ولا اراك تنكر ذلك عليه الى الان» • قالت ذلك وهي تنظر الى وجهه بطرف عينيها وتتوقع اذعانه فاذا هو قد تغيرت سحنته وبان الشر في عينيه وكان بيده مفتاح الحجرة فرمى به الى الارض من شدة الغيظ وقال: «لا اقدر على سماع هذا الكلام • ان الذي يدعي علينا مثل هذا الفضل يجب ان يبوت » •

فلما سمعت سمية كلامه اقسعر بدنها وامتقع لونها ، ونظرت الى ابيها والدموع مل عينيها كأنها تستعطفه ولا تصدق انه يعني ما يقول ، ولكنها ما لبثت ان رأته نهض وجعل يتسنى في ارض الحجرة ولحيته ترقص امام عنقه وعيناه محملقتان وأنامله ترتجف ، فتهيبت وأطرقت ودموعهــــا تتساقط على ثيابها وبقيت هادئة لا تحرك ساكنا ولسان حالها يقول : «ويلك يا ظالم» ،

اما هو فبعد ان تمشى هنيهة عاد فوقف امامها وقال لها: «لو كنت نحيين أباك . ما رضيت ان يكون لمثل هذا الغلام فضل علينا • كيف نعيش ولهذا الغلام منة علينا ؟ وتقولين ذلك جهارا ؟ • لا شك انك تحيينه اكثر مما تحيينني ؟»

فقالت والبكاء يخنق صوتها: «كيف تقول ذلك يا أبتاه ؛ وأنت تعلم قلبي وتعلم اني لا احب احدا سواك ه وأما هذا الشاب فان له علينا فضلا لا ينكر \_ هل نسيت الخطر الذي كنا فيه وكيف انقذنا وعنسي بارسالنا الى هنا ؟ م ثم انك انت الذي وعدته بي ، فاذا كنت احبه فانما

انت الذي دعوتني الي ذلك و ٠٠٠٠

فقطع عرفجة كلامها وقال: «أبلغت بك القحة الى ان تقولي لي انك تحيينه وتعيدي ذكر جميله ، ان ذكر هذا الجميل وحده يدعو الى قتله! »

فاضطربت سسية ، وجثت عند قدمي ابيها والدمع يتساقط من خديها ويمتزج بالعرق المتصبب من جبينها وقالت : «رحماك يا سيدي ، بالله لا تذكر القتل ، دعه لا تقتله ولا تزوجني به ، و فأنا لا اخرج عن طاعتك في امر من الامور ، لا تذكر القتل لانه يقطع قلبي ، افعل بي ما تشاء فاني طوع لك ، اشفق علي وارحمني» .

فلما سمع تذللها ظنها ارعوت عن محبة حسن ، فأمسكها وأنهضها ومسح دموعها وقال لها : «خففي عنك يا بنية وكوني حكيسة عاقلة ، والبذي امر هذا الغلام وارجعي الى ابيك ، واعلمي اني لا أفعل الا ما فيه سعادتك» .

قال ذلك وأجلسها على الوسادة وجلس هو الى جانبها فاتكأت على صدره فتحقق انها أذعنت لامره واستسلمت له ، فلم يعد الى ذكر حسن ولكنه اغتنم هذه الفرصة وقال لها : «يظهر انك كنت في جهالة عمياء ، والحمد لله على انك ادركت ما أنويه لك ، كيف تعيشين مع رجل تعلمين انه ذو فضل على ابيك ؟ ، أليس ذلك منتهى الذل والضعف ؟ ، كيف أقدر على حفظ منزلتي بين الناس وفي الدنيا رجل يقول انه انقذني من الموت وله على فضل ؟ »

فظلت سمية صامتة مخافة ان يعود ابوها الى ذكر القتل ، ولكنها استغربت استنكافه الاقرار بالفضل لاهله ، وقد فاتها ان من الناس من يتعمدون الايقاع بالمحسنين اليهم لان نصورهم فضلهم يهيج جسدهم حتى يقودهم الى الفتك بهم ليتخلصوا من ذكر تلك المنة ، وأمثال هؤلاء

قليلون والحمد لله ـ وكان عرفجة واحدا منهم ـ وتلك غاية الدناءة والخسة •

ولم تر سمية خيرا من السكوت ، ولكن ذلك لم يغير شيئا مسسن عواطفها بل لعله زادها تعلقا بحسن ، وتعلق ذهنها بالسعي في تحذيره وكانت تفكر في ذلك وهي متكئة على صدر ابيها وقد بللت قميصسه بدموعها ، فأنهضها وقبلها وقال لها : «قومي يا سمية وارجعي الى رشدك فاني سأزوجك بأعظم رجل يتحدث به المسلمون الان لتعلمي اني انسا اسأتك بأقوالي لاحسن اليك بأفعالي» •

فنهضت ومثمت وهي صامتة تمسح عينيها بكمها حتى اتت حجرتها فدخلت وأقفلت الباب ثم استلقت على فراشها وقد تمثل لها عظم الارتباك المحيط بها والخطر الذي يهدد خطيبها فأظلمت الدنيا في عينيها وأطلقت لدمعها العنان ، ثم استرجعت رشدها وفكرت في امرها وأمر ابيها وما تعرضت له بسبب حبها لحسن فجعلت تناجي نفسها قائلة: «كيف تعلقت بهذا الرجل الغريب وفي تعلقي به خطر على حياتي وحياته ؟٠ أليس هذا ابي الذي رباني وكفلني ولا يريد لي الا الخير والسعادة ؟ كيف أعصاه وأطبع هواي؟ ألبس من التعقل ان أنصاع لرأيه ١٠ اما حسن فمــــاذا يربطني به ؟. الحب ؟ وما معنى الحب ؟. أن هذا الحب سب عذابــــي وعذابّ ابي وعذاب حبيبي . لا . ان عذابه عذب . آء ما احلى الحبّ وما اشرف عواطف المحبين ٥٠ كيف يعيش الناس بدون الحب ومسا الفائدة من الحياة بلا محبة ؟ • اني لا ارى في العيش لذة الاحين أفكر فيسي حسن ٠ آه ميا ألطف هيذا الاسم ٠ ولكيسن كثيرًا ما كنت أسمعه قبل ان اعرف الحب فلا ألتذ لفظه كما ألتذه الان. فأنا انما أتلذذ بالحب • آه ما احلاه وما احلى لفظه بفمي وذكره بفكري وما احلى صورته في عيني !»

ثم مسحت دموعها ولبثت هادئة برهة وهي تفكر في ابيها وقالت : «ولكن ابي رباني بعد وفاة امي وبقي وحده لم يتزوج من اجلي وهو يحبني ويريد سعادتي فكيف أغضبه ؟»

ثم قالت: «لا ١٠٠ انه خرج في معاملته عن حقوق الابوة ، ان لحسن فضلا كبيرا علينا ، ولكن ابي تنكر له ، بل اراد قتله من اجل ذلك الفضل ، اراد قتل حسن ؟! ، ان ابي ظالم ، والظالم لا يحبه الله فكيف احبه انا ؟ ، اما حسن فشهم تفانى في سبيل نجاتنا ويكفي انه يحبني واني احبه حبا عذريا نقيا لا عيب فيه ، يا الهي ما هذا الحب ؟ ، اذا كنت ترى اني أخطى ويما اقول فانزع حب هذا الشاب مسمن قلبي ، لا ، ولا تنزعه ، و انزعه يا الهي ، و كما تشاء ، آه مالي أزداد تعلقا وهياما ؟ الله هو الذي اراد ان يحب احدنا الاخر ، والحب الذي يكون خاليا من الدنس وغايته شريفة انما هو من عند الله» .

قضت سمية ساعة في مثل هذه التصورات ، ثم تذكرت ما سمعته من تهديد ابيها فخافت ان يتمكن من حسن وهو غافل فرأت ان عليها ان تحذره حتى يقضى الله امرا كان مفعولا .

وحدثتها نفسها ان تفر معه الى مكة ولكن تعقلها وآدابها زجراها عن ذلك • على انها اصبحت شديدة الشوق الى رؤيته لتشكو له ما فسى قلبها ويتعاهدا على الاتحاد والصبر • فتذكرت عزمه على الغروج مسن المدينة في تلك الليلة ، وانه خارج حوالي الغروب من الباب المؤدي الى مكة فعزمت على اغتنام فرصة اشتغال ابيها ، لكي تخرج وتقف له في الطريق وتخاطبه •

اما عرفجة فقد كان بينه وبين طارق بن عمرو حاكم المدينة يومسند صداقة • وكان طارق يكرم عرفجة لانه ثقفي من قبيلة الحجاج : وكان الحجاج لذلك قد اوصاء به خيرا ، ولانه كان قد عرف سميسة وطلب

الاقتران بها فوعده عرفجة بذلك ولكنه استمهله ريثما يسترضيها • ولم يشأ الحجاج ان يحملها ابوها على ذلك بالكره مخافة ان تشكوه الـــى الخليفة عبد الملك بن مروان فيأمره بالتخلي عنها كما اتفق له مع عبد الله ابن جعفر لما خطب الحجاج بنته أم كلتوم على مال كثير ثم أمره عبد الملك مروان بطلاقها • وجلية الخبر ان الحجاج خطب الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على الفي الف في السر وخمسمائة الف في العلانية ، فأجابه الى ذلك وحملها اليه فأفامت عنده ثمانية اشهر ، ثم خرج عبد الله ابن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافدا ونزل بدمشق ، فأتاه الوليد بن بالترحيب ، فقال له الوليد : «لكنك انت لا مرحباً بك ولا اهلا» • قال عبد الله : «مهلا يا ابن اخي فلست اهلا لهذه المقالة منك» • فال : «بلى والله وبشر منها» • قال : «وفيم ذلك ؟» • قال : «لانك عبدت السى عقيلة نساء العرب ، وسيدة نساء بني عبد مناف ، فعرضتها على عبد ثقيف يتفخذها» • قال : «وفي هذا عُتبت علي يا ابن اخي ؟» • قال : «نعم» • فقال عبد الله : «والله ما أحق الناس ألَّا يلومني في هذا الا انت وأبوك ، لان من كان قبلكم من الولاة كانوا يصلون رحسي ويعرفـــون حقي ، اما اتنما فمنعتماني رفدكما حتى ركبني الدين . اما والله لو ان عبدًا حبشيا مجدعا اعطاني بها ما اعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه • انما فديت بها رقبتي» • فما راجعه الوليد كلُّمة حتى عطف عنان بعلته ومضى فدخل على ابيه فقال له عبد الملك : «مالك يا ابا العباس ؟» • قال : «انك سلطت عبد ثقیف وملکته حتی تفخذ نساء بنی عبد مناف !» • وقصر عليه الخبر • فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج بقسم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ، ففعل • وخاف اذا فعل مثل ذلك بسمية ان تشكوه الى عبد الملك بوساطة سكينة بنت الحسين ، لعلمه انها

تحب سمية ولها منزلة وكرامة عند عبد الملك .

\* \* \*

وكان حسن قد ودع رفيقه وسار ماشيا وخادمه يقود جله وراءه ، قاصدا الى بيت سكينة ، ولما أشرف على بيت عرفجة اختلج قلبه في صدره ، ووقف كأن شيئا استوقعه بالرغم عنه ، وتصور انه شاخص الى مكة وهي محصورة فلا يدري متى بعود منها ولا ما يمكن حدوثه في غيابه ، وكيف يسافر وهو لم ير سمية ، ثم تمثلت له سمية كما رآها في صباح ذلك اليوم قاعدة الى جذع النخلة حاسرة رأسها ولم ير غير جانب وجهها ، فلما تصور ذلك زاد هيامه واضطربت جوارحه برهة كأنه فاقد رشده لعظم ما اكتنفه من الهواجس ، ولم ينتبه لنفسه حتى خاطبه خادمه ، وهو رجل من نقيف اسمه عبد الله وأصله من الطائف وكان في جملة خدم المختار ابن ابي عبيد في اثناء حربه في العراق ، فلما قتل المختار سار في جملة الاسرى الى الشام ثم دخل في خدمة حسن عندما سمع بعزمه على المدينه رغبة منه في الاقترب من اهله في الطائف ، وكان عبد الله يعرف عرفجه لانه من قبيلته ولم يكن يحترمه ولا يثق بأقواله ، ولكنه لم يكن يعلم بعا بين حسن وسمية ، فلما رأى سيده واقفا مبهوتا استغرب ذلك منه فغاطبه قائلا : «ما بال مولاي ؟ هل يفكر في امر نسيه فأقضيه ؟»

فانتبه حسن لنفسه واستحى من خادمه ، ولكنه تذكر ما بين هـــذا الخادم وعرفجة من رابطة القبيلة ، فلاح له ان يستخدمه في ذلك لعله يأتمى بفائدة فقال : «أتعرف عرفجة ؟»

فأجاب عبد الله ولم يصبر الى اتمام السؤال وقال : «كيف لا أعرفه وهو ابو سمية» •

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

فلما طرق اسمها سمع حسن خفق قلبه ، ولو لحظ عبد الله وجه سيده لرأى الاضطراب ظاهرا في محياه ، ولكنه لم يكن يتفرس في وجهه لفرط احترامه له ، اما حسن فقال : «وهل تعرف سمية ؟»

فضحك عبد الله وفال : «كيف لا اعرفها وهي من قبيلتي ؟»

قال : «وهل تعرف كل بنات قبيلتك ؟»

فسر حسن بهذه المصادفة وأراد ان يستخدم عبد الله في البحث عن سمية او مخابرتها فقال: «اذن اسمع يا عبد الله ، أريد ان أرسلك الى سمية في مهمة فهل تذهب ؟» • قال: «لك الامر وعلى الطاعة» •

فأعجب بلطف تعبيره وقال له : «بورك فيك يا عبد الله فاعلم اني فدمت في هذا الصباح الى عرفجة ، وقضيت معه ساعة ، ولم أتسكن من مناهدة سمية لانها كانت مشغولة ونحن الان سائرون الى مكة ولا ندري متى نعود فهل اخرج من المدينة قبل ان اراها ؟»

قال : «كلا بل يجب ان تراها وتخاطبها ، هل اسألها موعدا للقاء ؟» قال : «لا تستعجل يا عبد الله ، فاني اخاف ان يفضب ابوها اذا اطلع على ذلك لاني سمعت بصرامته في تحجبها ، فلا يليق بي ان اراها خلسة بعد ان خطبتها منه» .

فأرسل عبد الله بصره الى بيت عرفجة وقال : «ما دامت خطيبتك فلا بأس من رؤيتها وان لم يعلم ابوها •• اتأذن لي في الدخول الى هــذا البيت والاستفهام عن عرفجة فأحتال لابلاغها موعدك ؟»

فاستعظم حسن الاقدام على هذا الامر ، ولكن رغبته في رؤية سمية هونت عليه ذلك فقال : «اني ذاهب الى منزل سكينة ، وأنا أعلم ان سمية كثيرة التردد اليه ، فقل لها ان توافيني الى هناك، •

قال : «سمعا وطاعة» • ومضى يسوق الجمل وهو يقول : «سأحمل اليك الجواب في منزل سكينة ان شاء الله» •

- 0 -

### مجلس سكينة بئت الحسين

اما حسن فسار حتى وصل الى منزل سكينة بنت الحسين : فرأى بجانب الباب حظيرة تربط فيها دوابها ودواب من يقدم اليها من الوفود . لان منزلها كان مقصد الشعراء والادباء وأهل الوجاهه من قريش وغبرهم وكان حسن فد سمع جعجعة الجسال وجلبة الخدم قبل وصوله الى الدار، نلما وصل رأى كتيرا من الدواب وأكثرها للاضياف . ورأى بينها جسل للى الاخيلية ٠

فلما انتهى الى باب بستان الدار دخل ولم يستاذن ، لان الناس كانوا يدخلون منه الى دار الاضياف ويخرجون بلا استئذان . ومشى في باحه كبيرة رأى في بعض جوانبها غرفا عديدة في صف واحد عرف انها دار الاضياف ، ثم رأى في صدر البستان بيتا متقن البناء على بابه الخدم . فعرف انه مسكن سكينة ، فتحول الى دار الاضياف ، لعله يرى ليلى هناك فيقيم معها ريثما تأتي سمية فتكون له وسيلة الى مقابلتها . فبلغ دار الاضياف والخدم يقومون باعداد الاطعمة من الذبائح ونحوها . وقد سره اشنغالهم عنه لكي يتمكن من البحث عن ليلى ، فطاف الغرف غرفة غرفة فلم يجد احدا يعرفه ، فظل ماشيا وهو يسمع ضجة من جهة مسكن غرفة فلم يجد احدا يعرفه ، فظل ماشيا وهو يسمع ضجة من جهة مسكن

سكينة بعضها من الخدم في الخارج والبعض الآخر من الداخل و كان يتخلل الضجة قهقهة وقوقاة متل قوقاة الدجاج ، فمشى الى مصدر الضحك فاذا هو في غرفة بجانب باب المسكن وببابها بضعة رجال لم يعرفهم ، فدنا منهم وألقى التحية فردوا السلام وأبصارهم شاخصة الى داخل الغرفة ، فأطل حسن من فوق أكنافهم فرأى هناك رجلا قصييا دميما ، قليل اللحم ، أزرق اللون ، أحول البصر ، أقرع الرأس ، اثلط اللحية ، جلس القرفصاء على أكمة من التبن وهو يعضن بيضا ويقوفى، كما تقوقىء الدجاجة ، فاستغرب حسن ذلك ونظر ألى احد الوقدوق

قال : «لا ٥٠ ومن هو ؟»

قال: «أشعب الطماع الذي اتخذته سكينة بنت الحسين مضحكا لها» •

قال حسن : «أسمع اسمه وأعرف بعض أخباره المضحكة ، ولكن منظره أضحك من أخباره ، ما الذي أقعده هذا المقعد وهو يقوقىء كانه يحضن يبضا ؟»

قال الرجل : «بل هو يحضن بيضا حقيقة عقابا له على ذنب ارتكبه بين يدي سكينة مولاته ، فأمرته ان يقعد على هذا البيض حتى يفقس وقد مضى عليه ايام وهو على هذه الحال !»

قال : «أجلسني اياه مولاتي سكينة ، فهل فيكم من يخرجني مــــن هذا الحبس ؟»

فقال حسن : «ومن يتوسط لك في هذا الامر ؟»

قال : «كأني بليلي الاخيلية قد دخلّت دار مولاتي اليوم ، فاذا كانت

هنا ، فلا ارى أقدر منها على اخراجي من هذا المكان» . قال حسن : «هان الامر ، فلك علي ان أوسط ليلي في العفو عنك».

\* \* \*

ولم يتم حسن كلامه حتى سمع صوتا يناديه ، فالتفت فرأى خادمه عبد الله واقفا على بضع خطوات منه فقال حسن : «ما وراءك ؟»

فدنا عبد الله منه وقال : «دخلت البيت وسألت عن عرفجة فقيل لي انه خرج في الصباح ولم يعد بعد ولا يعرف احد مقره» •

فابتدره حسن قائلا : «وسمية ؟»

فقال : «وسألت عن سمية فعلمت انها ذهبت الى سكينة من برهة قصيرة فسررت بذلك وأتيت لاخبرك ، فهل رأيتها هنا ؟»

فال : «لم أرها ولعلها في البيت مع النساء ، فكيف اصل اليها ؟ . بورك فيك يا عبد الله ، امكث انت بالباب مع الخدم والجمل معك حتى اخرج او أحتاج اليك في شيء» .

قال : «سمعا وطاعة» • وخرج •

وعاد حسن وقد شغل عن أشعب ونجاته بالبحث عن سمية ، ولمسا تصور انه سيتمكن من مقابلتها خفق قلبه • فلم ير وسيلة الى ذلك الا ليلى ، فجاء باب القاعة التي تستقبل سكينة فيها ضيوفها ، فرأى عليب رجلا واقفا وقوف الحاجب فقال له حسن : «هل في مجلس بنت الحسين احساء ؟ »

قال الرجل : «ان مجلسها غاص بالناس ، وفيهم جماعة من الشعراء والشاعرات » •

قال : «وهل فيهم ليلي الاخيلية ؟»

قال : «نعم» •

قال : «قل لليلي ان حسنا بالباب يدعوك اليه» .

فدخل الرجل ثم عاد وليلى معه ، فلما رأت حسنا رحبت به فمشى بها الى خلوة وقال لها : «اني مسافر الليلة وقد جئت اوداعك» •

قالت : «رافقتك السلامة ووفقك الله في مهستك» .

قال : «ولكني أعرض عليك امرا ارجو مساعدتك فيه الان وهو لا نتعمك » •

قالت : «وما هو ؟»

قال : «أتعرفين سسية بنت عرفجة ؟»

قالت : «نعم أعرفها وقد رأيتها من برهة وجيزة جالسة بجانب سكية تخاطبها وسكينة تلاطفها لانها تحبها كثيرا • وأنت ما شأنك معها ؟»

قال: «شأني معها شأن الخطيب وخطيبنه فهل هي لا نزال هناك؟» قالت: «لقد سرني انك خطبتها فانها زينة بنات المدينة ، وأظنها باقية لاني لم ارها خرجت ، وعلى كل حال تعال معي فندخل القاعة فنسكث انت مع الجلوس من الرجال وأدخل انا الى مجلس النساء وراء الستار حيث تقيم سكينة وصاحباتها فأبحث عن سمية » ،

قال : «أرجو ان تجمعيني بها ساعة لا يرانا فيها احد سواك ، لاني خطبتها منذ ثلاثة أعوام وجئت المدينة بالامس ، وها أنذا خارج الان ولم أشاهدها او أخاطبها» •

قالت : «لك علي ذلك» •

فال : «خير البر عاجله ، فاني مسافر عند الغروب» •

قالت : «ألا تؤجل سفرك الى غد ؟»

قال : «كنت أود ذلك ولكنني على موعد مع صديق لكي نسير معا ، وسيوافيني عند الغروب الى باب المدينة» • ثم غيثر مجرى الحديت فقال:

«وأوصيك بأشعب الطماع فانه يحضن بيضا عقابا له على ذنب ارتكبه وقد وعدته بأن تتوسطى له لدى مولاته سكينة ، فلا تنسيه» .

فضحكت وقالت: «قبحه الله ما اكثر مزاحه ، ولكنه وافق هوى في نفس سكيمة ، فهي كذلك تحب المزاح ، وقد تعودت معاقبته بمثل ذلك المعقاب ، وحضن بيضا مرة حتى فقس وخرجت فراريجه فملأت الدار ، وهي تسميها (بنات أشعب) ، انبي ذاهبة وسأكلمها في شأنه ، فتعال معي واجلس مع الجالسين فاذا لقيت سمية أومأت اليك فتخرج» ،



دخلت ليلى ودخل حسن في اثرها • ثم أطل على القاعة فاذا هــــي واسعة وقد فرشت بالطنافس الثمينة ، وحولها الوسائد المزركشة وفـــي صدرها ستارة عليها صور اشجار وطيور ملونة خلفها سكينة ونساؤها بحيث ترى ضيوفها ولا يرونها •

ورأى في القاعة جماعة قد تصدرهم خمسة عليهـــــم لباس البدو ، فسألها : «من هؤلاء المتصدرون ؟»

قالت : «هم الشعراء • ألا تعرف احدا منهم ؟»

قال : «أظنني اعرف الجالس على الوسادة المثناة ، فهو الفرزدق ، وقد عرفته بضخامة بدنه وعبوسة وجهه وغلظه أليس هو الفرزدق ؟»

قالت : «نعم هو بعينه • ألا تعجب من اجتماعه هو وجرير فسبي مجلس واحد مع ما اشتهر بينهما من المهاجاة ؟»

قال : «وأين جرير ؟»

قالت : «هو ذاك الذي كف شعره وأدهن ، ومتىلى تكلم سمعت لكلامه غنة يخرج بها الكلام من انفه كأن فيه نونا» •

قال : «ومن هو الاخر القصير الدميم العظيم الهامة ؟» • قالت : «هو كثير عزة العاشق المشهور» •

قال: «اعاذ الله عزة من منظره فانه قبيح • ومن ذاك الشاب الجبيل العريض المنكبين الحسن البزة • وكأنه جالس القرفصاء ؟»

قالت : «هو جميل بثينة احد عشاق بني عذرة • ألا تراه حزينا لما اشتهر من حبه لها وحرمانه لذلك منها ؟»

قال : «ومن ذلك الاسود ه؟ اني لاستغرب منظره ، والشعــــراء يندرون في السود ؟»

فضحكت وقالت: «هو نصيب الشاعر الفحل • وأما سواده فلأن المه أمة ، وهو من قضاعة» • ثم اشارت عليه بأن يجلس على احسدى الوسائد وان ينتظر ما يكون من شأنها مع سمية •

فجلس وهو یخاف فوات ولم یکد یستقر به المفام حتی سمع لعطا من وراء الستار فاستبشر وظن ان لیلی تخاطب سکینة او سمیه ، ثم رأی جاریة وضیئة خرجت وقالت : «أیکم الفرزدق ؟»

وكان حسن يتوقع ان تناديه فلما سمعها تنادي الفرزدق التفت اليه فرآه يقول : «ها أنذا» ه

قالت: «انت القائل:

« هما دلياني مــن ثمانين قامة كما انحط باز أقتم الريس كاسره فلما استوت رجلاي بالارض قالتا: أحي فيرجي ؟ ام قتيل نحاذره ؟

قالت : «فما دعاك الى افشاء السر ؟ خذ هذه الالف دينار والحـق

بأهلك» . فأخذها وانصرف . ثم دخلت الجارية على مولاتها وخرجت فقالت : «أيكم جرير ؟» • فلما عرفها جرير نفسه قالت : «انت القائل :

«طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعسى بسلام تجرى السواك على أغسسر كأنه برد تحدر مِن متون غسسام لو كان عهدك كالــذي حدثتنـــا لوصلت ذاك وكان غير ذـــــام

انسى أواصل من اردت وصالم بحبسال لا صلف ولا لوام »

فال : «نعم» •

فال : «أفلا اخذت بيدها وفلت لها ما يقال لمثلها ؟ • انت عفيف وفيك ضعف ، خذ هذه الالف والحق بأهلك» • فأخذها وانصرف • ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت : «أيكم كثير ؟» فلما عرفته قالت : «انت القائل :

دنوك حنى يدفع الجاهـــل الصبا ودفعك اسباب المني حين يطمــع وانك لا تدرين صبــــا مطلت أيشتـــد أن لاقــاك أو يتضرع وانك ان واصلت علمت بالمسذي لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع»

قال : «نعم» •

قالت : «قد ملحت وشكلت ، خذ هذه الالف واذهب لاهلك» •

ودخلت وخرجت وقالت : «أيكم نصيب ؟» • قال نصيب : «انا هو» • قالت: «انت القائل:

« ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشما الصفسار

قال : «نعم» ٠

قالت: «ربيتنا صغارا ومدحتنا كبارا ، خذ هذه الالف والحسق بأهلك» • فأخذها وانصرف • ثم دخلت وخرجت فقالت لجميل: «مولاتي تقرئك السلام وتقول لك: (ما زالت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك: «ألا ليت شعري هل أبيتن ليلسة بوادي القرى اني اذن لسعيسد لكل حديث بينهسسن بشاشسة وكسل قتيل عندهن شهيسد » فجعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الالف دينار والحق بأهلك » • فأخذها وانصرف •

وكان حسن ينظر ويسمع ولا يستغرب مثل ذلك المجلس: لان اهتسام النساء بالشهر والادب وجلوسهن لمثل تلك المطارحة كان سائعا في تلك الايام ونبغ من النساء شاعرات ماهرات منهن ليلى الاخيلية وغيرها ولكنه استغرب اهتمام سكينة على رفعة مقامها بساحثة الشعراء فيسا قالود ونظموه و وكان يسسع ويرى وهو قلق البال لتأخر ليلى عنه ولم يكسن يدري كيف يدعوها او يستعجلها فرأى ان يسمعها صوته ، وكان قد لاحظ وجود صور للطير والاشجار على الستار الحاجز بين مجلسسي الرجال والنساء ، كما لاحظ وجود أمثالها على الوسائد ، فرأى ان يخذ من ذلك موضوعا لاسماع ليلى صوته ، وما كادت الجارية تفرغ من مخاطبة الشعراء وتهم بالدخول بعد ان انصرفوا ، حتى استوقفها وقال : هناملي يا بنية» و

فوقفت والتفتت اليه فقال لها : «لقد باحثت هؤلاء الشمراء وأفحمتهم فانصرفوا فهل اسألك سؤالا ؟»

قالت : «قل ما تشاء» ٠

قال : «أرى على ستاركم صورا وقــــد قال رسول الله (صلعم) : (أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون) ٢٠٠٠

فأشارت الجارية اليه ان يتمهل ودخلت الى سيدتها ، ثم عادت اليه وقالت له : «وما يضرنا وما نحن من المصورين ؟»

قال: «ولكنكم اتخذتم تلك الصور استارا • ولو كانت تلك صور اشجار فقط لهان امرها ، ولكنها صور لذوات أرواح ، وفي الحديث (ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة) ••»

وهنا سمع صوتا جهوريا من وراء الستار يقول: «لا تنس تنمسة الحديث (الا رقما في ثوب)» • فأدرك ان ليلى هي المتكلمة ، وسكت ينما عادت الجارية الى مجلس النساء ولبث هو على مثل الجمر لا يدري ماذا يصنع ، والتفت نحو نافذة عالية فرأى الشمس قد مالت الى الغروب فازداد قلقه وخشي ان يطول انتظار صاحبه سليمان بباب المدينة •



وبينما هو يفكر في ذلك اذ سمع لفطا وراء الستار أعقبه ضحك كثير وصوت يقول: «قد اطلقنا سراحه اذهبي يا بنانة واخرجيه ، قبحه الله ما اخبثه» • فأدرك ان سكينة هي المتكلمة ، ولكنه ظنها تريد اخراجه هو فاضطرب • ثم ما لبث ان رأى ليلى خارجة وهي تشير اليه ان يتبعها ، فسار في أثرها حتى خرجا من القاعة فدنت منه وقالت: «لا تخف انها لم تأمر باخراجك ولكنها امرت باخراج أشعب الطماع لاني اوصيتها به عملا باشارتك » •

فقال : «بورك فيك ، ولكن اين سمية ؟»

قالت : «ليست هنا ، كانت في المجلس وخرجت قبل ان اراك» . فاستعاذ حسن بالله وانقبضت نفسه ثم قال : «هل انت على يقين مما

تقولين ؟»

قالت : «لقد تحققت خروجها فلعلها خرجت الى بيت ابيها لانها لا تستطيع الغياب طويلا عنه» •

وعجل حسن بالخروج لعله يلقى سمية في الطريق او في البيت او في مكان اخر ، فلما خرج وجد خادمه عبد الله في اتظاره ومعه الجمل ، فركب والشمس قد أذنت بالمغيب وبان الشفق الاحمر ، وما زال يحث جمله حتى بلغ بيت عرفجة فأحس بشيء استوقفه بغتة وما هو الاعامل الحب اوقفه بجانب منزل الحبيب ، فلم يتمالك ان نادى عبد الله ، فجاء هذا ووقف بين يديه وهو يقول : «هل أسأل عن سمية فلعلها عادت ؟»

فأعجب حسن بنباهته ودقة شعوره ، وابتسم ولسم يجب ، فأسرع عبد الله الى البيت ثم عاد وهو يقول : «انها لم تعد يا سيدي» •

فتنهد حسن ، وخيل اليه ان سمية باقية هناك في بيت سكينة ولكن ليلى لم ترها ، او انها رأتها وأخفت امرها ، وتكاثرت عليه الهمسوم وتراكمت الظنون ـ والمحب سيء الظن كلما اشتد حبه كثرت هواجسه وزاد سوء ظنه بحبيبته وأكثره من قبل الغفلة ، فاذا رأى حبيبه يخاطب احدا مهما يكن من شأنه او مقامه او قرابته تبادر الى ذهنه ان يغازله او

iverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يسر اليه امرا ، واذا ابطأ عليه بالزيارة سبق الى فهمه انه في موعد مع اخر او لا يحبه او يحب سواه ، وقد يخيل له ان اهل الحبيب كلهم ضـــده وانهم يمنعونه منه فاذا تخاطبوا همسا او قصروا معه في شأن خيل له انهم يريدون به سوءا او هم ينصبون له أحبولة فالمحب كثير الهواجس سيء الظنون ،

فلا تلم حسنا اذا اساء الظن بليلى وحسبها تآمرت على اخفاء سمية عنه وقضى برهة في مثل هذه الهواجس وهو على جمله ، ثم انتبه فاذا بالظلام يتكاثف وتذكر صديقه سليمان فأجفل وشق عليه تآخره عن الموعد مع ما ابداه الرجل من الرغبة في مرافقته وبالغ في اكرامه والنقرب منه فاستحث جمله وطلب باب المدينة وقد بئس من مشاهدة سمية . وان علل نفسه بلقائها عند رجوعه من مكة .

# -7-

# المفاجأة السارة

سار حسن بضع دقائق صامتا حتى أشرف على باب المدينة ، ومسن ورائه المستنقعات والتلال وغابات النخيل ، وفيما هو ينظر الى ما وراء الباب اذا بشبح وقف له في الطريق هاتفا باسمه فالتفت حسن وقلب يخفق لشدة وقع ذلك الصوت على أذنه ، ثم أمسك زمام جمله ونظر الى الشبح فاذا هو امرأة ، فحدثه قلبه بأنها سمية فوثب على الارض حتى وقف بين يديها ، وتنحى عبد الله وقد اخذ بزمام الجمل وتشاغل باصلاح

الرحل •

اما حسن فانه نادی : «سمية ؟»

قالت : «نعم ، ومن الذي معك ؟»

قال : «هو خادم امين لا تخافي منه • ما الذي جاء بك الى هنا في هذا الليل ؟ أأنت سمية حقيقة ؟! • • ما ألطف هذا اللقاء وما اسمد هذه الساعة ! • سمية حبيبتي فولي ما بدا لك» •

فتنهدت وأسندت كتفها الى حائط هناك وتشاغلت باصلاح نقابها ، وسكنت •

وقد سر حسن لسعيها الى ملاقاته ، ولكنه أوجس خيفة مما دعاها الى ذلك لما يعهده في ايبها من الشدة والغلظة فقال لها : «اني لا ارى في هذه الدنيا احدا اسعد مني الان ، وقد بذلت الوسع في سبيل العصول على هذه المقابلة فلم أفز ، وها قد اتني الساعة عنوا فالحمد لله ، ولكنني اخشى ان يكون لهذه المخاطرة سبب يسوء» • فتحيرت سمية ولم تدر بم تجيبه فلبثت صامتة ، فازداد هو قلقا وقال لها : «ما بالك ؟ قولي • لعلك علمت بذهابي الى مكة فخفت خطرا يهددني هناك ؟»

فلما سمعت ذَّكر الخطر أجابته والبكاء يخنق صوتها: «نعم اخاف عليك الخطر، ولكن ليس في مكة فقط بل ٠٠٠ • وشرقت بالدمع فانقطع صوتها •

فتقطع قلب حسن ومد يده فأمسك اناملها ، وهي اول مرة قبض فيها على تلك الانامل ، فأحس برعشة تملكته وقال لها : «ماذا ؟ و قولي يسلسية ، يا ملكة قلبي ، هل تخافين علي احدا في هذه المدينة ايضا ؟ انك ما دمت لي لا تحبين سواي فلست أبالي بعد ذلك اذا كان اهسل الارض كلهم اعدائي ! »

قالت : «واذا كنت انا عدوتك ؟»

فحمل منها ذلك على قصد المزاح وقال لها: «اذا كنت انت عدوتي فلا غرض لي في الحباة • بالله قولي ما في نفسك • مسسن تخافين علي ؟ فأريك دمه مسفوكا ولو كان حوله جيش جرار • قولي» •

فتنهدت ومسخت دموعها بطرف نقابها وهي تقول : «لا أريد ان ارى دمه مسفوكا» .

فتعجب وقال : «وماذا اذن ؟ افصحي يا سمية • قولي • ممسن تخافين علي ؟ فقد نفد صبري وطال تأخرى عن الخروج من المدينة ولي صديق ينتظرني في الخارج • قولي» •

قالت : «اني أعد قولي عقوقا مني • ولكنني اسيرة حبك لا ارى لي حياة الا بك» •

فقطع حسن كلامها وقد ادرك ما تريده فقال : «قد فهمت مـــــا تريدين • انك تخافين على من ابيك • أليس كذلك ؟»

قالت :. «نعم» • واستغرقت في البكاء حتى كاد يغسى عليها وكان هو ما زال ممسكا بيسراها ، فأمسك بيدها الاخرى وقال لها : «ولا هذا يهمني ما دمت تحبينني • هل تحبينني يا سمية ؟»

قُصعدت الزفرات ولم تجب ، فقال : «فاذا كنا متحايين فمن ذا يحول ينك! ؟ »

وسكت برهة وقد عظم عليه الامر ثم قال : «وما الذي دعا أباك الى بغضي والحاق الاذى بي وأنا لم أرتكب منكرا ولا اسأت اليه في شيء ؟» قالت : «ذبك انك احسنت اليه • او لعل ذلك من سوء حظي • ولكن ما لنا ولهذا ، ان الوقت لا يأذن بطول الشرح • فأخبرك ان ابي لا يريدك ، وأخاف ان يسعى في أذاك ، وقد علمت ذلك على أثر خروجك من منزلنا ، فأردت اطلاعك على جلية الخبر لتكون على بصيرة» • قال : «اما الحاق الاذى بي فانى لا اخافه ، ولكننى اخاف ان يلحق قال : «اما الحاق الاذى بي فانى لا اخافه ، ولكننى اخاف ان يلحق

الاذي بك انت» .

قالت : «لقد اظهرت له الطاعة والرضا ريثما اراك ثم أفعل مــــا تأمرني به» ٠

فأطرق حسن ثم قال: «اني مغلول اليدين بما اخذته على نفسي من امر السفر الى مكة عاجلا في مهمة لزجل احبه وله علي فضل كبير • وكنت احب ان ادعوك للذهاب معي ولكنني ذاهب الى مكان به الحرب قائمة فلا أربد تعرضك لهذا الخطر» •

فقطعت كلامه قائلة: «وكيف تعرض نفسك للخطر؟ ان مكة اليوم في أضيق حصار وأهلها في ضنك شديد ، بالله ألا عدلت عن الذهاب ثم تفعل ما تريد ؟»

قال: «اما الذهاب فلا بد منه فامكثي انت هنا وأظهري الطاعة حتى اعود ونرى ما يكون • ولست اخشى بأسا ولا خطرا ما دمت لا تحبين سواي» • ثم سمع جعجعة الجمل فانتبه للوقت وقال لها: «كنت اود ألا نفترق منذ الان ولكن للضرورة أحكاما • وسأرسل عبد الله معك الى منزلك لان الليل قد أظلم ولا آمن عليك المسير وحدك ، فهل تسيرين الى بيت ايبك ؟»

قالت : «لا ولكني اعود الى بيت سكينة لان ابي يعلم اني سرت اليها فاذا استبطأني سأل عني هناك فأعتذر عن تأخري ، وذلك من غير ان يراني عائدة الى البيت وحدي في هذا الليل • ولكن كيف أفارقك ؟»

قال : «تشددي يا سمية ان سفري هذا لا بد منه ، ولكنه سيكون اخر الاسفار باذن الله ثم نعود ونعيش معا» .

فلما قال ذلك بكت سمية حتى سمع صوت بكائها فانفطر قلبه ، وكاد يشاركها البكاء لولا انه تجلد وقال لها : «لا تبكي يا سمية بل اتكلي على الله واعلمي اني عائد اليك على عجل» • قال ذلك ونادى عبد الله وقال

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

له: «اوصل مسمية الى بيت سكينة ، ثم الحق بي في الطريق المؤدي الى المعقق ، فاني سابقك الى هناك ، فقد ابطأت على سليمان وأخاف ان يكون قد سبقني او عاد الى منزله» .

#### \*\*\*

سارت سمية وهي تقول لحسن : «سر في حراسة الله ، واسأله ان ينصرك على اعدائك» • وظل صوتها يرن في أذنيه حتى نوارت عنه ، فركب جمله وساقه الى باب المدينة ولم يكن مقفلا فالتفت يمنة ويسرة فلم ير سليمان •

فخرج وهو يمشي الهوينى ويصيخ بسمعه لعله يسمع صونا ، وجعل يحدق بعينيه لعله يرى احدا فسار والجمل دليله بين تلك المستنقعات ، ولكنه لم يسر طويلا حتى سمع جعجعة جمل عن بعد فاستوقف جسلسه وأصاخ بسمعه وحول الزمام الى جهة الصوت وساق الجمل سوقا بطيئا فمشى به بين النخيل والظلام سادل ستاره والسكوت سائد فلم يكن يسمع غير وقع خفاف الجمل على العشب او الطين ،

وبعد قليل سمع حسن صوت بكاء وأنين ، فوقف وأصغى ، فسمع صوتا عميقا ، وخشي ان يجعجع جمله فيشوش الصوت فترجل عنه وعقله وشده الى نخلة ، ثم مشى على قدميه وهو يتلمس الارض مخافة ان يخوض في الاوحال حتى تحول عن الطريق الاصلي الى ساحة لا نخيل فيها ولا عشب ، فرأى جملا معقولا وشبحا متوسدا الى جانبه وفوق رأس الشبح شبح اخر يبكي وينتحب ، فاختبأ حسن في منعطف بحيث يرى ويسمع ولا يراه احد ، فسمع صوتا يقول : «يا لتعاستي وشقائي ! ، لقد فتكت بك يا ولدي وفلذة كبدي ، اني لأستحق هذا القصاص . ولكن ما

ذنبك انت ؟ تبا لي ما أتعس حظي ! • ولدي ! حبيبي ! كلمني يــــــا سليمان • سليمان • سليمان» •

فلما سمع حسن اسم سليمان علم انه صديقه ، فاقشعر بدنه وخشي ان يكون قد اصابه سوء بسببه ، فنهض ومشى ويده على قبضة سيفه حتى أقبل على الشبحين ولم ينتبه له احد .

ثم سمع الشبح الراقد يقول بصوت ضعيف : «لا تحزن يا ابي فقد ذهبت فداء صديق لي هو أحق بالحياة مني» ٠

فقال الآخر: «أظنك تعني هذا الشقي لانه وفي بعهده ، اني عاهدت الله على نصر الحسين والقتال في سبيله وجعلت نفسي في عداد التوابين، ثم رجعت لخدمة هؤلاء الطغاة ، وكثيرا ما رأيتك غير راض بذلك ، فلم اكن اصغي اليك حتى ضربني الله هذه الضربة على فلبي !»

فتحقق حسن ان الرافد سليمان ، وانه في ضيق ، فلم يتمالك عن ان صاح قائلا : «سليمان ؟»

فأجفل الرجل الجالس وحسب الجن تخاطبه ، فوقف للحال وقال : «أنسي انت ام جني ؟» • وكان الرجل كهلا في نحو الستين من عمره والشيب قد جلل رأسه وهو طويل القامة دقيق العضل قصير اللحية صغير العمامة • ولم يتم الرجل سؤاله حتى كان حسن بين يديه وقد أكب على سليمان وهو راقد على ظهره وفوقه القباء وقد تلطخ بالدم فتفرس في عينيه فاذا هو يفتحهما فتحا ضعيفا ويتالم فأمسكه حسن بيده وقال له: 
«سليمان ؟• اخى سليمان ! ماذا اصابك ؟»

وكان لذلك الصوت وقع عظيم على أذني الجريح ، ففتح عينيه وصاح: «حسن ؟ اشكر الله على ان جعلني فداءك» •

ولم يتم سليمان كلامه حتى تقدم الرجل الآخر وقال: «حسن؟ انت حسن ؟ و يا لله ما هذه المصيبة التي نزلت بي بسببك ولكن الذنب ليس

ذنبك وانما هو ذنبي انا الشقى التعس !»

فادرك حسن ان الكهل والد سليمان . وانه كان يترصده فأصاب ابنه خطأ • فصرف عنايته الى انقاذ حياه سليمان ، وحاول ان ينهضه قائسللا لايه : «الي بالماء» • فجاءه بشيء منه من مستنقع قريب ، فرش به وجه سليمان وغسل موضع الجرح في اعلى الصدر ، وكان قد أصيب بنبلة اخرجها ابوه •

وكان حسن قد تعلم بعض الوسائل الطبية من معاشرة خالد بن يزيد الاموي في دمشق ، لان خالدا كان سُديد التعلق بالعلوم الطبية حتى فاق بها سائر قريش ، وكان بصيرا بصنعة الكيمياء والطب متقنا لهسا . وألف في ذلك بعض الكتب والرسائل وقد اخذ العلم عن راهب اسمه «بانس» • ولم يكن مجلس خالد في دمشق يخلو من اهل العلم فكان حسن يجالسهم ويسمع اقوالهم •

فلما غسل الجرح ضفطه ، وأمر ابا سليمان بايقاد النار فأوقدهـــا بالزناد ، ثم انتظر حسن حتى تكون بعض الرماد فأخذ قليلا منه وذره فوق الجرح وربطه ،

ثم سأل عن ماء للشرب فقال الرجل : «ليس معى قربة» •

فقال حسن: «اسند ظهره الآتيك ببعض الماء من قربتي» و قال ذلك ونهض ، ثم تحول نحو النخلة التي عقل جمله عندها فلم يجد الجسل هناك فطار صوابه لانه كان قد ترك كتاب خالد بن يزيد في مخبسا بالرحل الذي فوق الجمل حرصا عليه ، وهذا الى ان الجمل كان عزيزا عنده وعليه عدته وثيابه والماء وكل شيء و على انه لم يشأ ان يضيع الموقت وسارع الى اقتفاء آثار الجمل ، وكان قد لاحظ ان حل عقال الجمل لا يدل على حدوث عنف ، فتبادر الى ذهنه انه لم يعقله عقلا متينا فانحل من تلقاء نفسه ، وانطلق الجمل هائما على وجهه او يطلب المرعى

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هنا وهناك .

وسار حسن في طلب الجمل مضطربا خائفا لانه غريب في تلسك البلاد ، ثم وقف ونظر الى ما حوله من الغياض والبساتين والظلام حالك، فلاح له ظل يتراءى يين النخيل امامه ، فتفرس جيدا وأصغى بسمعه فسمع هدير جمل هناك فأخذ طريقه اليه ، ولاحظ ان ذلك الشبسيح يبتعد ، فسارع السير في أثره وهو يتعثر بالاعشاب والاحجار ونظره شاخص اليه ، وما زال يمشي والشبح يمتني امامه حتى خرجا من بين النخيل الى الفلاة ، فما كاد حسن يتفرس في الشبح حتى ادرك انه هو جمله فواصل السير في أثره ، وكان الجمل اجفل من المطاردة فأسرع في سيره ، وظل سائرا مدفوعا برغبته في القبض عليه حرصا على ما يحمله ،

## - V -

### جميل وبثيئة

وفيما هو يركض ويلهث اذا به يرى شيخا عليه لباس الرعاة يسير عاري الرأس وقد غرس عصاه في قفا طوقه ، وعليه عباءة قصيرة وخشونة البدارة بادية في وجهه مع شدة الظلام ، فناداه حسن : «يا اخا العرب، ألم تر بعيرا راكضا هنا ؟»

وما أتم حسن سؤاله حتى أسرع الرجل اليه وأمسك بدراعه وضفطها بشدة في حين اشار اليه ان يسكت وينتظر ، فالتفت حسن الى ما حوله فرأى شجرة كبيرة على أكمة ورأى هناك ظلا يتحرك ، فهمس فى أذن

الشبيخ قائلا : «ما شأنك ؟• اخبرني» •

قال: «لقد اتفق لي اليوم حادث غريب مع رجل لقيته على غير معرفة فاذا أصغيت لي قصصت الخبر عليك ، ثم نذهب ونستطلع بقيته معا عند تلك الشجرة» •

قال حسن : «ولكن هل رأيت جملا راكضا من هنا ؟»

قال حسن : «وأي واد هذا ؟»

قال : «هو وادي الفرى» •

قال حسن : «أليس هو موطن بني عذرة المعروفين بشدة عشقهــم وعفتهم ؟ »

قال : «هو بعينه • والحادث الذي وقع لي اليوم يكشف انا عن حقيقة ما نسمعه عن هؤلاء • فأعرني سمعك الأقص عليك الخبر» •

فال حسن الى سماع الحديث ، وأهل الغرام يميلون الى احاديثه ، فقال الرجل : «قضيت في هذه الاودية معظم فصل الربيع أرعى ابلي ، فجاءني في أصيل اليوم رجل طويل القامة منطو على رحله كأنه جان ، فسلم علي ثم قال : (ممن انت يا عبد الله ؟) • فقلت : (احد بني حنظلة) • قال : (فاتتسب) • فاتتسبت حتى بلغت فخذي الذي انا منه • ثم سألني عن بني عذرة اين نزلوا فقلت له : (هل ترى ذلك السفح انهم نزلوا من ورائه) • قال : (يا اخا بني حنظلة ، هل لك في خير تصطنعه لي ، فوالله لو اعطيتني ما ترعاه من هذه الابل ما كنت بأشكر عليها مني لك عليه) •

«فقلت : (نعم ومن انت ؟) • قال : (لا تسألني من انّا ، ولن اخبرك مآكثر من اني رجل بيني وين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم ، فان رأيت ان تأتيهم فانك تجد القوم في مجلسهم فتنشدهم بكرة ادماء تجر خفيها عقلاء من السنة • فان ذكروا لك عنها شيئا فذاك ، والا فاستأذنهم في دخول البيوت وقل : ان المرأة والصبي قد يريان ما لا يرى الرجال. فاذا أذنوا لك فادخل بين البيوت واسأل اهلها حتى لا تدع احدا تصيبه

عينك ولا بيتا من بيوتهم الا وقفت به وسألت) ٥٠٠ •

فدهش حسن واشتدت رغبته في سماع بقية القصة ، وعاد الشيخ الى الكلام فقال : «فأتيت القوم فاذا هم على جزور يقتسمونها ، فسلمت واتتسبت لهم ونشدتهم ضالتي ، فلم يذكروا لي شيئًا ، فاستأذتنهم في دخول البيوت وقلت : (ان الصبي والمرأة قد يريان ما لا يرى الرجال) • يذكرون شيئًا • حتى اذا انتصف النهار وآذاني حر الشمس وعطشت وفرغت من البيوت وذهبت لانصرف ، حانت مني التفاتة فاذا بثلاثة ابيات فقلت في نفسي : (ما عند هؤلاء الا ما عند غيرهم) ، ولكني عدت فقلت لنفسي : (أيثق بي رجل يؤكد ان حاجته تعدل كُلُّ مالي ثُمُّ آتيه فأقول عجزت عن ثلاثة آييات ؟) • فانصرفت عامدا الى اعظمها ، عاذا اهله قد ارخوا مؤخره ومقدمه ، فسلمت فردوا السلام . وذكرت صالتي فقالت جارية منهم : (يا عبد الله قد اصبت ضالتك ، وما أظنك الا قد اشتَّد عليك الحر واشتهيت الشراب) • قلت : (أجل) • قالت : (ادخل) • فدخلت فأتنني بصفحة فيها تمر من هجر ، وقدح فيه لبن ، والصفحة مصرية مفضضة والقدح لم أر اناء قط احسن منه • فقالت : (دونك)• فأكلت التمر وشربت من اللبن حتى رويت • فقلت : (يا أمة الله ، والله ما اتيت أكرم منك ولا أحق بالفضل ، فهل ذكرت عن ضالتي شيئًا) • فقالت : (هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف ؟) • قلت : (نعم) • قالت : (ان الشمس غربت امس وهي تطوف حولها ، ثم حال الليل بيني وبينها) • فظننتني فهمت

مرادها فقلت: (جزاك الله خيرا، والله لقد تغديت ورويت) . ثم مضيت فأتيت تلك الشجرة وطفت بها فما رأيت اثرا . فأتيت صاحبي فاذا هو متسح بكسائه وقد قبع بين الابل ورفع عفيرته يغني فقلت: (السلام عليكم) . قال: (وعليكم السلام عما وراءك؟) . قلت: (ما ورائسي شيء) . قال: (لا عليك ، فأخبرني بعا فعلت) . فقصصت عليه القصة حتى اتهيت الى ذكر المرأة وأخبرته بسا صنعت فقال: (قد أصبت طلبتك) . فعجبت لاني لم اجد شيئا . ثم سألني عن صفة الاناءين والصفحة والله والقدح ، فلما وصفتها له تنفس الصعداء وقال: (فد اصبت طلبتك والله) . ولما ذكرت له حديث الشجرة وعروب الشسس وهي تطوف حولها ، بدا البشر في وجهه وفال: (حسبك) . ففهمت انها ضربت له موعدا للقائه عند هذه الشجرة بعد الغروب . ومكث حتى أوت ابلي الى مباركها ، فنعوته الى العتماء فلم يدن منه وجلس مني بعزجر الكلب ، حتى اذا فنعوته الى العتماء فلم يدن منه وجلس مني بعزجر الكلب ، حتى اذا فنو اني دمت . قام الى عيبة له فأخرج منها بردين ، ارندى احدهما واثنزر طن اني دمت . قام الى عيبة له فأخرج منها بردين ، ارندى احدهما واثنزر الشجرة ، وسنرى ما يكون من اجتماع الحبيبين» .

### \*\*

أمسك الشيخ حسنا بيده ، وجذبه الى الجلوس بجانبه على الارض بين شجيرات هناك ، ثم اشار بيده صامتا نحو شبح صاعد من الوادي وعليه لباس النساء ، ومعه شبح اخر وقال : «هذه هي الفتاة ومعه خادمتها ، اضطجع مكانك لنرى ما يكون» .

فانبطحا ، وبعد قليل زحفا حتى اقتربا من الشجرة واختفيا في مكان بحيث يريان ويسمعان ما يدور بين الفتى والفتاة .

ولو ان الليلة كانت مقمرة ، لتبين لهما ما ارتسم على وجه الفتي حين

وصلت الفتاة ، فوقف وتقدم للقائها وهو يحسب نفسه في خلاء وظلمة ، وكان قلب حسن في اثناء ذلك يضرب ضربات سريعة مخافة ان يرى من الحبيبين ما يخجله او يهيج غيرته ، فندم على اصغائه للشيخ الراعي لما في اختلاس اسرار الناس من امر منكر، على انه أحس بميل شديد لاستطلاع ما يدور بين هذين العاشقين ، واستطلاع مثل هذه الاسرار مما تتوق اليه النفس ، والميل الى ذلك عام في الناس على اختلاف طبقاتهم وان تفاوتوا في احترام نلك الاسرار, والاغضاء عن استطلاعها عملا بالآداب العامة ،

وملتقى الحبيبين على هذه الصورة تميل النفس الى رؤيته ولاسيما عند اهل الغرام فلا عجب اذا اختلج قلب حسن واصطكت ركبتاه واقشعر بدنه و ولم يكن سبب ذلك التأثر الا توقعه امرا يخاف ان يراه ولا يريد ان يفوته و ولكنه ما كاديرى العاشق واقفا لرد التحية حتى عرف من طول قامته وغنة صوته انه جميل الذي رآه اصيل ذليك اليوم في مجلس سكينة و فتحقق ان الفتاة هي بثينة ، لانه كثيرا ما كان يسمع احاديث غرامهما وكيف منعه اهلها منها ولكنه ما زال يحبها حبا مفرطا ، كما انها تحبه هي ايضا و وكان حسن يسمع بحب بني عذرة وعفافهم ولكنه لم يكن يصدق ان مثل ذلك الملتقى في ذلك الخلاء على غفلة من الرقباء

وكانت الفتاة مقنعة فجلست على حجر وجلس جميل على حجر لا يمس ثوبه ثوبها ولا يده يدها ، جلسا متقابلين ينظر احدهما الى الاخر ولا يفوه بكلمة الا ما كان عتابا او تشاكيا ، ولا يقولان فحشا ولا هجرا ، فاستغرب حسن ما رآه من العفة الصادقة ، ثم سمع الفتاة تنسسادي خادمتها وكانت الخادمة قد وقفت على مقربة منهما ، فجاءت تحمل قصعة من الطعام فجلسا يأكلان ويتحادثان فلما فرغا من الطعام قالت بثينة :

«بلغني انك قلت في أشعارا فهل انت على حبك ؟»

قال: «لا أعرف في لغة البشر لفظا يعبر عما في قلبي . فانه !عظم من الحب ، وأشد من الغرام ، وأرقى من العبادة ، ولا ادري ما هو يا بثينة فادا اكتفيت بتسميته حبا فانى لا اراه يؤدي ما في قلبي» .

قالت : «وكيف ذلك ؟»

قال: «لا أدري يا حبيبني • لا أدري كيف هو ولا ما هو !» • ثم صعد الزفرات وقال: «انما أعلم انك نصب عيني أيما سرت وحيثما جلست وكيفما نظرت • ان بثينة امام عيني ، اراها جسما واضحا ومن عداها من الناس اراهم أشباحا او ظلالا • ولم اسمع اسمها الا اضطربت جوارحي وخفق قلبي ، ولا ارى راحة الا بالبكاء ، حتى قلت:

(خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي ؟) ٥٠ وخليلي

فقالت بثينة: «اذا كنت انت كذلك فكيف انا ، ولكننا معشر النساء مقضي علينا بالتعب والشقاء ، فلا تقدر احدانا على بث شكواها الى احد لئلا ينثلم عرضها ، وأما انتم معشر الرجال فلكم الحرية كلها ، وأنت تزعم انك تحبني حبا لا تدري مقداره ، فهل يهجر محب حبيبه وقد احبه الى هذا الحد ؟ فوالله ما أعلم ما تسمعه عني او تقوله في اثناء الهياب الطويل ، ولا ادري موقع بثينة ممن يقع بصرك عليهن ؟» ، قالت ذلك بنغم الدلال فازداد جميل هياما وقال لها :

« اني لأحفظ غيبكم ويسرني اذ تذكرين بصالح ان تذكري ويكون يوم لا ارى لحك مرسلا او نلتقي فيه ، على كاشهممرسلا يا ليتني ألقى المنيسة بغتمه ان كان يوم لقائكم لم يقسدر

لا تحسبي اني هجرتمك طائعا حدث لعمرك رائم ان تهجمري لهواك ما عثت الفؤاد وان أمت يتبع صداي صداك بين الأقبر »

فما تمالكت بثينة عند سماعها قوله ان غصت بريقها وقالت : «وهل انت الذي قلت :

« آلا ليت شعري هل أبيتن ليلـــهٔ بوادي القرى أنـــي أذن لسعيـــــــد وهل ألقين فــردا بثينــة مــــرهٔ تجود لنا من ودها ونجــــــود»

قال : «نعم» •

قالت : «وما الذي ترجو ان نجود به ونحن بنو عذره ؟» قال : «لا أطمع منك يغير الحديث والنظر ولو كان من وراء نقاب :

«لا ، والذي تسجد الجباه لـــه مالـــي بما تحت نوبهــــا خبر ولا بفيهـــا ولا هممت بهــــا ما كان الا الحديث والنظــــر »

فأطرقت بثينة خجلا ثم قالت : «ذلك عهدنا بجميل ، ولولا ذلك ما رأيتني اسعى اليك وحدي» •

فلا تسل عن استغراب حسن والراعي ما رأياه حتى هانت علي حسن نفسه لانه لم يكن يظن انه يستطيع ما استطاعه جميل اذا التقى بسسية • قضى جميل وبثينة ساعة في مثل ذلك ثم نهضت فودعته احسسن وداع ، فودعها بمثله ، وانصرف كل منهما في سبيله وكل منهما يمشي خطوة ثم يلتغت الى صاحبه •

فلما تواريا نهض حسن من بين الاعشاب مذهولا وقال للرجل: «لقد رأيت منظرا طالما تاقت نفسي لمشاهدته ، انه منظر يخجل منه كل

ضعيف النفس دنيء الطبع • ان العفة يا اخا العرب خبر ما في الفضائل» • فقال الشيخ وهو ينقر بعصاه على عباءته لنفض التراب عنها : «كيف لا وقد سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول قال رسول الله ـ صلعم ـ (من عشق فعف فمات فهو شهيد) • وقال ايضا : (عفوا تعف نساءكم)» • فقال حسن : «صدق رسول الله » وان بني عذرة كلهم لشهداء فقد فقال حسن : «صدق رسول الله » وان بني عذرة كلهم لشهداء فقد بلغني مثل ذلك عن كثير من عشاقهم ولكنني لم أصدق حتى رأيت ذلك رأى العين» •

ثم انتبه حسن لما هو فيه من امر جرح سليمان وضياع الجمل فقال للراعي : «اين الجمل يا الحا العرب فقد وعدتني باحضاره» .

قال: «امكث هنا حتى آتيك به» • قال ذلك وانحدر في الوادي حتى توارى عن النظر، ولكن صوت الاحجار المتدحرجة تحت قدميه ما زال مسموعا، ثم ساد السكون فجلس حسن تحت الشجرة ولبث ينتظر عودة الشيخ وقد استوحش المكان •

ولما خلا حسن الى نفسه تحت الشجرة جالت به هواجسه في عالم الخيال فاتتقل ذهنه مما شاهده في ذلك المساء الى سمية وحاله معها ، ثم الى خادمه عبدالله وتأخره ، ثم الى سليمان وأبيه ، ثم عاد السب الجمل الهارب بكتاب خالد فرأى انه اهمل البحث عنه بتربصه هنساك لمشاهدة لقاء ذينك الحبيبين ، ولكنه اعتذر بأنه انما فعل ذلك مرغما ، فلو انه لم يطع الشبيخ الراعي وظل في مسيره لما وجد الى جمله سبيلا لانه يجهل تلك البقاع ولا يعرف طرقها ،

وفيما هو كذلك وظلام المساء لا يريه على الآكام والاودية المحيطة به الا ظلالا ضعيفة ، سمع خربشة بين الاعشاب فوقف بغتة ثم فطن الى انها خربشة ضب سارح فلم يلتفت اليه ، ولكنه ظل واقفا وقد تزايد قلقه لابطاء الراعي وهم باللحاق به ولكنه خاف ان يختلفا في الطريق .

ولما طال انتظاره مل الوقوف فمشى على غير هدي ، واتخذ علامة علقها على الشجرة لتهديه الى المكان من بعيد ، وجعل مسيره في جهة الوادي الذي سار اليه الراعي يطلب الجمل وهو بتوقع ان يلتقي بالشيخ وهو عائد او يسمع جعجعة الجمل عن بعد او يعود الى مكانه ، ولذلك فانه كان كلما مشى بضع خطوات التفت الى الشجرة مخافة ان تتوارى عن بصره وراء بعض النلال ، فمشى مسافة طويلة لم يسمع في اثنائها صوتا ولا رأى شبحا ، ثم نسي امر الشجرة فانحدر في الوادي وهو يتلمس الارض ولا يرى الطريق فكانت رجله تزلق طورا ، وترتطم اصابعه طورا من فوق النعال بأصول الاعشاب الباقية بعد المرعى ، وهو بين ان يحملق نحو الوادي بعينيه و يصيخ بأذنيه او يتفرس في الطريق بين يديه ، فلما طال به المسير ولم يهتد الى شيء ندم لنزوله من مكانه ،

وبعد مسير طويل على تلك الصورة سمع نباح كلاب في الوادي فالتفت الى جهة الصوت فرأى نورا ضئيلا فتأثر الصوت فاذا به يتعاظم كلما اقترب من النور ، فعلم انه على مقربة من بعض القرى الكثيرة في وادي القرى منتشرة في بطنه وعلى جانبيه ، ولكنه استفرب النباح في الليل لعلمه ان ذلك لا يكون الا اذا طرق الحي غاز او لص ، فوقسف ليستريح ويفكر في امره فالتفت الى ما يحيط به فاذا هو في واد بين جبلين والظلام حالك والمكان موحش ولكنه استأنس بتلك النار على بعدها فمشى نحوها فرأى شبحا يعدو صاعدا من الوادي كأنه غزال نافر فلما اقترب منه علم انه الراعي واستغرب مجيئه وحده فصاح فيه : «ما وراه كل يا اخا العرب ؟ واين الجمل ؟»

قال : «ما الذي جاء بك الى هنا ؟»

قال : «جاء بي قلقي على الجمل ورغبتي في التعجيل بالاياب» • قال : «وما الفائدة من انحدارك في هذا الوادي والليل دامس وأنت

لا تعرف الطريق وقد تعرضت للخطر بطرقك هذا الحي ليلا اذ نبحتك الكلاب ، لانها لم تألفك من قبل كما ألفتني لكثرة تردادي الى هـــذه القــرى » •

فقطع حسن كلامه قائلا: «مالنا ولهذا؟ قل لي اين الجمل؟» قال: «لم أعثر عليه في المكان الذي كنت أظنه فيه ، والظاهر انه قصد ماء اخر وقد كنت ذاهبا للبحث عنه في العقيق بجوار المدينة» • فاستعاد حسن بالله وقال: «يا لله! ما هذه المصيبة؟»

فابتدره الراعي قائلا: «لا تخف يا سيدي فلن يضيع الجسل ولو غاب عنك طويلا فان اهل البادية يرسلون ابلهم للمرعى وقد لا يرونها اياما ثم تعود بنفسها او يعود بها غلام او فتاة • وقد كان ذلك شأننا في زمن الجاهلية فكيف ونحن الان في ظل الاسلام ، وأما انتم معاشر اهل المدن فاذا غفل الرجل منكم عن عمامته خاف اختطافها» •

فمل حسن من جدال الراعي فقال له : «مالنا ولهذا الجدال ؟ اين الجمل وكيف السبيل اليه ؟»

فقال : «يغلب على ظني انه سار الى العقيق وهو ماء يخرج اهسل المدينة اليه فيقيمون عنده ساعات او اياما في خيام يحملونها معهم ، وربما ذبحوا الذبائح وأولموا الولائم» •

فقطع حسن كلامه قائلا: «ثم ماذا ؟»

قال : «فالعقيق مجتمع اهل الرخاء من اليثربيين وهو يذكرني ايام الشباب ، فقد كان العقيق موعدنا لنلقى نساء المدينة • لا تغضب يا سيدي اننا سائرون الان جنوبا نحو المدينة والعقيق في طريقنا اليها» •



استفرب حسن بعده عن المدينة شمال المكان الذي ترك سليمان وأباه فيه ، فقال للشيخ : «هلم بنا» • فعشيا والراعي على شيخوخته أسرع عدوا منه لانه تعود المشي في الوعر • اما حسن فلما صعد من الوادي والتفت الى السماء وتبين الكواكب فعلم انه في أواخر الليل بفت لضياع الوقت وهو لم يأت عملا بعد ، وتشاءم مما تأتى له في ذلك المساء وهو انما أمسك عن رؤية حبيبته رغبة في المسير الى مكة على عجل ، فكيف يعود الى الوراء بعد قضاء الليل في المشي والقلق ؟

قضى مدة سائرا في أثر الراعي، على ارض رملية ، بعضها رطب بما يرشح فيه من الماء ، وفكره تائه حتى رأى نجم الصبح فعلم ان الفجر دنا ثم رأى الراعي وقف وأشار اليه قائلا : «ألا ترى الماء امامنا عن بعد؟» قال : «اني ارى سطحا لامعا وكأني ارى فيه سماء اخرى من انعكاس انوار الكواكب» •

ولما رأى الماء شعر بانشراح الصدر واستبشر ببلوغ أمنيته وجعسل يتفرس في ضفاف ذلك الماء لعله يرى اناسا او جمالا فلم ير شيئا • ثم سمع الراعي يقول: «ها اننا على ضفاف العقيق ولا نرى فيه احدا سوى آثار اناس كانوا هنا ورحلوا في أوائل الليل فاقعد على هذا الحجر واغسل رجليك في هذا الماء واسترح رشما آتيك بالخبر» •

قال : «دعنی أسر معك» .

قال: «لا قامكث هنا واغسل رجليك وسأعود اليك على عجسل فاني لا أتحقق الامر حتى اطوف حول هذا الماء و ولا حاجة الى مسيرك معي فقد تعبت ، وان كنت في عنفوان الشباب لان اهل المدن لا يقوون على المسير مثلنا» و قال ذلك والتحف العباءة وسار وحسن يتبعه بنظره حتى توارى ، وما لبث ان سمع الشيخ يناديه فنهض وأسرع حتى أقبل عليه فاذا هو واقف تحت شجرة منبسطة الاغصان وقد قبض بيده على

شيء وهو يقول : «متى خرجت من المدينة ؟»

قال حسن : «نحو الغروب» •

قال : «هل اطعمت الجمل قبل خروجك ؟»

فتحير حسن بماذا يجيب لانه وكل أمر الجمل الى خادمه فقال: «اظن الخادم أطعمه» •

فبسط الشيخ يده فاذا فيها أبعار فقال : «ان هذه الابعار لجمل من جمال المدينة جاء وحده الى هذا المكان من مدة قصيرة ورجع» •

فاستغرب حسن بته في الامر وقال : «وكيف عرفت ذلك ؟»

قال : «عرفته من هذه الاوساخ ، فان فيها النوى وهو علف جمال المدينة لان النوى كثير عندهم • ويظهر من قلة جفافها انها وضعت من عهد قريب • ولم أر واضعها فيكون قد عاد» •

فوجد حسن كلامه معقولا ولكنه لم يقتنع بأن الجمل الذي يشير اليه هو جمله ، اذ لا يبعد ان يكون جمل اناس آخرين فقال له : «وما الذي انبأك انه جملي وليس من جمال الناس مروا بهذا المكان الليلة ؟» فضحك الشييخ وقال : «لو كانت أبعار الجمال كثيرة لرأيناها اصنافا وألوانا ، فهني اذن لجمل واحد ، وهذا الجمل لم يقم هنا الا قليلا ، وأي جمل من جمال اهل المدينة يخرج الى هذا المكان بعد منتصف الليل الا يكون فارا مثل جملك ؟»

فأعجب حسن ببداهة اهل البادية وتذكر اشتهارهم بقيافة الاثر ولكنه ما زال مشككا في ان يكون ذلك الجمل جمله فقال: «لا ارى ما يمنع بعض اهل المدينة من الخروج الليلة على جمله يلتمس بعض الاحياء فمر بالعقيق ليشرب او يسقي جمله او يستريح» •

قال : «قد يكون ذَّلك ، ولكين حالَ المكان ، لا يدل عليه ، لاني لا ارى على الارض آثار آدميين» •

فقطع حسن كلامه وقال وهو يظن انه أفحمه : «الظاهر ان الراكب لم ينزل عن جمله وانما وقف ريشما شرب ثم ساقه» •

فقال: «لا ، لان الجمل لا يستطيع الوقوف تحت هذه الاغصال المدلاة وعليه راكب لانها تمس ظهر الجمل بانبساطها وانحنائها وليس عليه احد» •

قال حسن : «ربما برك الجمل ؟»

قال: «لو فعل لشاهدنا آثار ركبه ، فما الجمل الذي مر من هنا الا جملك ، واذا صبرت هنيهة أريتك الطريق الذي سار فيه فيهون عليك طلبه » •

قال: «وكيف ذلك ؟» • وكان الفجر قد لاح ، وتبينت الارض جيدا فنظر حسن الى ما حوله وراجع ما قاله الشيخ فترجع لديه قوله ، وتحقق ما كان يسمعه عن مهارة اهل البادية في قيافة الاثر ، فلبث لبرى ما يفعله الشيخ فاذا هو قد مشى خطوات قليلة ثم قال: «انظر الى هذه الخطى فانها آثار خفاف جمل يعدو عدوا سريعا ، يدلك على ذلك عمقها وعدم نظامها ، ويظهر ان الجمل عاد الى المدينة» •

فالتفت حسن الى يساره وقد بان الصبح قاذا هو مشرف على المدينة عن بعد ولا بد له من الذهاب اليها • فتذكر حبيبته فيها ولكنه عاد الى التفكير في امر الجمل فقال: «اني لاستغرب ما رأيته اليوم من جملي ولم يكن عهدي به مثل ذلك من قبل» •

قال : «للجمال طبائع غريبة وقد يكون الجمل هادئا ساكنا فلا تراه الا وقد دلق لسانه وأرغى وأزبد وأركن الى الفرار كأنه أصيب بجنة ، وقد يصيبه ذلك على أثر خوف ورعب أو جوع ، ومهما يكن من الامر فأطلب جملك في المدينة ، وأما إنا فاني أستأذنك في العودة الى ماشيتي مخافة ان يكون قد اصاب المي ما اصاب جملك وهي وحدها هناك ما عدا

فأثنى حسن على الشيخ وودعه وسار قاصدا المدينة وقد أنهكه التعب والقلق وأحس بالجوع وتشاءم مما اتفق له فعول على ان يسير توا الى المسجد الصلاة والتبرك ثم يبحث بعد ذلك عن الجمل ، تم تذكر حديث سليمان وأبيه وما فيه من الاشارة الى الفتك به فأحب استطلاع سر ابى سليمان قبل دخوله المدينة لئلا يكون فيه ما يمنعه من دخولها ، فســــار يلتمس المكان الذي تركهما فيه بالامس فاستشرف أكمة قرب سور المدينة فرأى قرب المستنقعات شيئا كالجمل البارك ثم ما لبث ان سمم جعجعة فأسرع حتى دنا من الجمل فاذا هو جمله بعينه وقد وقع عند حافــــة المستنقع وقد كسر فخذه ولم يعد يستطيع النهوض ولكنه رآه عاريا لا رحل على ظهره ولا خطام في رأسه فثبك في ان يكون جمله وظنه جملا اخر ، فتفرس فيه جيدا فلم ير فرقا بينه وبين جمله ، ثم تذكر ميسمه وهو العلامة التي يسمون بها الجمال بسمات القبائل فنظر في الميسم فاذا هو الميسم الذي يعرفه فتحقق انه جمله وانه لم يعد يقوى على المسير فلم يهمه ضياعه وود لو ان الراعي معه ليهبه الحمل فينحره لاهله . تم عاد الى التفكير في الرحل وما كانَّ عليه من امتعته وبينها كتاب خالد بن يزيد، فزاد تشاؤمه من تلك السفرة وقال في نفسه : «لم يعد لي وطر فسي المدينة الان» • ووقف برهة ثم مشى الى الجهة التِّي تركُ فيها سليمـــانَّ مطروحا وبجانبه ابوه فرأى المكان خاليا الا من آثار الدم على صخــر منبسط ، ورأى بجانب الصخر ثوبا معفرا فرفعه فاذا هو القباء وقد تلوث بالدم وتمزق قطعا قطعا فاستغرب تمزقه ، ثم طرح بقاياه وفكر في امر سليمان والكتاب فقال في نفسه : «لعل ابا سليمان عثر على الجبل وهو سائر الى المدينة فلما رآه معطلا حمل رحله معه على نية ان يدفعه الى عند اللتقي» • فارتاح حسن الى هذه الفكرة وهدأ اضطرابه وترجح لديه ان

ابا سليمان حمل ابنه الى منزله في المدينة لمداواته ، فعول على الذهاب السـه .

وفيما هو سائر الى المدينة رأى غبارا يتطاير في عرض الافق مما يلي طريق مكة ، فوقف ينتظر ما يكون فاذا بثلاثة من الابل عليها ثلاثة رجال قد تلثموا وساقوا الابل سوقا عنيفا ، ثم سمع قرقعة اللجم فعلم انها ابل البريد وكان لدواب البريد قعقعة خاصة كأن أرسانها من سلاسل الحديد، او لعلهم كانوا يعلقون في أعناقها جلاجل او نحوها ، فمكث هنيهة ريثما مر البريد فعلم من لباس الرجال وهيئة الركب انهم من العراق فترجح عنده انه بريد الحجاج بن يوسف الى عامل المدينة ،

#### - 1 -

#### حسن وسليمان وابوه

سار حسن في أثر البريد قاصدا بيت سليمان من اقرب الطرق فلما وصل اليه سأل عن سليمان فعلم انه مريض فتحقق انه هناك فاستـــاذن وأقبل على حجرة رأى فيها سليمان راقدا وأبوه الى جانبه فخلع نعليه بالباب ودخل فوقف له ابو سليمان مرحبا به ، وأراد سليمان النهوض فأمسكه وأجلسه وجلس على طرف الفراش بجانبه وجعل يسأله عن حاله وسليمان يحمد الله على انه أحسن كثيرا ، ويعزو الفضل في شفائه الى نجدته اياه ، فقال حسن : «ما أظن المصيبة جاءتك الا بسببي» ، فقال سليمان : «أشكر الله لانه نحاك من الخط» ،

فتقدم ابو سليمان والدمع ملء عينيه وقبل حسنا وقال له: «اغفر زلتي يا بني ، فان الله هددني بالقصاص حتى خفت فقد ابني ووحيدي، وأشكره على السلامة ولانه أكسبني ابنا اخر» •

فنظر حسن الى ذلك الكهل فاذا هو على ما وصفناه من طول القامه وتحافة العضل وقصر اللحية وصغر العمامة ، ولكنه رأى في وجهه دلائل السويداء وانقباض النفس فاذا ابتسم فكأنما يبتسم تكلفا ، وذا ترك ساعة او ساعات ظل صامتا لا يفوه بكلمة كأنه يفكر في مصاب محدق به ثم سألاه عن سبب غيابه ، فقص حسن عليهما الحديت مختصرا ، وكان ينكلم وأبو سليمان يصغي اليه وهو مثبت بصره فيه وكأنه لم يعره كل انتباهه ، فلما جاء على اخر الحديث وذكر لقاء الجمل وضياع الرحل قال: «فلما رأيت جملي بلا رحل على مقربة من المكان الذي كنا فيه ظننا انكم عثرتم على الجمل ورأيتموه معطلا فحملتم رحله معكم لتحفظوه لـــي عندكم » •

قال : «نعم وصلت اليه فرأيت أثر الدم ، ووجدت القباء ممزقا وعليه جلط الدم فعجبت لتمزيقه» •

فقال الرجل : «لا تعجب يا ولدي لتمزيقه لانه مزق قلبي فانتفمت منه فاعذرني » •

فاستفرب حسن ذلك وقال له: «بالله ألا قصصت علي خبر هـذا القياء؟»

فقال له : «اعفني من خبره واقنع بما قلته لك ولو تلميحا» . قال : «وماذا قلت ؟»

قال : «ألم اقل ان هذا القباء هو الذي مزق قلبي لانه كان دليلي الى الفريسة المطلوبة فاذا هي ولدي وفلذة كبدي» .

ففطن حسن الأمور كثيرة كانت موضع شكه ، وتذكر انه ليس من يعلم بوجود ذلك القباء معه غير عرفجة النه اخذه من عنده ولم يلبسه قط ، فاحتاطت به الشكوك ونناوبته الهواجس ، وظل صامتا برهة الا يتكلم ثم قال : «ألا تقول لي من الذي أغراك بقتلي ؟ • فاني اخشى ان اتهم اناسا ابرياء» •

قال : «امرني بذلك رجل كبير في هذه المدينة . وهو صاحب السلطان الاقوى فيها» •

فقهم حسن انه يشير الى عامل المدينة طارق بن عمرو، وكان يعلم بما يين طارق وعرفجة من الصداقة و فترجح لديه ان لعرفجة يدا في هذه المكيدة ، لكنه اسرها في نفسه واعتصم بالصبر الى ان يتم مهمته بمكة وأراد سليمان ان يذهب الانقباض عن صديقه فقال لابيه: «كيف رأيت هذا الصديق يا ابى ؟»

فتنهد ابوه وحاول الابتسام وقال: «لم اكن أشك فيما قلته لي . ولكن سوء حظي ساقني الى ما ارتكبته ولكني أحمد الله على خلاصنا من هذا الخطر» • ثم التفت الى حسن وقال: اني أعتذر اليك من تعمدي قتلك على غير معرفة بك ، ولا أظنني دفعت الى ارتكاب الجريمة الا بما جنيته من الذنب برجوعي عن المطالبة بدم ذلك المقتول ظلما» • قال ذلك وشرق بريقه فسكت برهة وحسن ينظر اليه ويعجب • ثم عاد ابو سليمان الى الكلام فقال: «كنت من التوابين الذين ندموا على تخلفهم عسسن الحسين بن على ، حتى قتل ظلما في سهل كربلاء • ولكنني لم اثبت على الوبني فانتظمت في خدمة الذين قتلوه ، ولا رب ان عملي لم يرض الحق سبحانه وتعالى ، وعلى ان أكفر عن ذلك بتكريس ما بقي من حياتي لنصرة سبحانه وتعالى ، وعلى ان أكفر عن ذلك بتكريس ما بقي من حياتي لنصرة

اعدائهم ، وقد علمت انك سائر الى مكة فهل تستصحبني ؟• والا فاني هائم على وجهى في هذه الصحراء» •

فقال ابو سليمان: «تكلم يا بني ولا تخف فاني بمنزلة ابيك ، بل انا خادم لك ولا أستنكف من امر أجريه في خدمتك ، قل ما بدا لك» ،

قال حسن : «اذا كنت ترى ان تتفضل علي وتعاملني معاملة الاب لابنه فان لي عندك طلبا أستحيي ان أكلفك به» •

قال : «لا تستح يا بني . قل» .

قال : «احب فتاة في هذه المدينة ، وقد خطبتها وأنا مضطر للسفر قبل العقد عليها ، ولا يخفي عليك قلب مثلى في هذه الحال» .

قال : «نعم • ماذا تريد مني ؟ هل تريد ان اوقف نفسي لخدمتها ؟» قال : «كلا فانها في بيت ابيها ولكنني قليل الثقة بمن حولها» • قال : «من هي الفتاة ومن هو ابوها ؟»

فوجم حسن برهة ثم قال : «اذا لم يكن بد من معرفتك اسمها ـ ولا ارى بدا من ذلك ـ فأخبرك انها سمية ابنة عرفجة الثقفي» •

فلم يتم حسن قوله حتى بهت ابو سليمان وازداد لونه امتقاعا وأطرق وصارت لحيته ترقص في صدره ، وكان حسن يلاحظه وقد ادرك ما جال في خاطره ، وجعل ابو سليمان يهم بالكلام ثم يسلك لانه كان مطلما على تردد عرفجة على مجلس طارق ، وعرفجة مشهور في المدينة بخياتسه وسوء نيته ،

اما حسن فلم يمهله ريثما يتكلم فابتدره قائلا : «لا أكلفك اطلاعي على سر ، فقد فهمته وهذا يكفي • اما الفتاة فخطيبتي ولا شيء يسكن ان يثنيها عني او يثنيني عنها • وانما ارجو ان تبحث عنها وتعرف احوالها

وهذه هي وصيتي اليك فاذا قبلتها كان ذلك فوق ما أتمناه» • فقال ابو سليمان : «انا عند ما تريد ، وسأولي امرها اهتمامي ، كما أهتم بولدي هذا • كن في سكينة وراحة بال» •

فلما فرغ حسن من امر سمية عاد الى التفكير في الكناب والخادم فتبادر الى ذهنه انه قد يلقى خادمه في المدينة فيساعده على البحت عن الكتاب وعزم اذا لم ير الخادم فانه يكتفي بابلاغ عبد الله بن الزبير ففد الكتاب ويرى ما يكون ، فنهض مودعا ، فقال له ابو سليمان : «اذا لم يكن بد من سفرك فاجعله من غير الطريق الذي كنا فيه امس ، اخرج من باب اخر وأنا ارسل معك خادمي يهديك الى الطريق ويسوق جبلك بدلا من خادمك ، وسأقدم لك جملا احسن من جبلك فأنعم بالا وكن على ثقة اننا انا وسليمان في خدمتك حتى تبلغ مرامك» ، ثم صاح : «يسا بلال» ، فجاء عبد خفيف السواد حسن الملامح فقال له : «هيىء الجسل الاشرم ، واملا القرب ماء وأعد زاد السفر» ، فذهب بلال ثم عاد وقد أعد كل شيء ففال ابو سليمان لحسن : «اذا كان لا بد من سفرك فسر على عجل ولا تقف ولا تسترح حتى تبعد عن المدينة» ،

فقطع حسن كلامه وقال: «فاتني ان اخبركم عن ابل البريد ، فقد رأيت ثلاثة منها دخلت المدينة في هذا الصباح وأظنها قادمة من مكة» وقال ابو سلسان: «لا يبعد انهم جاءوا لطلب نجدة او مدد ، او بخبر فتح او شيء من ذلك ، اما انا فاني سأتتقل من هذا البيت الى سسواه وأختفي يومين او ثلاثة حتى لا يراني احد لئلا يطلبونني للسير معهم» ثم ودعهم حسن وركب الجمل وسار بلال في ركابه ، وبود حسن لو يعيد النظر الى سسية قبل سفره ولكنه اراد العجلة وخاف الوقوع فيما هو شر من ذلك ه

# سمية في منزل سكينة

فلنترك حسنا قاصدا الى مكة مع بلال ولنعد الى المدينة لنرى ما كان من امر سمية بعد سفره ، فقد تركناها عائدة الى بيت سكينة ومعها عبد الله خادم حسن يسير في خدمتها ، فلما وصلا الى باب البيت قالت له سمية : «قد وصلت الى مأمني فانصرف» ، وكانت قد استأنست به لانه ثقفي متل ابيها فلما ودعها قالت له : «قد علمت يا عبد الله منزلة حسن منى فارعه وكن صادقا فى خدمته» ،

فقال : «انی عبدك وعبده يا مولانی ، واني افديكما بروحي» .

فاطمأنت سمية وأشارت اليه برأسها اشارة الوداع ، فتحول مسرعا يلتمس باب المدينة ليلحق بسيده .

اما سمية فانها اقبلت على بيت سكينة حوالي العشاء ، فتظاهرت بأنها كانت في بعض جوانب المنزل ، وسارت الى مجلسها ، فرحبت بها وسألتها عن سبب تخلفها ، فقالت : «كنت مشتغلة في بعض الغرف هنا»، فقالت لها ليلى : «قد بحثنا عنك فلم نجدك ، وأخشى ان يكون أبساك استبطأ عودتك» ،

قالت : «ربما استبطأني ، ولكنني هنا في مأمن من غضبه : ومتى استبطأني بعث في اثري» •

فلما سسعتها سكينة تقول ذلك امسكت بيدها وقربتها اليها حتسى اقعدتها معها على الوسادة وضعتها وقبلتها وقالت لها: «اهلا بك يا سمية انك من أعز الاحباء» • وكانت سكينة تستلطف سمية وتحبها •

فقالت سمية: «لا حرمنا الله من محبتك يا بنت سبط الرسول ، ان

اقامتك بهذه المدينة بركة وسعادة لنا جميعا» .

ثم جاء الخدم يدعون سكينة الى المائدة ، وقد مدت الاسمطة فقمن للعشاء ، وأما سمية فعادت الى هواجسها واستغربت سكوت ابيها عنها الى ذلك الحين ، ثم خطر لها انه غائب عن البيت ويحسبها فيه ، فرأت ان تستأذن سكينة في العودة الى البيت فأذنت لها ، وبعثت معها بعض الجواري ليوصلنها اليه ،

ولما وصلت سمية الى باب البيت قرعته بطريقة يعرفها الخدم فأسرعت جارية الى فتحه واستقبلت سيدتها وهي تقول : «لقد ابطأت علينا الليلة وشغلت بالنا» •

وكانت هذه الجارية حبشية الاصل اسمها امة الله ، تحب سميسة كثيرا ، كما ان سمية كانت تستأنس بها وتكرمها فلما ابطأ قدومها في تلك الليلة شغل بال الجارية ولم تستطع رقادا ، حتى طرقت سمية البساب فنتحت لها ، وترامت عليها وقبلنها ورحبت بها ، فقالت لها مسية : «ألم يأت ابى ؟ »

قالت: «جاء نحو الغروب ودخل الحجرة المعاومة وأقفل بابها ، وما زال هناك ولا يدري احد ماذا يعمل لانه أنار السراج وحمله بيده الى الغرفة على عادته» .

فدخلت سمية غرفتها وخففت ثيابها لتوهم أباها اذا رآها انها فسي البيت من مدة طويلاً و ولم تستغرب مكثه في تلك الحجرة طويلاً لانه كثيرا ما كان يفعل ذلك وأهل البيت يستغربون تكتمه ولا يعرفون ما في تلك المحفة المخزونة هناك ولولا خوفهم من غضبه واستبداده لتوصلوا الى فتحها ولكنهم كانوا يخافون سطوته وشدة وطأته .

ثم رأت سمية ان تلجأ الى فراشها قبل خروج ابيها من مخبئه مخافة ان يراها ويسألها عن سبب غيابها وربما اساء الظن بها ، فجلست علمى

فراشها ، ودعت أمة الله لتمشط لها شعرها قبل النوم فجثت الجاريـــة خلفها وجعلت تسرح الشعر وتمشطه ووجه سمية الى بلحة الدار ، وكانت سمية ترتاح الى مكاشفة أمة الله ببعض تئوونها الخاصة فقالت لها : «هل شغل بالكم غيابي الليلة ؟»

قالت : «نعم يا مولاتي ، لانك قلما تطيلين الغياب ، ولاسيما ان عبد الله جاء للسؤال عنك» .

قالت : «وأى عبد الله ؟»

قالت : «الرجل الذي جاء صباح اليوم» .

فعلمت سمية انه عبد الله خادم حسن ، فبغتت لعلمها انه فارقها ليلحق بسيده على عجل فأدارت وجهها الى الجارية وقالت لها : «متى جاء ؟»

فالت : «جاء قبل وصولك بقليل» .

قالت : «وهل جاء وحده ؟»

قالت : «لم أر معه احدا» .

ففكرن سمية في الامر ، فوجدت انه جاء بعد ان فارقها بساعة او ساعتين ، فتبادر الى ذهنها انه لم يأت الا لغرض اراده حسن منها ، او لشر اصابه ، فتوالت عليها الهواجس واستغرقت في التفكير ، وعادت الجارية الى تمشيطها وهى فى غفلة عن كل ذلك .

ويينا سمية غارقة في لجبج الهموم لاحت منها التفاتة الى باحة الدار فرأت فيها نورا يتحرك وسمعت صوت باب يقفل فعلمت ان أباها خرج من الحجرة السرية • ثم اختفى النور وسمعت تصفيقا فعلمت ان اباها يدعو الخادم فخافت ان يكون عازما على استدعائها ، فتظاهرت بالميل السمى الرقاد وقالت للجارية : «لم يعد لي طاقة بالجلوس فقد اخذ مني النعاس مأخذا عظيما فاتركيني ، واذا سأل عني ابي فأخبريه بأني نائمة منذ حين» وقمدت الجارية غرضها فضحكت وقالت لها : «لا تخافي» • وتمددت

سمية في فراشها وتظاهرت بأنها استغرفت في النوم ، وبعد قليل سمعت الخادم يسأل الجارية عنها ، وسمعتها تذكر له انها نائمة فانصرف .

وأصبحت في اليوم التالي وهي ما زالت في حاجة الى النوم ؛ فظلت في الفراش حتى الضحى ، ثم جاءتها جاريتها بماء للفســــل وبطعام ، فسألتها عن ابيها فقالت : «أفقت قبيل الصبح على قرع الباب ، ثم علمت ان بعض الناس جاءوا يطلبون سيدي على عجل ، فخرج وهو لم يتم لف عمامته » .

فأطرقت سبية وفكرت في الامر ، فحدثتها نفسها بأن لهذه الدعوة علاقة بخطيبها ، ولما تذكرت سوء قصد ابيها وما سمعته من قدوم عبد الله اليها امس ، تبادر الى ذهنها ان شرا عظيما اصاب حسنا \_ وذلك شأن المحب البعيد عن حبيبه فانه لا يكاد يطمئن قلبه عليه واذا سمع احسدا يذكره تبادر الى ذهنه انه في خطر وقد يفسر الاشارات والرموز والحوادث بما يؤكد ذلك \_ فكيف بسمية وهي تعلم ما ينويه ابوها لخطيبها ؟، فلم تتناول من الطعام الا قليلا ، ولبثت جالسة تفكر في سبب خروج ابيها وتخاف ان يكون فيه ما يسوء خطيبها ،



قضت سمية اكثر النهار في قلق واضطراب ، تارة تمشي في الدار ، وآونة تخرج الى البستان ، وهي تتوقع ان ترى عبد الله آتيا او تسمع خبرا ، ثم سمعت أذان العصر فالتفتت الى مصدره جهة باب البيت فرأت أباها داخلا فخفق قلبها ولبثت تنتظر ما يبدو منه ، فدنا منها وابتسم وناداها اليه فتبعته وهي ما زالت في اضطراب ، ولكنها تظاهرت بارتياح حتى أقبل على غرفة الجلوس فوقف بالباب ينزع نعاله وقال : «كيف قضيت يومك امس عند سكينة ؟»

قالت وهي تتبعه الى وسادته التي تعود الجلوس عليها: «قضيتــه مسرورة ، وعدت وأنت في الحجرة فنمت ونهضت في هذا الصباح ، فعلمت انك خرجت مبكرا فشغل بالى» •

فقطع كلامها ودعاها الى الجلوس بجانبه وعلى وجهه ابتسامة متكلفة فلما جلست قربها منه وضمها وقبلها فأحست ببرد شفتيه واقشعر بدنها لاحتكائه شعر لحيته بذقنها وعنقها لعظم ما كانت فيه من التهيج العصبي الناتج عن القلق ، وقبلت يده فاذا هي أبرد من شفتيه و وتوقعت ان تسمع منه شيئا بعد هذا التملق فاذا هو يقول لها : «أظنك ملت طول المكت في هذه المدينة ؟»

قالت : «اذا كنت انت في خير وسعادة فكل حال ترضيني» •

فأعجبه قولها وألقى يده على كتفها وجعل يلاعب شعرها بين انامله تم قال : «بورك فيك من ابنة مطيعة ، ان مثل هذا القول يجبر قلب الوالد ، هذا هو البر الذي كنت ارجوه منك ، فالحمد لله الذي أذهب ما كان يخامر ذهنك ، وعدت الى ما هو جدير بأمثالك من النزول على حكم آبائهن» ،

فأحست سسية من هذا التعريض كأن صخرة وقعت على رأسها ، وأسرع خفقان قلبها ، ولو انتبه ابوها وهي مستلقية على صدره السمع دقات قلبها ولادرك اضطرابها ، او لعله ادرك وتجاهل خبثا ورياء ، ثم قال ولم يترك لها مجالا للتفكير: «سنذهب غدا لترويح النفس فللسبب العقيق فانه منتزه جميل ، فهل يسرك ان نأخذ طعامنا وشرابنا ونقضي يومنا هناك ؟»

فعجبت سمية من عناية ابيها بأمر نزهتها والترويح عنها ، ولاسيما انه كان لا يخاطبها بالحسنى او يلاطفها الا اذا كان له مأرب من وراء ذلك . فأصبحت لا تسمع منه مثل هذه الملاطفة الا توقعت شرا ، ولكنها لم تكن

تسنطيع غير مداراته فقالت: «اشكرك يا ابي على هذه العناية» و فقطع كلامها وقال: «لا شكر على واجب، فاني ابوك، وسأخبر الخدم ليعدوا لنا خياما وطعاما ويسيروا امامنا الى العقيق قبل الفجر، ثم نركب انا وأنت عند طلوع الشمس ونقضي يومنا في العقيق، فقد مللنا المدينة وأسواقها ونخيلها» وقال ذلك بنغمة الاب الحنون، فلم يسع سمية الا مجاراته، على الها كانت أشد حاجة منه الى النزهة، وخطر لها انها ربسا استطاعت في اثناء مرورها بالشوارع والطرق ان ترى عبد الله و تسمع خبرا عنه او عن حسن و فأثنت على ابيها وقبلت يده، فقبلها ثم صفق فجاء عبد اسود كان قد فوض اليه ادارة شؤون منزله وجعله رقيبا على اهل بيته وكان ذلك العبد قبيح الخلقة عظيم الشفة السفلسى على اهل بيته وكان ذلك العبد قبيح الخلقة عظيم الشفة السفلسى أفطس الانف يكاد الشرر يتطاير من عينيه، ويندر ان يبتسم فاذا فعل غلى الخروج في صباح الغد الى العقيق فأعد ما نحناج اليه من الخيام والاطعمة، وهيىء الهودج لسمية، ثم اسبقنا مع الخدم عند الفجر، وسنلحق بكم بعد ذلك» و

قال : «الامر لمولاي» • وخرج •

ئم نهض عرفجة ودخل الحجرة السرية ، واتجهت سمية الى غرفتها وطلبت من جاريتها امة الله ان تتهيأ لمرافقتها في صباح الغد .

## **\*\***

باتت سمية ليلتها والاحلام المزعجة تنتابها ، وتربها حسنا في خطر ، ورأت مناظر مخيفة اخرى ، فنهضت وهي في اضطراب شديد • فاذا ابوها قد خرج وتهيأ للرحيل ، وجاءتها الجارية فمشطتها وألبستها ثيابها • ثم ركبت معها الهودج ، وركب ابوها بغلة ، وساروا وقد امسك بخطام

الحمل احد الخدم •

وجعلت سعية تطل من خلال الستور على المارة في الطرق وتتفرس فيهم ، فاستغربت امة الله ذلك منها لعلمها بأدبها وحشمتها ، وزاد في استغرابها شدة ما لاحظت في وجهها من القلق ، فلما خرجوا من باب المدينة بالفت سعية في التطلع نحو الطريق الذي يؤدي الى مكة لعلها ترى اثرا او تستطلع خبرا فرأت بجانب باب المدينة خياما ورايات وخيولا وجمالا ، وقد تفرق العبيد بين النخيل وحول المستنقعات يجمعون العيدان للوقود ، فذهلت ولم تفهم امر هذا المعسكر ، ولم تر بدا من ان تسأل أباها فأخرجت رأسها من بين الستور لتبحث عنه فاذا هو قد أركب بغلته نحو المعسكر فظنت انه ذهب لاستطلاع الخبر فأمرت الفلام ان يظل في مسيره فسار حتى بعدوا عن المعسكر وسمية تشرف على الطرق وتتطلع في مسيره فسار حتى بعدوا عن المعسكر وسمية تشرف على الطرق وتتطلع الى كل جهة والقلق باد في عينيها ،

وفيما هي تنطلع سمعت جعجعة جمل يتألم فالتفتت فرأت جمل حسن الذي ذكرنا امره ولم تكن قد رأته الا في اثناء مقابلتها حسنا في المساء ، ولكن صورته انطبعت على ذهنها • فلما رأته خفق قلبها كأنها تنسمت منه رائحة الحبيب ، فأوقفت الهودج عنده ونظرت اليه فرجحت انه جمل حسن وجعلت تفكر في الامر ، فخيل اليها ان حسنا قتل وقد اخذ قاتلوه رحل الجمل وخطامه وتركوه • فلما تصورت ذلك تساقطت دموعها وخفق قلمها جزعا واشفاقا •

وكانت امة الله تلاحظ سيدتها ولكنها لم تجرؤ على مخاطبتها في هذا الشأن الا لما رأت دموعها تتساقط فقالت لها بصوتها الناعم الرخيم: «ما بالك يا سيدتي تبكين لا اراك الله سوءا ؟»

فلما سمعت سمية سؤال الجارية اجهشت في البكاء حتى علا صوتها، فأمسكتها امة الله وقبلت يدها وقالت لها : «بالله كفي عن البكاء وأخبريني

ما سبب ذلك فلعلي أنفعك في شيء، •

فتنهدت سمية ومسحت دموعها بكمها ، ثم التفتت الى خارج الهودج فلم تجد أباها عاد ،ولا رأت احدا يسمعها ، فقصت على جاريتها الحديث مختصرا ، وأطلعتها على مكنون قلبها ، فشاركتها الجارية البكاء ثم قالت لها : «انك لم تتحققي ان هذا الجمل جمل حسن ، وهبي انه جمله فليس معنى هذا انه أصيب بسوء ، ولا أحسب هذا الجمل الا لبعض اهل هذا المسكر انكسر فتركوه ، ومهما يكن من شيء فليس هناك ما يدعو الى الاخذ بالظن والتوهم» ،

فارتاحت سمية لهذا التعليل ، ولكنها تذكرت عبد الله ورجوعه الى منزلها في تلك الليلة فقالت : «ولكن ما سبب رجوع خادمه الينا ؟»

قالت الجارية: «قد يكون جاءك برسالة من حسن فلما لم يجدك عاد اليه بها وسافر معه، ولولا ذلك لرأيته امس • وقد مضى يوم ونحن الان في ضحى اليوم الثاني ولم نره» •

فقطعت كلامها وقالت: «أتظنينه اذا علم بسوء اصاب حسنا ، ينقل ذلك الخبر الي ؟» • قالت: «دعي عنك هذه الافكار وتوكلي على الله» • وفيما هما في الحديث سمعتا وقع حوافر البغلة ، فعلمتا ان ابسا سمية قد عاد ، وبعد قليل وصل الى محاذاة الهودج فنادى سمية فأطلت عليه فقال لها: «لعلى غبت عنك طويلا ؟»

قالت : «نعم ، وقد رأينا خياما وجمالا وخيـــولا فلم نههم سبب وجودها » •

فأجابها وهو يحاول اصلاح الرسن في رأس البغلة: «ان هذا معسكر طارق بن عمرو عامل المدينة ، وقد خرج برجاله وجنده قاصدا مكة» • قالت : «ولماذا ؟»

قال : «جاء بريد الحجاج بن يوسف امس يستقدم طارقا ورجالـــه

مددا له في حصار مكة وعما قليل يسافرون» • قال ذلك وساق بغلت... متظاهرا بأنها هي التي اسرعت من تلقاء نفسها ، فانقطع العديث • وسرت سمية بانقطاعه لتعود الى التفكير في حسن لعلها تلتمس تعليلا يريح بالها والمرء ميال الى التماس مثل ذلك التعليل ، والناس يتفاوتون في مقدرتهم على ذلك • فبعضهم اذا وقع في مصيبة هان عليه تطبيق عواطفه على تلك المصيبة فيجعل لنفسه مخرجا من سوء عواقبها ومنهم من يزيده قلقال ولكنه لا يلبث وان طال قلقه ان يتوصل الى حل يتوكأ عليه ريثما يرى ما يأتى به القدر •

وكانت الجارية قد رفعت أمتار الهودج منذ الخروج من المدينة ، فظلت سعية تسرح نظرها فيما حولها من الهضاب والبطاح وبرك المساء وغابات النخيل ، وهي كأنها لا ترى شيئا لاستغراقها في عالم الخيال ، فلم تنتبه الا على رائحة الشواء ، فالتفتت فاذا هي على مقربة من ثلاث خيام: اثنتين قرب الماء وواحدة منفردة بظل نخلة كبيرة ، فنظرت فرأت نفسها على غير ماء العقيق ، وكانت تعرفه فتفرست فيما حولها فاذا هي ،ا زالت على مقربة من المدينة وخيام المعسكر ظاهرة، وتفرست في الخيام فأدركت انها خيامهم ، فاستغربت ذلك ولكنها لم تعلق عليه اهمية اذ لم يكن لها رغبة في العقيق او غيره ،

وجاء الخدم فأناخوا الهودج بقرب الخيمة المنفردة فنزلت سميسة وجاريتها ودخلتا الخيمة ، ثم رأت سمية أباها واقفا مع عبده على انفراد، وكانت تكره هذا العبد كرها شديدا لغلظ طبعه وفظاعة خلقته ، فاستعاذت من شرهما بالله .

### الفتل او الزواج بالحجاج

عادت سمية الى هواجسها بعد ان دخلت الخيمة ، فأخذت تفكر في حسن وجمله ، وتصورت وقوع ما تخشاه عليه من القتل فازداد بلبالها • ثم خرجت امة الله لمساعدة بقية الخدم في اعداد الاطعمة وظلت سمية في الخيمة وحدها •

وفيما هي على تلك الحال سمعت سعال ابيها ، ثم رأته والعبد قنير قادمين نحو خيمتها فاستعاذت بالله من شر ذلك القدوم ، ثم رأت العبد يبطىء بينسا أسرع ابوها حتى وصل إلى الخيمة فنهضت للقائه ، فقال لها: «كيف رأيت هذا النهار ؟ انه جميل أليس كذلك ؟»

فتظاهرت بالابتسام وقالت : «انه نهار جميل ، ولكنني سمعتك تقول اننا ذاهبون الى العقيق ، وأرانا ما زلنا بباب المدينة !»

قال: «إن العقيق بعيد فأحبت ان نستريح قليلا ثم نستأنف المسير الى العقيق ، وما أريد الا ان تكوني مسرورة فرحة وألا اراك منقبضة النفس وقد تهيأت لك اسباب السرور وانك لتعلمين حبي لك ، وانبي انقطعت عن العالم لاجلك ، ولا أدخر جهدا في سبيل راحتك وسعادتك» فلما رأت مبالغته في التلطف خافت ما وراء ذلك وظلت ساكنة ، فعاد هو الى اتمام حديثه فقال: «ولقد سرني منك انصياعك الى مشورة ابيك في شأن ذلك الشاب ، ورجوعك الى ما هو جدير بأمثالك ، ويسرني ايضا ان أبشرك بسعادة قد وفقك الله اليها ، ويندر ان تنالها فتاة من فتيات المدينة بل هن يضطنك عليها» ،

فازداد قلقها وأحست من وراء ذلك الكلام نذير سوء يزيد فسم

اضطرابها ، فظلت ساكنة وقلبها يخفق ، ومالت الى استطلاع ما فسي نفس ابيها ولكنها خافت ان يكون في علمها بذلك ما يسوؤها ، فلبثت صامتة لا تدري ما تقول ، وكان هو ينظر الى وجهها خلسة ، ويتشاغل بالعبث بلحيته ، فتوقع ان يسمع منها استفهاما ، فلما بقيت صامتة دنا منها وهي مستندة الى عمود الخيمة ووقف امامها وأسند يده الى العمود وجعل يده الاخرى على كتفها ، فاضطربت وازداد قلقها فلم تعد تصبر على السكوت ، ثم اذا هو يقول لها : «لماذا لم تسأليني عن تلك السعادة الني اعددتها لك ، ألا يسرك أن تعلمي بما يبذله ابوك في سبيلك ؟ انك ستصيرين عما فليل سيدة نساء هذا الجيش» ، قال ذلك وأشار السسى المعسكر ،

فلما سمعت قوله علمت انه يعرض بخطبتها لاحد كبار رجال الجيش، فتحققت سوء ما أضمره لها بالامس وانها مقبلة على خطر شديد ، فارتبكت وحارت في امرها ولم تدر بماذا تجيب ، ولكن الاضطراب بدا علمي وجهها ، ولو انه تفرس في قرطيها لرآهما يرتعشان ارتعاشا يحاكمي خفقان قلبها ـ وما ارتعاشهما الا من رجع ذلك الخفقان ـ واحسرت وجنتاها فتشاغلت باصلاح دمالجها في معصميها والنظر اليها في حين انها لم تكن ترى شيئا لان الدمع غشي بصرها ثم تساقط كاللؤلؤ علمي معصميها ، فلما رآها تبكي تحقق انها لا تزال عالقة القلب بحسن ، فأراد ان يقطع املها منه فقال لها : «ما بالك لا تجبيين ؟ ، ألم يعجبك ما دبرته لك من اسباب السعادة ؟ ام لم تفهمي مغزى كلامي ؟ انك ستكونين لك من اسباب السعادة ؟ ام لم تفهمي مغزى كلامي ؟ انك ستكونين عليك فهم مرادي فاعلمي انك ستزفين الى الحجاج بن يوسف كبير أمراء عليك فهم مرادي فاعلمي انك ستزفين الى الحجاج بن يوسف كبير أمراء مولانا الخليفة عبد الملك بن مروان ، وهو ثقيف مثلنا ، وله ما لا أزيدك ميانا عنه من علو الشأن» ،

فلما مسمعت تصريحه لم تعد تتمالك نفسها ، فغطت وجهها بكمهسا وأسندت رأسها الى العمود وظلت صامتة وقد حبست نفسها عن البكاء او التنهد حتى كادت تختنق وهي لا تدري بماذا تجيب ، مخافة ان يفتك بها ، فلم تر سبيلا غير البكاء ، فلما رآها تبكي أمسك يدها وأبعدها عن العمود بلطف فطاوعته وهي تبالغ في الاطراق فقال لها : «أحسب صورة ذلك الغلام في ذهنك ، مع انه قد مضى واتنهى امره فلم يبق لك سبيل اليه ، فاذا كان في قلبك بقية امل فيه فانزعيها واطرحيها جانبا» ،

فأجفلت سمية ، ورفعت رأسها ونظرت الى ابيها وعيناها تقطران دمعا وكأنها في شك من قوله ، فابتدرها قائلا : «صدقيني انه لم يعد لك سبيل الى حسن ، ولا سبيل له اليك ايضا ، لان امره قد انقضى وأصبح في عداد الاموات» •

فلما سمعت قوله صاحت صيحة سمعها كل من في الخيام ، ولطمت وجهها وقالت: «حسن مات ؟ لا • لا • انه لم يمت ، انه حي» وقالت ذلك واستفرقت في البكاء ، وجلست على حصير من سعف النخل كانوا قد فرشوه في ارض تلك الخيمة وجعلت رأسها بين كفيها وأطلقت لدموعها العنان وأبوها ما زال واقفا وقد بغت لما رآه منها ، على انه قال لنفسه : «انها لا تلبث ان تفرغ من البكاء ، فمتى تحققت موت حسن عادت الى رأيي» • فصير هنيهة وهو يظهر الاستخفاف بما بدا منها ، ثم عاد فقال لها : «اراك كأنك لم تصدقي قولي مع انك تعلمين اني لسم أكذبك قط • صدقيني ان حسنا قتل في اثناء خروجه من المدينة فسلا سبيل الى رجوعه • أم تريدين ان تقتلي نفسك من اجله ؟»

فصاحت مولولة وقالت: «نعم أقتل نفسي ، ولا غرض لي في الحياة بعده ، لقد قتلتموه ظلما وغدرا! • ويلك يا ظالم! • كيـــف قتلته ؟ • اقتلني معه • • اقتلني!» • قالت ذلك وعادت الى البكـــاء ، غلما رأى

عرفجة تصلبها عمد الى الملاينة فقال لها: «انا لم اقتله ولكنه قتل بذنبه، ولا فائدة من البكاء عليه ، فاشكري الله على انه مات قبل ان يقترن بك، والا ما وجدت حظوة في عيني الحجاج» .

فقطعت كلامه وقالت: «ما لي وللحجاج؟ اني لا اريد غير حسن • حسن خطيبي • هو وحده حبيبي حيا او ميتا» • ثم أجفلت وقالت: «لا لا ، لم يمت حسن ، بل هو حي وأيدي الظلمة اللئام تقصر عنه» •

فقال عرفجة : «ألا تزالين تذكرين قتله ؟ هل أريك جثته لكسسي تصدقي ؟» • فو ثبت سمية من مجلسها وقالت : «لا • لا • لا تريني اياه ميتا • ويلاه ! • فتل حسن • قتلته انت يا ظالم ! • فافتلني وأرح نفسك مني وأرحني من الحياة • اقتلىي كما فتلت رجلا انقذك وأنقذ اهل يبتك من القتل • ويل لك من مشهد يوم عظيم » • قالت ذلك وقد أحست بقوة عجيبة ويئست من الحياة • فلما مسع عرفجة تقريعها صاح بها : «اقصري يا فاجرة ، أبمثل هذا الكلام تخاطبين أباك ؟ • والله لولا حرمة البنوة ولولا ان يقال اني قتلت فتاة لمزجت دمك بهذه المياه • • • ولكني أعاملك معاملة صبية حمقاء ، وسأصبر عليك قليلا فاذا أبيت الا ما بدا من وقاحتك فاني قاتلك بهذا الخنجر !»

قال ذلك وأسنل من منطقته خنجرا لمع نصله كالبرق فلما رأت النصل تعرضت له وقد حسرت ثوبها عن صدرها وهي تقول: «اضرب ، اغمد خنجرك في هذا القلب ، اطعن ، أتخوفني بالموت ؟ ، ان الموت أحب الي من الحياة» .

فلما رأى منها ذلك العناد صاح قائلا: «أهذه تتيجة تعبي في تربيتك يا فاجرة ؟ لقد حل لي قتلك ، ولكني لا ألوث يدي بدمك وسترين قبل موتك جميع اصناف العذاب» ، ثم صاح : «قنبر» ، فأقبل ذلك العبد بأسرع من لمح البصر كأنه كان في جيب عرفجة وأخرجه بيده ، وقال :

«لبيك يا مولاي» • فقال له : «شد يدي هذه الخائنة بالامراس وقيد رجليها بالحبال وسأريها عاقبة العناد» •

فلما رأن سسية قنبر مقبلا نحوها وتبت من مقعدها وصاحت به . «اذهب يا عبد السوء لا تدن مني • اغرب من وجهي ، لا تدن مني • ادهب قبح الله وجهك» • قالت ذلك وهي لا تعي ما تقول •

اما قنبر فأخرج من جيبه حبلا كان قد أعده لمئل هذا الغرض ، وهجم عليها وهو لا يبالي صياحها فقبض على يدها وهي تحاول التخلص منه، وقد اشتد ساعداها حتى صارت مثل أشد الرجال ونسيت حزنها ، ودفعته عنها وهو يحاول اخضاعها بلا عنف ، فلسا رآها تدفعه وتقاومه عزم على استعمال العنف فصاح فيها صيحة دوت دويا عظيما وجذبها من يدها فلطم رأسها عمود الخيمة ، فوقعت مغشيا عليها ، فأخذ في شد وثاقها غمسير مكترث لحالها ،

وكان الخدم قد مسعوا صياح سمية ، ولكن لم يجرؤ احد منهم على الاقتراب من الخيمة الا امة الله جاريتها فانها هرولت خلسة واستترت وراء نخلة حولها عشب العليق ولبثت تسترق السمع ، فلما رأت هجوم قنبر على سيدتها علمت انه لن يحجم عن فتلها ، ثم سمعت لطمة عقبها سكوت فخافت ان يكون قد اصاب سمية سوء ، فلم تر سبيلا الى نجدتها الا بالحيلة ، فأسرعت الى عرفجة وترامت على قدميه وقبلتهما وقالت : «بالله ألا اشفقت على سيدتي وأغضيت عن جرأتها وأنا اضمن لك كل ما تريده منها » ،

وكان عرفجة يعامل سمية بذلك العنف لكي يحملها على قبــــول الزواج بالحجاج ، لانه يرجو من وراء ذلك منفعة كبرى لنفسه وقد ذكرنا ما فطر عليه من حب الذات والطمع مع سوء النية وقد بلغ منه الطمع حدا هون عليه تقديم ابنته ضحية على مذبح أغراضه ، ومــات

ضميره فلم يعد يهمه ما يرتكبه في مبيل بلوغ مقاصده وكان يعلم ان الصحاح يرغب في الزواج بسمية ويبذل لها مهرا كبيرا ، ولكنه كسان يخاف ان تشكوه لعبد الملك بن مروان بوساطة سكينة بنت الحسين او غيرها من اهل الوجاهة والنسب في المدينة و فلما اطمأن الى مقتل حسن اخبر طارقا بن عمرو امير المدينة بأن مثل ابنته لا تليق بغير الحجاج بن يوسف وانه يعلم برغبته فيها وكان طارق ايضا مثل عرفجة قسوة وطمعا ولا سبيل له الى غرضه الا اذا تقرب الى الحجاج بما يرضيه ، فرأى ان يتقرب اليه بسمية فيخطبها له ويحملها اليه و فوافق عرفجة وساعده على التخلص من حسن ودفع اليه بعض مهر سمية ، على ان يأخذ بقية المهر بعد وصولها الى الحجاج بالقرب من مكة و

وكان عرفجة يعلم ميل ابنته الى حسن ، ونفورها من الحجاج وغيره، ويتوقع اباءها فهيا الاسباب لاقناعها بأية وسيلة ، وتواعد مع طارق على ال يخرج بها الى قرب المعسكر ويحاول اقناعها بالحسنى فاذا لم تقتنع عمد الى العنف فيحملها الى الحجاج مكرهة ولم يكن هو ينوي الذهاب معها لغرض له بالمدينة يتعلق بتلك المحفة السرية ، فأراد اقناعها خارج المدينة وارسالها توا الى مكة مخافة ان تفر الى سكينة وتلتجىء السمى بيتها في المدينة فتحميها او تساعدها في ابلاغ امرها الى عبد الملك بن مروان قبل وصولها الى الحجاج ، اما بعد ان تسير الى مكة ويتزوجها الحجاج فلا يعود هناك محل للشكوى ، ولا يهمه ان تشكو سمية اذ الحجاج فلا يعود هناك محل للشكوى ، ولا يهمه ان تشكو سمية اذ يكون قد نال بنيته ، ولذلك اوصى طارقا بأن يعقد الحجاج قرائه بها حال يكون قد نال بنيته ، ولذلك اوصى طارقا بأن يعقد الحجاج قرائه بها حال الى المعسكر كما تقدم ، فلما رأى نفورها مما عرضه عليها من المسبر الى المدر امره الى قنبر بشد وثاقها وخرج هو من الخيمة لا الحجاج ، اصدر امره الى قنبر بشد وثاقها وخرج هو من الخيمة لا يلتفت اليها ،

فلما لقيته امة الله وترامت على قدميه ووعدته باقناعها ، نادى عبده فخرج ، وأمر امة الله فدخلت الخيمة وحدها ، فرأت سيدتها مغمي عليها فبادرت الى ركوة من جلد فيها ماء فرشت سمية به حتى افاقت ، وأخذت في حل وثاقها ، فلما رأت سمية جاريتها فوق رأسها تقبلها وتحساول انعاشها ، ارتدت روحها اليها ، وسمعت امة الله تقول لها بصوت منخفض: «ماذا فعلت بنفسك يا سيدتى ؟ ما هذا الذي ارى ؟»

فعادت سمية الى البكاء وقالت : «أتسألينني يا امة الله عن ما ترينه، لقد مات حسن قتله الظالمون قبحهم الله» •

فقطعت امة الله كلامها ووضعت يدها على فمها وهمست في أذنها وهالت : «اخفضي صوتك لنتدبر الامر بالحكمة لان العنف لا يجدي» والت سمية : «دعيني يا امة الله و فاني لا اريد الحياة بعد مقتل حبيبي ومنية فؤادي حسن و لقد قتلوه لعنهم الله إو ليتهم قتلونسي عوضا عنه» و

فتقطع قلب امة الله حزنا على سيدتها ، ولكنها كانت عاقلة حكيمة صاحبة دهاء ، فتجلدت وقالت : «من قال لك انهم قتلوه ؟»

قالت: «أتسألينني ؟ أما رأينا معا جمله مكسورا مهجورا ؟ وهبي ان ذلك لم يكن يدل على قتله فما قولك وقد اخبرني بقتله ابي الظالم الخائن ، وعرض على ان يريني جثته رأي العين ؟ هل بعد ذلك من شك ؟ وهل تلومينني اذا ندبت حياتي ونحت على شبابي ؟ وهل ترين سبيلا الى راحتي غير الموت ؟»

ففالت الجارية: «ان امر القتل لا يمكن ان نعده يقينا حتى الان ، وليس يخفى عليك رغبة ايبك في تزويجك بالحجاج ، فلعله ادعى ان حسنا قتل لكي يحول قلبك عنه ، ومع ذلك فان قتلك نفسك امسسر مستدرك ولا يجوز لك ذلك الا بعد ان تنيقني انهم قتلوا حبيبك .

فعليك ان تصبري ، ثم اذا لم يفتح الله عليك بابا للفرج ورأيت الحجاج أوشك ان يبلغ مرامه منك ، فليس أسهل من ان تقتلي نفسك بتجرع السم قبل وصوله اليك» •

قالت : «ومن اين آتي بالسم ؟»

فالت: «انا آتيك به ، فاشترطي على ابيك ان اكون في خدمتك ، وأنا أهيى، لك السم ، ومتى تحققت انقطاع الامل ، أسعفت به ، وتجرعت منه معك ، اما الان فدعي العناد وتظاهري بالرضا ، ولا يبعد ان يفتح علينا قبل وصولنا الى هذا المعسكر ، او قبل وصولنا الى مكة ، او لعلنا نجد حسنا في الطريق فتذهبين اليه ، وليس يليق بك ان تطلقي لنفسك عنان الياس ، اذ ماذا يكون الشأن اذا قتلت نفسك وكان حسن لا يزال حيا ؟»

فلما سمعت سمية كلام امة الله أحست بانشراح صدرها وارتاح بالها وعادت اليها الآمال ، والانسان سريع الرجوع الى الامل لان طبيعية الوجود تبعده عن اليأس ، وحب ذاته يهون عليه الرجوع عن الانتحار حبا في البقاء ، ويندر ان يرتكب احد جريمة الانتحار بعد اعماله الفكرة والتبصر ، وما لبثت سمية ان استحسنت رأي جاريتها فقالت لها : «افعلي ما بدا لك ، فأنت تعرفين ما في قلبي ، فعسى ان يأتيني الله بالفرج على يدك» ،

فسرت الجارية لنجاحها في اقناع سيدتها ، ولكنها شعرت بهـــول الموقف ، وكانت ترجح موت حسن ، على انها عمدت الى الصبر وخرجت الى سيدها وكان واقفا مع عبده تحت نخلة . فلما رآها اومأ اليها ان تدنو منه ، فمشت منحرفة عن موقفه ففهم انها تريد الاختلاء به فمشى وحده حتى التقيا ، فقالت : «اني رأيت سمية مطيعة لك في كل ما تريد، لكنها استوحشت معاملة قنبر فلا تدعه يخاطبها او يكلمها ، ولا يخفى

على مولاي ان من كان في حال مسية لا يؤخذ بالعنف ، وقد خاطبتها الان باللين فرأيتها لانت . ولا بد من جلسة اخرى أتمم بها المراد ، فاذا كان لا بد من ارسالها الى معسكر طارق اليوم فدعني اكن في خدمتها حنى نأتى الحجاج ولك على كل ما يسرك ،

فاطمأن بال عرفجة وهان عليه ابعاد قنبر عنها ، وأطاع امة الله في ارسالها معها وقال لها : «لا بد من ذهابها الى خيمة أعدوها لها في معسكرهم ولا آمن ان تسير وحدها ، فاذهبي انت معها وأكدي لها اني لم أفعل ما فعلته الا رغبة في راحتها» •

فقبلت امة الله يده وقالت : «بارك الله فيك ، ولكن سمية تحتاج الى احضار ثيابها وأدوافها» •

فقطع عرفجة كلامها وقال : «كل شيء معد لها في خيمتها بالمعسكر وما عليها الا الرجوع اليه» •

تقالت امه الله: «ادخل الان عليها في الخيمة ، وكلمها كلاما لينا» ه فالت ذلك ومشت فمشى عرفجة حتى دخل الخيمة فرأى سمية جالسة باكية ، فدنا منها وأمسك بيدها وقال: «لقد ساءني ما الجاتني اليه من الكلام الجافي ، ولكني علمت من امة الله انك فعلت ذلك بالرغم منك، فانهضي وسيري معها الى خيمتك في المعسكر ، وقد اوصيتها بأن تكون في خدمتك» •

فنهضت سمية مطرقة ، فأسرعت امة الله الى يد عرفجة وقدمتها الى سمية وهي تقول : «قبلي يد ابيك ليتم رضاؤه عنك» • فقبلتها • وكان الهودج لا يزال معدا فقبلها وأركبها ، وأمة الله معها ، وركب هو بغلته وسار امامهما حتى أوصلهما الى المعسكر وسلم الجعل الى عريف الجند• فتسلمه العريف وسار معهم الى خيسة في بعض اطراف المعسكر •

كانت سمية في اثناء الطريق غارقة في هواجسها وقد زال اثر كلام المة الله في نفسها • ولما مرت بالمكان الذي كان الجمل المكسور فيه رأت بعض العبيد قد نحروه وأخذوا في سلخ جلده ، فتصورت انهم قتلوا حسنا ونحروا جمله ، وعظم عليها الامر ولكنها تجلدت ، وكانت امة الله تراقب حركاتها خلسة • وبعد هنيهة وصلوا الى المعسكر فتحققت سمية انها وقعت في الشباك وعز عليها ان تزف الى رجل فظ غليظ القلب بدلا من حبيبها ، فاستوحشت وزاد قلقها لله والفتاة اذا زوجوها برجل تعرفه وترضاه لا بد من استيحاشها في اوائل ايامها الا اذا كان زواجها عن غرام متبادل فكيف بسمية وهي ترجح قتل حبيبها ظلما ، وترى ان أباها قد باعها لرجل لا تحبه والناس يتحدثون بقساوته وشدته وبأن امره نافذ لا مرد له ؟

فلما وصل بعيرها الى الخيمة المعدة لها اناخوه وأنزلوها وأمة الله معها ثم دخلتا الخيمة فرأت سمية صندوقها وفراشها وكل معداتها هناك فجلست على بساط كانوا قد فرشوه لها و وجلست امة الله الى جانبها تحادثها وتلاطفها ، وسمية تنظر الى خارج الخيمة تتشاغل بما تراه من حركات الجند والعبيد والخيل والجمال وهي مستغرقة في الهموم ووكان أشد ما شغل ذهنها ان رأت كلبا ينهش خرقة سوداء ويلاعبها بين يديه فيقذفها ثم يعدو في اثرها عدوه الى فريسة ، وتلك عادة الكلاب اذا لم تكسسن جائعة ثم اتفق ان قذف الكلب تلك الخرقة فوقعت بين يديها ، فما كاد بصرها يقع عليها حتى اجفلت وخفق قلبها ومدت يدها اليها ففر الكلب من امامها ه

فأمسكت الخرقة بأنملتين ورفعتها وتفرست فيها فاذا هي ملوثـــة بالدم ، وما لبثت ان قلبتها وصاحت : «ويلاه هذا هو القباء ، هذا قباء ابي قتل حسنا به ۱»

فتناولته امة الله من يدها وقد عرفته ولكنها راحت تغالط سميــــة لتخفف عنها فقالت : «كيف عرفت انه قباؤه والاقسة تتشامه ؟»

فقطعت سمية كلامها وقالت: «قد عرفته من هذا الوشي على هذا الكم فاني طرزته بيدي وأنا أعلم الناس برسمه» • قالت ذلك وشرقت بدموعها ولم تنتظر جوابا من امة الله وأخذت تبكي وتقول: «قتلوه • لم يبق عندي شك في قتله» •

فقطعت امة كلامها وقالت : «وما علاقة هذا القباء بقتله ؟»

قالت: «ألا تتذكرين ان ابي اهداه اليه يوم عزمه على السفر ، وألح عليه ان يلبسه للوقاية من البرد ؟ ويل له من مشهد يوم عظيم • لقد ألبسه القباء وأوعز الى احد من صنائعه ان يقتله وكأنه اتخذ القباء دليلا عليه فأصابوا غرضهم منه ، وهذه هي بقية القباء وعليها الدم • فهل من بعد هذا شك في انهم قدلوه ؟ • وما العمل ؟ كيف أسلم نفسي الى قوم قدلوا حبيبي ؟ » • قالت ذلك وغصت بريقها •

ُ فقالت امة الله : «سلمي امرك الى الله ولا تيأسي مــــن رحمته • واعلمي ان ما يقدره الله واقع • فاصبري والله مع الصابرين» •

فلم تر سمية غير الصبر فصبرت نفسها • والمرء قبل وقوع المصيبة يتوهم انها اذا وقعت يستحيل عليه احتمالها ، وقد يتوهم ذلك ايضا اهله وذووه ، ولكنه متى وقعت لا يعدم سبيلا لاحتمالها والصبر عليها وأمثال هذه الحوادث كثيرة نراها كل يوم • فلا غرو اذا صبرت سمية بعد ما تحققته من مقتل حبيبها •

وفي أصيل ذلك اليوم نودي الجند: «الخيل الخيل» فركبوا بعد ان قوضوا الخيام، وساروا والفرسان في مقدمتهم وأصحاب الرايات بينهم وفيهم رؤساء القبائل يحيطون بطارق بن عمر، وكلهم بلباس اهل البادية الاهو فانه لبس درعا فارسية كان قد جاء بها من العراق •

اما سمية فحملوها على هودج ومعها خادمتها ، وكان يقود الجمسل عبد ، ويسوقه عبد ، والى كل من الجانبين حارس على هجين ، وكسان طارق يتردد الى الهودج يتعهده ويسئال اهله هل يحتاجون الى شيء ، ثم يركض فرسه الى اطراف الجند ينفقده ويدير شؤونه ،

\* \* \*

فلنترك سمية في هودجها تفكر في مصيرها ولنرجع الى المدينة للبحث عن عبد الله خادم حسن فقد تركناه راجعا من بيت سكينة بعد ان أوصل سمية اليه • ثم اخبرت امة الله سمية انه جاء الى المنزل للسؤال عنها فلم يجدها فرجع على أعقابه •

وكان عبد الله لما رجع من بيت سكينة قد اسرع لملاقاة سيده خارج بأب المدينة ، وهو قلق لما سمعه من حديث سمية مع حسن في نلك الليلة وتصور ما يحدق بسيده من الاخطار فسار وهو يفكر في الامر ، ونسي نفسه فأخطأ الطريق وخرج من غير الباب الذي خرج منه حسن ، ثم سار من طريق اخر يؤدي الى جهة اخرى ، وكثيرا ما يتفق ذلك في مثل هذه الحال فيتجه الرجل شرقا وهو يرى انه يسير غربا ، وبعد ان سار ساعة وهو لا يرى راكبا ولا يسمع صوتا وقد اشتد الظلام ، وقف ونظر الى ما حوله فاذا هو بين النخيل لا يتبين الطريق ولا يدري اين هو ، ولكنه لم يكن له علم بطريقة الاستدلال بالكواكب ، فحول سيره الى جهسة اخرى ، ولكنه لم يصل الى المكان المقصود ، على انه كان كلما بعد عن المدينة استدل عليها ببعض ما يدو فيها من الانوار فيرجع الى جوارها ، وحدثته نفسه بدخولها ولكنه خاف ان يكون سيده في انتظاره ببعض ضواحيها ، ثم بدا له ان سيده ربما ،كان قد عاد الى بيت سمية لسبب ضواحيها ، ثم بدا له ان سيده ربما ،كان قد عاد الى بيت سمية لسبب ما ، فرجع الى المدينة وجاء منزل عرفجة فلم يجد سمية هناك كما تقدم ،

فعاد الى خارج المدينة وقضى ليلته في هذا الاضطراب •

وقبل الفجر سمع جعجعة جمل يتألم فولى وجهه شطر جهة الصوت ، وقد خيل اليه انه جمل سيده ، فاستأنس به ، وأخذ ينادي الجمل بما تعود ان يناديه به من الاسماء والاصوات فازداد الجمل جعجعة ولكنه بقي في مكانه حتى بلغه عبد الله فعرف انه جمل سيده حقا غير انه لا يستطيع النهوض كأنه معقور ، فغاص عبد الله في الماء حتى دنا منه فأدار الجمل رأسه اليه كأنه يحييه ويستنجده ،

ولما تحقق انه معقور ، ولم يجد حسنا عنده ، اضطرب وشغل باله : فأسرع الى الرحل فنزعه عنه ، ووقف مدة وهو يفكر فيما عسى ان يكون قد حدث لحسن • واتستد به الاضطراب والقلق • ولم يجد فائدة من ان يسأل عنه في بيت عرفجة لانه لم يجده هناك بالامس ، وقد خشي اذا سأل سمية عنه ان يزيد في بلبالها ، فخطر له ان يقصد الى المكان الذي باتا فيه ليلة وصولهما الى المدينة مع ليلي الاخيلية ، فسار اليه ، ومر اثناء مسيره بمنزل عرفجة فتنسم الاخبار ، ولما لم ير اثرا لحسن واصل السير حتى اتى البيت فلم يجد به احدا ، فجلس وقد اخذ التعب منه مأخذا عظيماً ، ووضع الرحل بين يديه وجعل يفتشه فوجد اسطوانة مختومة وعليها اسم عبد الله بن الزبير فعلم انها الرسالة التي يحملها حسن الى مكة • فلما رآها ازداد قلقه وقال في نفسه لو ان حسنا ترك الجمـــل باختياره لحمل هذا الكتاب معه ، لآنه انما جاء هذه الديار من اجله . فترجح لديه انه قتل او أصيب بمكروه، فقضى نهاره لم يذق طعاما، وأخذ يندب مولاه تارة ، ويعلل نفسه بلقياه تارة اخرى . ولم يغادر سوقا ولا دربا من دروب المدينة الا مر به وهو يتفرس في وجوء الناس ويتنسم الاخبار ، فلم ير الا انهماك الناس في اعداد النجدة للحجاج عملا بما حمله البريد اليهم • وبات ليلته بالدينة وهو يفكر في الامر ، فقر رأيه

اخيرا على ان يحمل كتاب خالد الى عبد الله بن الزبير في مكة فيتم المهمة التي جاء حسن من اجلها ، على ان يبحث عنه في اثناء ذلك .

#### -11-

# عبد الله بن الزبير

كان عبد الله بن الزبير بن العوام من كبار الصحابة ، وكان قد رفض المبايعة ليزيد بن معاوية كما رفضها الحسين بن علي ، وخرجا من المدينة الى مكة ، ودعا كل منهما الى يبعته هو ، على ان عبد الله رأى ألا يتظاهر بذلك والحسين في مكة لعلمه انه أولى منه بالبيعة ، فلما كمان شخوص الحسين الى الكوفة ومقتله في كربلاء ، خلا الجو لابن الزبير فبايعه الناس واستفحل امره ، وجعل مكة عاصمته ، وبايعه اهل الحجاز واليمن ، وحاربه بنو أمية ولكنهم لم يبلغوا منه وطرا ، فلما كانت خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان الحجاج يومئذ احد امراء عبد الملك ، ولهذا ثقة في شجاعته ، رغب الحجاج في قتال عبد الله ، وقص على عبد الملك رؤيا قال انه رأى نفسه فيها وقد اخذ ابن الزبير وسلخه ، وطلب مسن عبد الملك ان يشخصه لقتاله ، فأشخصه في ثلاثة آلاف من اهل الشام، وأعطاه كتاب امان الى ابن الزبير ومن معه ان اطاعوا ، وأوصاه بأن يرفق بالكعبة ،

فسار الحجاج سنة ٧٦ هـ، وحدثت بينه وبين ابن الزبير مناوشات لم يتم الفوز فيها لاحدهما ، فمل الحجاج ، وأرسل الى عبد الملك يستأذنه

في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ، فأذن له وأنجـــده بخمسة آلاف آخرين ، فاشتد بذلك ازر الحجاج ، وحاصر الكعبة ورماها بالمنجنيق ، فعظم ذلك على المسلمين وأنبوه ، ولكنه أصر على رأيه ، وطال الحصار على اهل مكة حتى قل زادهم وأصابهم جوع شديد ، وكانت مكة يومئذ قليلة العمارة ليس فيها غير المسجد وفي وسطه الكعبة وبعض الابنية ، وكانت الكعبة قد تهدمت في حصارها قبل قدوم الحجاج فأعاد ابن الزبير بناءها على أوسع مما كانت عليه ،

ونصب الحجاج المنجنيق على جبل ابي قبيس المشرف على مكة من حهة الشمال والشرق •

وكان ابن الزبير مقيما مع اهله بالمسجد الحرام ، ومعه جماعة مسن رجاله قد بايعوه حتى المون وصبروا معه صبر الرجال ، وأما الحجاج فكانت خطته ان يستمر في نضييق الحصار على عبد الله ، وبعث بسراياه يطوفون حول مكة يمنعون الدخول اليها والخروج منها ، ولما طال آمد الحصار، دون ان يستسلم المحاصرون استنجد الحجاج طارقا امير المدينة كما تقدم ،

\* \* \*

ولنرجع الى حسن وقد خرج من المدينة على جمل اهداه اياه ابسو سليمان ، ومعه العبد بلال ، وبعد مسيرة ايام اشرفا على مكة عند الغروب فرأياها محاطة بشراذم من الفرسان بطوفون حولها ، فقال بلال : «اني ارى الطلائع الاموية حول مكة ، ولا آمن اذا واصلنا السير ان يمنعونا، فهل تأذن لي في الخروج اليهم للاستطلاع ثم اعود اليك ؟»

فوافقه حسن على ذلك ، وأوصاه بالرَّجوع اليه عند حائط انتظره فيه بعيدا من الطريق العام • وسار بلال ، واتجه حسن الى ذلك الحائط ، وهو من آثار بناء قديم هناك ، وترجل وعقل جمله وراء الحائط ثم اتكا بجانبه بحيث لا يراه احد من المارة ، ولبث مدة وقد طاب له الاتكاء لعظم ما قاساء من الجهد في اثناء ركوبه الطويل من المدينة الى مكة فأحس براحة ، ولكنه ما لبث ان رأى الشمس تغرب والظلال تتقلص وبلال لم يرجع ، فلما آن العشاء استبطأه وحسب لتأخره الف حساب ، ثم وقف وتسلق الحائط وجعل ينظر الى الافق لعله يراه قادما ،

وفيما هو في ذلك سمع سعال بلال ، فالتفت فرآه قادما يعدو عدو الغزال والارض رملية لا يسمع وقع الخطى عليها ، فلما وصل اليه قال: «لا سبيل لنا الى مكة الليلة لان رجال الحجاج مضيقون عليها الحصار، من كل ناحية حتى لا يدخلها احد ولا يخرج منها احد» .

قال حسن : «وما الحيلة ؟. لا بد من دخولنا» .

قال : «ليس لنا يا مولاي الا أن نصبر الى القد ؛ لأبحث عن سبيل الى دخولنا» •

فقال : «أنيقي وراء هذا الحائط الى الفد ؟»

قال : «كلا يا مولاي ، فقد دبرت وسيلة أظنها تريحك وتسهل عليك الدخول » •

قال : «وما هي ؟»

قال : «أتعرف محمدا بن الحنفية ؟»

قال حسن : «كيف لا وهو ابن الامام علي ، وأخو الحسن والحسين من ابيهما ؟»

قال : «ان له حرمة عند الحجاج وعند ابن الزبير ، فاذا وسطناه دخلنا مكة على اهون سيل» •

قال : «كيف تكون له هذه الحرمة وهو عدو لابن الزبير ولعبد الملك،

لانه يزاحم الاول على الخلافة في الحجاز ، ويزاحم الاخر على الخلافة في الشام • ألم تسمع بحديث المختار ؟»

فقال بلال : «كيف لم اسمع به ؟»

فقال حسن ولم ينتظر اتمام جوابه: «لقد كان المختار يطالب بالخلافة لمحمد بن الحنفية ، ثم قتله مصعب اخو عبد الله بن الزبير المحصور في هذا الحرم الان ، وجاء عبد الملك بن مروان فحارب مصعبا وقتله وأخذ العراق منه» •

قال: «صدقت يا مولاي ، ولكن المختار طلب من تلقاء نفسه البيعة لابن الحنفية دون ان يكلفه هذا بذلك ولا اراده ، وقد لجأ المختار الى هذه الخطة تمهيدا لاسنقلاله بالامر لنفسه ، وعلى هذا حمل الكرسسي المشهور امره عند الناس ، وزعم انه كرسي الامام علي ، كما ادعى ما يشبه النبوة حتى كرهه الناس ونفروا منه» .

فقال حسن : «هل رأيت ذلك الكرسي وهل تعرف اصله ؟» قال : «ان سر هذا الكرسي عندي ، وطالما جلست عليه قبل ان يصبح

مقدسا كما ادعى المختار» •

قال : «وكيف ذلك يا بلال ؟ انك والله لواسع الاطلاع» •

قال: «ان الذي يعيش طويلا يرى كثيرا ، فقد اتفق لي منذ بضع سنين وأنا في المدينة اني اصطحبت رجلا اسمه الطغيل بن جعدة بسسن هبيرة ، وكانت جدته أم جعدة اخت علي بن ابي طالب ، وكان يتردد الى جار له زيات كنت أتردد اليه احيانا ، فأصيب الطفيل يوما بضيق ولم يبق معه ما ينفقه على نفسه ، وكان المختار يومئذ قد قام لمحاربة قتلسة الحسين ، فأراد الطفيل ان يحتال عليه ليكسب منه مالا ، فاشترى من جاره الزيات كرسيا قديما كان مهملا عنده ثم غسله وسقاه الدهن حتى لمع ، وذهب به الى المختار وقال له: اني كنت أكتمك شيئا وقد بدا لي ان

أذكره لك ، ان ابي جعدة كان يجلس على كرسي عندنا ، ويروي ان فيه اثرا من علي ، فقال له المختار : سبحان الله لماذا كتمت خبره ، ابعث به الي ، فبعث به اليه وقد غشاه بملاءة ، فدقع له اثني عشر الف درهم ، فأخذها الطفيل وانصرف ، ثم غشي المختار الكرسي بالديباج وزينه بأنواع الزينة ، ودعا الناس الى المسجد حيث اراهم اياه بعد الصلاة وقال لهم : (ان هذا الكرسي من ذخائر امير المؤمنين علي عليه السلام ، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني اسرائيل) ، فصدقوه وصار اذا حارب خصومه حمل الكرسي معه الى ميدان القتال وقال لمن معه : (قاتلوا ولكم الظفر والنصر ، هذا الكرسي محله فيكم محل تابوت بني اسرائيل ، وفيسه السكينة والبقية ، والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم) ، ، ، فقال حسن : «لعلك تعرف ابن الحنفية ؟»

قال: «نعم يا مولاي ، وقد شهدت كثيرا مما يتناقله الناس مسن احاديث قوته البدنية ، واذكر اني رآيته في حياة ابيه الامام علي ، وكنت غلاما ، وفي يد ابيه درع طويلة فأراد ان ينقص بعض حلقاتها فدفعها الى محمد وأمره ان ينقص منها كذا حلقة ، فقبض محمد باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ، ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حدده ابوه ، وهو يعرفني ايضا» ،

فقال حسن : «وماذا ترى ان نصنع الان ؟»

قال : «ان ابن الحنفية مقيم الان بالشعب في جوار مكة ، فاذا شئت نزلنا عنده الليلة ثم نرى ما يكون في الغد» •

فقال : «وهل تعرف الطريق اليه ؟»

يساعده ويقول: «اني ارى مكة في ضيق شديد، وأخاف على ابن الزبير من عافبة هذا الصبر، فان الامويين غالبون اخر الامر على ما ارى» • فتذكر حسن ما هو قادم لاجله وخاف الفشل، ولكنه صبر ريثما يدخل مكة فى الغد •

سار حسن وبلال حتى اتيا ارضا صخرية مشيا بين شقوقها ، ثـــم صعدا تلالا اترفا منها بعد قليل على شعب بعيد اوقدت به نار لهدايـه الضيوف كما هي العادة عند العرب ، وهم حسن بأتى يسأل بلالا فـاذا بهذا يقول له : «اننا على مقربة من الشعب . وعما قليل تبدو لنا الخيام ونسمع صهيل الخيل ، فهل تريد ان ننزل في دار الاضياف رأسا ام نقصد خيسة محمد نستأذنه ونخاطبه في امر دخولنا مكة ؟»

قال: «اخشى ان يكون في ذهابنا الان الى خيمته ما يزعجه ، فلنترك ذلك الى صباح غد» •

قال : «اذن نذهب الى دار الضيافة فانهم لا يسألون القادم اليها عن سبب قدومه ، ومتى اصبحنا نرى ما يكون ، وربما خرجت انا الليلــــة لأدبر الامر» .

فأثنى حسن على غيرته و بعد قليل لاحت لهما خيام عديدة منصوبة على غير نظام يتوسطها فسطاط كبير عرفا من اتساعه ووقوف بعض الخدم ببابه انه فسطاط محمد بن الحنفية ، فوقف بلال برهة وهو يتفرس في الخيام حتى تبين خيام الاضياف وعرفها من انفرادها عن سواها وقربها من النار و فسارا حتى اقتربا منها فسمعا لفطا وكلاما و ثم ترجل حسن ، وسبقه بلال الى اقرب الخيام فلقيه رجل رحب به وسأله عما يريد ، وطلب اليه ان ينتسب ، فاتسب وقال : «اننا أضياف غرباء» و فأنزلهما على الرحب والسعة ، وأفرد لهما خيمة ليس فيها احد و فدخل حسن ، وأعطى بلال الجمل لاحد الخدم ليأخذه الى المعالف ، ثم عاد الى حسن فوجد

عنده طعاما أعده القوم ، فأكلا ، ثم خرج بلال ، على ان يعود بعد قليل ، وتوسد حسن على فراش من جلد فرشوه له ، وكان التعب قد اخذ منه مأخذا عظيما فغلب النعاس عليه فنام ، ولكن هواجسه لم تنم معسسه فنحولت الى احلام مزعجة رأى فيها انه دخل مكة وقد دخلها الحجاج وقبض عليه وحبسه وقيده ، فشق ذلك عليه وانزعج ، ثم أفاق من نومه مذعورا فشكر الله لان ذلك كان حلما ولكنه تشاءم وغلب عليه الارق فجعل يتقلب والنوم لا يأتيه ، فأراد رؤية بلال لعله يقص عليه ما ينسلى به ريسا يطلع النهار ، وخرج للبحث عنه عند باب الخيمة حيث ظن انه به ريسا يطلع النهار ، وخرج للبحث عنه عند باب الخيمة حيث ظن انه تبين انه لم يعد بعد ، وتفرس في النجوم فعلم انه في الهزيم الاخير من الليل ، فقلق على بلال ، ثم التف بردائه اتقاء للبرد ، وخرج ليبحث عنه حول الخيام ،

\* \* \*

وفيما هو في ذلك سمع جعجعة جمل قادم نحو الخيام فالتفت فاذا هناك جملان على احدهما ما يشبه الهودج ويقوده رجل ماش لم يستطع تبين وجهه لاشتداد الظلام ، فتبادر الى ذهنه ان رجلا وامرأته وخادمه قادمون للمبيت هناك الى الصباح ، ولكنه استغرب مسيرهم في اواخر الليل بجوار مكة وهي في حصار شديد ، فعاد الى خيمته وفي نفسه ان يستطلع حقيقة القادمين ، فجعل ينظر من شقوق في الخيمة تطل على الطريق ، فرأى ان الجملين قد أنيخا ونزل راكب احدهما وهو رجل قصير القامة ، ملثم بعمامته وقد التف بعباءته ، ثم رأى الرجل الذي كهان المائيا يقود الجمل فاذا هو عبد كبير الجثة سريع الحركة ، تسلم جمل الراكب الاول وعقله بجانب الجمل الاخر وهو يقول : «أترى يا مولاي

ان ابقى هنا مع الجملين ، ام اسير في خدمتك ؟»

فرد عليه الرجل بصوت منخفض قائلا : «امكث انت هنا واحتفظ بما على الجمل فانه أعز شيء عندي كما لا يخفي عليك» •

قال : «هل اسير في خدمتك الى خيمة الاضياف ؟»

قال : «لست ذاهبا الى هناك ، فامكث انت هنا ريشما اعود اليك» . قال ذلك ومشهر .

وكان حسن يتوقع ان يرى زوجة الرجل الاول تنزل من الهودج ، ولكنه رآه ما زال مجللا بغطائه ، ثم رأى العبد عاد الى الجمل الذي يحمل الهودج وجلس بجانبه مستندا الى بطن الجمل ، وما لبث ان نام نوما عميقا وعلا شخيره • فاستغرب حسن ما رآه ، وكان قد تعب مسن الوقوف ، فعاد الى فراشه وفكره مضطرب • وبعد ان جلس قليلا عاد الى باب الخيمة للبحث عن بلال وقد ازداد قلقه لغيابه ، فأطل برأسه من الباب وتلفت يمنة ويسرة فلم يجد احدا ، وحال الظلام بينه وبين الاشبساح البعيدة فعاد الى فراشه وقد احدقت الهواجس به ، فحدثته نفسه بأن يخرج الى ذلك العبد ويسأله عن مر الهودج ، ولكنه أحجم وقال في يخرج الى ذلك العبد ويسأله عن مر الهودج ، ولكنه أحجم وقال في نفسه : «لو كان بلال هنا لكلفته بهذه المهمة» •

وفيما هو في ذلك سمع وقع أقدام خارج الخيمة تقترب من بابها ، فأدرك ان بلالا قادم ، ولم يشأ ان يناديه لئلا ينتبه العبد الاخر النائسم بجانب الجمل ، فوقف ومشى الى الباب ، فرأى بلالا يهم بالاتكاء : ورآه بلال فوقف وقال : «ما الذي ايقظك في اخر الليل يا مولاي ؟»

قال وهو يشير اليه ان يخفض صوته : «لقد استيقظت من زمن ، فقلقت لغيابك ، ثم رأيت بعض الناس حطوا رحالهم وراء خيمتنا ، وظهر لي من امرهم ما اقلقني» •

فقال بلال : «وما الذي تبغيه مني فأفعله ، انبي رهن اشارتك» •

قال : «هل مررت من وراء هذه الخيمة ؟»

قال : «كلا وانما جئت من هنا» .

قال : «تعال اذن» ، وأمسكه بيده فأدخله الخيمة وأراه الجملين والعبد النائم تحت الهودج ، وقص عليه ما كان من امرهم الى ان قال : «فهل تستطيع مخاطبة هذا العبد لتعرف منه الفرض من قدومهم ؟»

قال: «ذلك شيء يسير» • ثم خرج من باب الخيمة ودار حتى دنا من الجملين وحسن ينظر اليه من شق الخيمة فرآه يقترب من العبد رويدا رويدا حتى دنا منه وتفرس في وجهه والعبد نائم ثم انكفأ راجعا مسرعا حتى دخل الخيمة ، فبادره حسن سائلا: «لماذا لم تخاطبه» •

قال : «لاني اعرفه وأعرف حكايته» •

قال : «وكيف ذلك ؟»

قال: «اجلس لأقص عليك ما يغنيك عن كثرة البحث و لقد نمت اول الليل بباب هذه الخيمة ولكنني ما لبثت ان استيقظت وأخذت أفكر في حيلة نستطيع بها مقابلة محمد غدا حتى لا يطول مكثنا و وخفت ان يكون علينا بأس اذا عرفوا مدخلنا ومخرجنا وغرضنا فرأيت ان أذلسل المعبات وأنت نائم ، فنهضت وسرت الى رجل من المقربين الى الامير كنت قد عرفته ايام كنا بالمدينة ولي عليه دالة و فلقيت الرجل في خيمة له بقرب خيمة ابن الحنفية وبينهما طريق مفتوح ، يدخل عليه صاحبي منه من باب خاص دون سائر الناس ، فلما اتيته رحب بي وأكرمني وسألني عن امري ، فقلت له اننا جئنا ناتمس من الامير وسيلة ندخل بها مكة وعدني خيرا ثم أجلسني وجعل يسألني عن حوادث مرت بنا قديما وأمور يهمه الاطلاع عليها، وكلما هممت بالنهوض اقعدني حتى طال بي الجلوس، وبينما انا أهم بالنهوض سمعنا وقع أقدام خارج الخيمة على غير اقتظار وبينما انا أهم بالنهوض سمعنا وقع أقدام خارج الخيمة على غير اقتظار فاقعدني صاحبي وخرج وهو يقول: (من الرجل ؟) ، وسمعت من يجيبه فاقعدني صاحبي وخرج وهو يقول: (من الرجل ؟) ، وسمعت من يجيبه فاقعدني صاحبي وخرج وهو يقول: (من الرجل ؟) ، وسمعت من يجيبه فاقعدني صاحبي وخرج وهو يقول: (من الرجل ؟) ، وسمعت من يجيبه فاقعدني صاحبي وخرج وهو يقول: (من الرجل ؟) ، وسمعت من يجيبه فاقعدني صاحبي وخرج وهو يقول: (من الرجل ؟) ، وسمعت من يجيبه فاقعدني صاحبي وخرج وهو يقول: (من الرجل ؟) ، وسمعت من يجيبه

قائلا: (انا عرفجة) • ولما كنت أعرف رجلا اسمه عرفجة كان يتردد على عامل المدينة وكثيرا ما رأيته في دار الامارة خرجت لأحقق امره فرأيت الرجل ملثما ولكننى عرفت انه هو صاحبى هذا من صوته وقامته» •

وهنا تذكر حسن ان الصوت الذي سمعه لما أناخ الرجل الجملين يشبه صوت عرفجة ، فبغت واستغرب مجيئه في هذا الليل ، وتبادر الى ذهنه انه ربما علم بقدومه فجاء للوشاية به لدى ابن الحنفية ، ولكنه استبعد ذلك لعلمه انه ليس على وجه البسيطة رجل عرف بخروجه مسن المدينة غير سليمان وأبيه وخادمه بلال ، ثم على فرض ان عرفجة عرف بمسيره الى مكة فكيف يعرف انه في هذا الشعب ، ولكن اذا كان هو عرفجة فمن عسى ان تكون التي جاءت معه في الهودج ؟ انه غير متزوج وليس عنده من النساء الا ابنته سمية ، فهل هي التي في الهودج ؟ وخفق قلبه وتصاعد الدم الى وجهه ، كل ذلك وبلال واقف بين يديه ينتظهر اشارته لاتمام حديثه ،

فقال حسن : «وهل عرفت الغرض من قدوم هذا الرجل في هذا الليل ؟ »

قال: «كلا يا مولاي لاني رأيته يحدث صاحبي همسا فرأيت ان أنصرف لاخلي لهما المكان • ولما استأذنت صاحبي ناداني اليه وقال: (موعدنا غدا ان شاء الله) • فعلمت انه لا يزال على وعده فأتيت وآثرت النوم بباب الخيمة الى الصباح» •

فقال حسن : «وما الذي عرفته من امر العبد النائم بجانب الجمل؟» قال : «عرفت انه قنبر خادم عرفجة ، وهو عبد سمج الخلق فظ الطبع يعرفه كل اهل المدينة» •

قال حسن : «وما ظنك بمن في الهؤدج ؟»

قال : «لا أظنه هودجا وانما هو محفة . ولا يبعد ان يكون فيهـــا

بعض النساء او ربما كانت فيه ابنته سمية لانه ليس له سواها» .
فلما سمع حسن اسم حبيبته تجددت أشجانه ، وتذكر ان بلالا لا
يعلم شيئا من امره مع سمية ، فضافت نفسه عن كتمان سره ولكنه تجلد
وقال : «أتظنه يحمل ابنته معه الى هنا في مثل هذه الظروف ؟»

قال: «لا اخاله يفعل ذلك ، وهب انه حملها فلا أظنه يبقيها محبوسة لا نسمع لها صوتا ، ولاسيما ان المحفة ضيقة لا تكفي لكي تنام فيها» • فاطمأن قلب حسن على سمية ولكنه بقي مشغول الخاطر بأمر المحفة، وهم بأن يعود الى سؤال بلال في شأنها ، فاذا بهذا يبتدره فائلا: «ليس في المحفة فتاة ولا امرأة ، فقد تذكرت الان ان لهذا الرجل محفة قسد احتفظ بها في منزله لا يطلع احدا على ما فيها ، وأهل المدينة مشتاقون لمعرفة سرها ، فلعلها هي هذه» •

فازداد حسن شوقا الى معرفة سر المحفة ، ولكن القلق عاوده مسن جهة ما حمل عرفجة على القدوم في هذا الليل ، فقال لبلال : «متى نذهب الى ابن على ؟»

قال : «عند طلوع الشمس» .

فعاد حسن الى فراشه ، واضطجع بلال بباب الخيمة ، وقضيا ما بقي من الليل بين نوم وتقلب وهواجس ، ولما طلع النهار نهضا وخرجا فما كاد حسن يلتفت الى موضع الجملين وراء خيمته حتى بعت اذ لم يجد لهما اثرا ، وظن ان عرفجة قد سافر ،

وواصلا سيرهما بين الخيام ، وهي على مرتفع من الارض متشعب، به للخيل والجمال مسارح وقد خرج الخدم ليقدموا لها علفها ، فلما بلغا خيمة محمد ، وكانت رحبة عالية قائمة على عمد عديدة ، رأيا بابها مسدلا فعلما ان محمدا في شاغل ، فتحولا الى خيمة صاحب بلال وهي ملتصقة بها ، فلما دخلا عليه رحب بهما وأدخلهما وهو يشير اليهما ألا يتكلما ،

erted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فدخل حسن ونظر من كوة في الخيمة تطل على خيمة الامير فرأى محمدا جالسا وبين يديه رجل قصير القامة عرف انه عرفجة ، فقال في نفسه هذه فرصة لا ينبغي ان نضيعها ويجب ان نطلع على سر هذه المقابلة ، وتفرس حسن في محمد فاذا هو كبير الوجه وقد بانت فيه ملامح الشيخوخة وهو لا يزال كهلا ، ولكنه كان يخضب لحيته بالحناء والكتم فلا يظهر فيها الشيب على ان دلائل القوة لا تزال ظاهرة في كفيه ووجهه وعبنيه ،

وخاف حسن ان يكون في تطلعه هكذا ما يؤاخذ به صاحب بلال ، فأراد ان يعتذر فتظاهر بالرغبة في الخروج فقال له الرجل : «تفضل يا مولاي واجلس فاني احب الاطلاع على غرض هذا الرجل من هذه المقابلة السرية التي يزعم انها ذات بال ، ولقد ساءني بختمونته حتى صرت لا أبالي كتمان سره» ٠

فنزل هذا القول بردا وسلاما على قلب حسن ، وفرح لتسكنه من نيل بغيته ، ولكنه تظاهر بعدم اكتراثه للاطلاع على السر ، وجلس بحيث يرى ولا يثرى فرأى عرفجة جالسا بين يدي ابن الحنفية ويخاطبه متهيبا ، وسمعه يقول له : «انت تعلم ايها الامام انك أولى الناس بهذا الامر بعد الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة ، ان الخلافة بعدهما لك فأنت وحدك ولى هذا الامر وليس بنو أمية سوى معتدين» ،

وظل محمد صامتا لا يتكلم ، فظنه عرفجة راضيا بما يقول ، فاستأنف الكلام قائلا : «وأنت تعلم يا مولاي ان المختار قام بالدعوة لبيعتك ، ولكنه لم يثبت على عهده فلم يوفقه الله ، كما نعلم ان السر الذي كان يستعين به على بث الدعوة جدير بأن يقوم به من تندبه لذلك» .

وظل محمد صامتا مطرقا كأنه يفكر في امر اخر ، في حين مضـــــى عرفجة في حديثه فقال : «ولا يخفى على مولاي الامام ان بني أمية الان فـــي شغل بعبدالله بن الزبير ، وأكثر جندهم منهمكون في حصاره ،

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعراق خال ممن يدعو اهله الى الحق ، فاذا ندبت احدا وسيرته الى العراق ليدعو الى بيعتك كان ذلك من سداد الرأى» .

فرفع محمد رأسه وقال : «ان الفشل لم يأتنا الا من العراق ، ففيه قتل ابى وأخى غدرا وخيانة» •

فزحزح عرفجة نفسه على البساط وقال: «إن السبب في ذلك الفشل لم يبق منه شيء الان • واني ارى السبل قد تمهدت والوقت دنا لظهور الحق » •

فقال محمد : «ومن تراه يليق لهذه المهمة ؟»

قال : «انك انت الذي ستضع سرك بين يديه وتعهد اليه في النداء بصوت الله ٤ فأمر اختياره اليك» •

قال : «وبمن تشير ؟»

فسكت عرفجة وأطرق ، وكأنه يخشى ان يصرح بترشيح نفسه لهذه المهمة لئلا يساء الظن به ثم قال : «ان هذا الانتداب لا يكون الا بالهام من الله ، فاختر من يلهمك الله اختياره» •

قال : «واذا لم يلهمني الله ؟»

انه ظل يساير عرفجة وهو لا ينوى ترك الحياد .

فارتبك عرفجة في امره وتهيب التصريح له بغرضه • وكان غرضه الاول من هذا الامر كسب المال فباع بنته للحجاج وجاء لنصرة عدوه • وكان محمد بن الحنفية يومئذ على الحياد وقد طلب الحجاج منه ان يبايع لعبد الملك ، وطلب منه ابن الزبير ان يبايع له ، فأبى البيعتين ولبث في انتظار ما يكون من امر مكة وحصارها ، وذلك لانه كان عافلا لا يجهل عجزه عن القيام بدعوة جديدة الى بيعته هو بعد ذلك الفشل • على

اما عرفجة قلم ير بدا من الآجابة فقال : «اذا لم تلهم اختيار احد لهذه المهمة فاختر صاحب الكرسي» •

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال محمد : «وأي كرسي ؟»

فنهض عرفجة وتحول الى باب الخيمة ونادى قنبر عبده ، ثم رجع، وبعد هنيهة دخل قنبر وعلى كتفه المحفة وعليها ستار ، فوضعها بين يدي محمد وخرج ، فقال محمد لعرفجة : «ما هذا ؟»

قال: «هذا تابوت العهد!» • ثم اخرج مفتاحا ورفع الستار عسن المحفة وجعل يعالجها بالمفتاح حتى فتحت فرفع سقفها وحسن ينظمسر ويتطاول بعنقه وهو يعجب من غدر عرفجة وخبثه • ثم ما لبت ان رآه مد يده الى داخل المحفة وأخرج شيئا مغشي بالديباج فرفع الديباج عنه فاذا هو كرسي خشبه يلمع كالمرآة •

وتقدم عرفجة بالكرسي حنى وضعه بين يدي محمد وهو يقول : «أليس هذا كرسي الامام علي الذي انتصر به المختار؟»

فابتسم محمد وقال : «وَلَكُنَّهُ فَشُلَّ بَعْدُنُّدُ» •

قال : «لقد فشل لانه لم يخلص النية في سعيه» •

فقال محمد : «وهل تخلص انت النية اذا ندبناك لهذه المهمة ؟»

قال وقد بان السرور في وجهه : «كيف لا ، وهذه بعيتي وأكون قد نصرت الحق وأهله ؟»

### \*\*\*

عجب حسن لقبول محمد هذا الامر ولكنه ما لبث ان سمعه يقـول لمرفجة : «ولكن دعوة اهل العراق تحتاج الى المال ، لان بني أمية انما غلبوا أخوي بالمال ، وسيغلبون اللائذ بالكعبة بالمال ايضا ، فان ديارهم غنية وعندهم المال كثير ينفقونه في ابتياع الاحزاب والاتباع • فاذا كنت صاحب مال فاني ارجو لك النجاح» •

فلما سمع عرفجة كلام محمد سقط في يده ، وخاب ما امله ، ولم

يدر بماذا يجيب • ولكن محمدا لم ينتظر جوابه فقال له : «ان هـذا الكرسي الذي تزعم انه كرسي ابي ليس سوى كرسي قديم لاحـــد الزياتين • وقد زعمت اني ندبت المختار ليدعو الى بيعتي ، وهذا وهم باطل لان ذلك الثقفي انما ندب نفسه لتلك المهمة ليشبع بطنه • فاذا كنت انت جائعا فالتمس بابا اخر غير هذا ا» • قال ذلك وقـــد ظهر الغضب والجد في وجهه •

فارتبك عرفجة وتحقق ضياع المه بعد ان قضى بضعة أعوام في تنميق ذلك الكرسي وصقله ، وكتمان المره عن الهل المدينة ، وكان لا يشك في انه اذا عرض الامر على محمد بن الحنفية وجسد منه قبولا ، وبذلك يبتز منه المال ليشبع مظامعه وشرهه ، ويضيف ذلك المال الى ما قبضه ويقبضه مهرا لابنته من الحجاج ،

وكان عرفجة من اصحاب الاحساس الاصم والعواطف المائتة • لا يحجم عن عمل مهما يكن خطيرا ، اذا وجد فيه ما يشبع نهمه الى المال فلما تبين الغضب في عيني محمد ، عمد الى الخديعة فوقف بين يديه وهو يظهر الاستغراب وقال : «لقد عجلت يا مولاي بالحكم على ، وأنا انما ادعوك الى امر عائدته لك ولاهل بيتك ، ولا ألتمس على ذلك اجرا ولا شكورا » •

فقطع محمد كلامه وهو ينظر اليه شزرا وقال : «أنظن امرك يخفى على ٢٠ لقد قرأت المكر والخديعة في عينيك ، ولولا حرمة الجـــوار الألحقتك بالمختار وألحقت بك بني ثقيف ١» ، ثم نادى : «سعيد» .

فنهض صاحب بلال وهو یکّاد یطیر من الفرْح ، وأسرع حتی دخل علی محمد ، وحسن وبلال ینظران وقد غلب علیهما السرور •

فزودوه بما يحتاج اليه» .

فلما سمع عرفجة ذلك خرج من تلقاء نفسه وهو يظهر الاسف ، وثبعه سعيد حتى خرج من الفسطاط ، فوجده يبحث عن عبده قنبر فلما لم يجده التفت اليه وقال : «اني راحل الى بلدي وقد اسفت لان الامام محمدا لم يفهم مرادي» و فال ذلك متلطفا خوفا على حياته و فعجب سعيد للفرق العظيم بين هذا التزلف وبين مقابلته الخشنة ساعة وصوله بالامس وذلك شأن اهل الكبرياء يستبدون بالضعفاء من الناس و فاذا لقوا قويا استولى عليهم الذل وصغرت نفوسهم و لان ما كان يبدو من كبريائهم واستبدادهم لم يكن عن نفس كبيرة وانما هو ضعف رأي وصغر نفس وكأنما رق قلب سعيد لتزلف عرفجة ، فعرض عليه النزول في دار الاضياف فاعتذر برغبته في الرجوع ، وكان قنبر قد عاد فناداه وأمسره باعداد العدة للرحيل ، ثم ركب عرفجة جملا وقنبر الجمل الاخر وخرجا من الشعب يلتمسان معسكر الحجاج و فلما بعدا عن الخيام اخسة عرفجة يتوعد محمدا بالسوء عند الحجاج ويذكره بكل قبيح من الشتم والسباب ليستر ما بدا لعبده من فشله و

اما سعيد فانه عاد الى فسطاط محمد وتناول الكرسي وألقاه في النار وعاد الى حسن وبلال في خيمته فأخبرهما بخروج عرفجة من الخيام ، وهنا عاد حسن الى التفكير في دخول مكة فسأل سعيدا في ذلك فأجاب بقوله: «سألت مولاي الامام في هذا الشأن فأمر بذهابي معكما لاني تعودت الذهاب الى مكة خلال الحصار وأكثر الطلائع يعرفونني» • قال ذلك ودخل على محمد يستأذنه في الذهاب معهما فأذن له •

وعاد سعید الیهما بالاذن فخرجا الی دار الاضیاف لیتأهبا للسفر ، وبعد قلیل جاءهما سعید علی جواد ، فرکبوا وساروا یلتمسون مکة من طریق یعرفه ، والشمس قد تکبدت السماء ،



verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيما هم يسيرون وحسن يفكر في مهمته وكيف يدخل على عبد الله ابن الزبير وليس معه كتاب خالد ، رأوا غبارا ينصاعد في الافق من جهة طريق المدينة ، ثم انقشع الغبار عن أعلام تخفق وخيول تركض وجمال تجعجع ، فلما اقترب الركب تفرس حسن في الاعلام والناس ، فأدرك انهم من أنصار بنى أمية وأنهم قادمون من المدينة لنجدة الحجاج .

ولكنه استغرب وصولهم في ذلك اليوم مع انه أقلع قبلهم ، والسيارة كلما زاد عددهم ثقلت خطواتهم ، فظن نفسه مخطئا في حكمه عليهم فأعاد النظر الى الرايات والملابس فتحقق انها لاهل المدينة والقبائل القاطنة بجوارها ، وعلم من عظم السرعة التي مثبت بها تلك الحملة ما يدل على اضطرار الحجاج اليها ، فترجل حسن ورفيقاه والتجأوا الى مكان يرون الركب منه ولا يراهم احد ، وجعل يتقرس في وجوه الناس ،

ومر الفرسان وحملة الرايات اولا ، ثم تبعهم المشاة ، فأحمال الزاد والمؤونة .

وأخيرا رأى هو دجا يقوده عبد ويسوقه عبد والى كل من جانبيسه فارس • ولم ير في تلك الحملة هو دجا غيره وكان من عادة العرب في الحاهلية وأوائل الاسلام ان يحملوا معهم النساء والاولاد حين يخرجون الى القتال • فاستغرب حسن امر هذا الهودج وتبين من الاحتفاء بأمره انه لبعض الامراء • وما درى انه يقل حبيبته التي سلبت لبه وانهم يحملونها الى سواه • ولو درى ذلك لطارت نفسه شعاعا اليها • ولو صح ما قاله الشعراء من تواصل القلوب عن بعد لاضطرب حسن وخفق قلبه ودله على ساكنة الهودج •

وظلوا وقوفا يراقبون مسير تلك الحملة حتى رأوها اتجهت الى جبل ابي قبيس ، فتحققوا انها نجدة المدينة الى الحجاج ، لعلمهم بأن الحجاج مخيم هناك .

## رمى الكعبة بالنجنيق

سار حسن وصاحباه حتى اقبلوا على مكة فرأوا الطلائع من الفرسان والهجانة تجول حولها ، وجاء اليهم بعضهم ، فتقدم سعيد لاستقبالهسم وأخبرهم بأنهم ذاهبون في شأن يخص ابن الحنفية ، فأذنوا لهم فسي الدخول .

ونظر حسن الى جبل ابي قبيس فرأى فيه خياما وحولها الناس وقد صغرت أشباحهم لبعد المسافة ، وبعد قليل وصلوا الى تل فيه بعض المدافن فقال سعيد: «اننا في الحجون» ، فوقف حسن على مرتفع ونظر الى مكة فأشرف على المسجد الحرام والكعبة في وسطه ، وكان قد زار مكة من قبل ورأى الكعبة لكنه رآها اليوم اكبر مما عهدها ، ورأى على سطحها اشياء غريبه كالفرش والاثاث ، فوقف هنيهة يفكر في الامر ، ثم قال لسعيد: «اني ارى الكعبة على غير ما أعهدها فيه ، وكأنهسا اتسعت ، وكأن عليها فرشا وأثاثا ، وكأن على ارض المسجد خياما ! ، . .

فقال سعيد: «لقد صدق ظنك ، فالكعبة الان اكبر مما تعهدها لانها احترقت في الحصار الماضي على عهد يزيد بن معاوية ، فأعاد ابن الزبير بناءها ووسعها الى ما كانت عليه في الزمن الاول قبل ان تبنيها قريش، وأما ما تراه على سطحها فهو ألواح من الساج وضعها عبد الله هناك ووضع فوقها الفرش والقطائف وقاية لها من حجارة المنجنيق ، لان الحجاج نصب المنجنيق على جبل ابي قبيس وجعل يرمي الكعبة بالحجارة نكاية بالن الزبير» •

فقطع حسن كلامه وقال : «أعوذ بالله ! أيرمون بيت الله بالحجارة؟» فقال : «هذا عمل الحجاج فانه رجل ظالم لا يبالي شيئا في سبيل مقاصده ، فقد رأيناه يرمى الكعبة بالمنجنيق والناس يطوفون حولها • واتفق في الحجة الماضية ان عبد الله بن عمر حج ، وكان مولاي الامام محمد في جملة الحجاج ، فكنا نطوف والحجارة تتساقط علينا ، فبعت ابن عمر الى الحجاج يقول له : (اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فانك في شهر حرام وبلد حرام ، وقد قدمت وفود الله من أقطار الارض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا ، وان المنجنيق قد منعهم من الطواف والسمى) • فلما فرغوا من طـــواف الزيارة نادى منادي الحجاج: (انصرفوا الى بلادكم فانا نعود الى رمي الحجارة على ابن الزبير الملحد). وسمعت انه اول ما رمى الكعبة بالمنجنيق ارعدت السماء وأبرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة ، فأعظم رجاله الامر وأمسكوا أيديهم • فأخذ الحجاج حجارة المنحنيق بيده فوضعها فيه ورمى بها معهم • فلما اصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من اصحابه اثني عشر رجلا فقال الحجاج لرجاله: (يا اهل الشام لا تنكروا هذا • فاني ابن تهامة وهذه صواعقها • وهذا الفتح قد حضر فأبشروا) • فلما كان الفد جاءت الصاعقة فأصابت نفرا من اصحاب ابن الزبير ، فقال الحجاج : (ألا ترون انهم يصابون وأتنم على الطاعة وهم على خلافها) ٠٠»

فعجب حسن لدهاء الحجاج وعتوه وساق جمله حتى نزلوا اسواق مكة فقال لسعيد : «لقد بلغنا مأمننا ، فاذا رأيت الرجوع فارجع جزاك الله خبرا» •

فقال : «بل أوصلكما الى المسجد فأطوف طوفة وأعود» •

ولما دنوا من المسجد سمعوا صدمة قوية فقال سعيد: «هذا صوت حجر من حجارة المنجنيق وقع على جدار الكعبة • انظر الى حمام الحرم

كيف ىطاير اجفالا من صوت وقوعه» •

وكان حسن قد أحس بالجوع لانهم خرجوا من الشعب ولم يأكلوا، فقال لسعيد: «بالله ألا اخذتنا الى احد باعة الاطعمة فنأكل شيئا» . فضحك سعيد وقال: «ان الاطعمة قليلة في مكة والناس في ضنك شدبد من الجوع ، فقد بيعت الدجاجة بعشرة دراهم ، والمد من الذرة بعشرين درهما ، وقد سمعت ان ابن الزبير اضطر لما اصاب رجاله من المجاعة ان يذبح فرسه ويقسم لحمها فيهم» ، قال ذلك وأدنى فنه من أذن حسن وقال بصوت منخفض: «ولكنني أعلم ان بيوت ابن الزبير مملوءة قسعا وشعيرا وذرة وتمرا اختزنها خوف المجاعة ، ولولا ذلك لما استطاع الصبر على هذا الحصار ، والحجاج ورجاله ينتظرون فراغ ما عنده من المؤونة ليستسلم » ،

فقال حسن: «لا بد من ابتياع شيء نأكله ولو كان غاليا» • واشار الى بلال فانصرف الى السوق وعاد بشيء من خبز الشعير والسويق فأكلوا على عجل ، وساروا حتى اتوا المسجد الحرام ، فدخل حسن وسعيد الى المسجد وهما يتظاهران بالرغبة في الطواف ، ثم سأل حسن عن ابسسن الزبير فقيل له: «انه يصلي بجانب الكعبة» • فسأل: «وأين يذهب بعد الصلاة ؟» • فقالوا: «انه يذهب الى بيته» • ثم دله سعيد على بيت ابن الزبير وودعه وعاد الى الشعب •

وبعد ان صلى حسن ركعتين وطلب الى الله ان يرشده الى الصواب، جلس في بعض أطراف المسجد ينتظر فراغ عبد الله من صلاته ، وجعل يفكر في امر المهمة التي جاء لاجلها ، والوقت ليس وقت خطبة ولا زواج، ثم تذكر ما كان من امر سمية وانتظارها رجوعه ليقترنا ، وانتقل بسه التفكير الى ما كان من امر عرفجة في ذلك الصباح ، وخيل اليه ان الفشل الذي اصابه سيحمله على العودة الى المدينة لانه لا يستطيع الغياب عنها

ولاحظ ان من يدخلون المسجد قليلون ، ثم ما لبث ان سمع قرقعه وأحس شيئا هوى بالقرب منه وسمع رفرفة أطيار فالنفت فرأى حجرا كبيرا اصاب الكعبة وسقط على الارض ، فعلم انه من أحجار المنجنيق وقد أجفل حمام الحرم من وقعه فتطاير نم عاد فوقع على جوانبها وعلى جدران المسجد ، ولم ير الناس يهتمون لتلك الحجارة لانهم ألفسسوا سقوطها بينهم ،

وتذكر أن عبد الله يصلي بجوار الكعبة فاستغرب تعريضه نفسسه لحجارة المنجنيق ، وخاف أن يكون ذلك الحجر قد أصابه ولاسيما أن وقت صلاته طال ، فقلق عليه ، ونهض فسار في فناء المسجسد يلتسس الكعبة حتى مر بالحطيم وحجر اسماعيل ، ودار نحو بئر زمزم فرأى وراء الكعبة من الجهة الاخرى بضعة رجال وقوفا ، فأقبل عليهم ليسألهم عن عبد الله ، فلما دنا منهم رأى بجانب الكعبة رجلا ساجدا قد استقبل الارض بوجهه ، ورأى على ظهره حمامتين من حسام المسجد كأنهما والرجل لا يتحرك ، فخيل له أنه ميت ، واستغرب وقوف الناس هناك دون أن يهتموا له ، فاقترب من احدهم وحياه ، ومأله ما شأن ذلك الساجد ، فابتسم الرجل وقال : «آلا تعرف من هو؟ وسأله ما شأن ذلك الساجد ، فابتسم الرجل وقال : «آلا تعرف من هو؟

فأدرك حسن انه عبد الله بن الزبير وزاد استغرابا وقال: «وما للحمام يقع على ظهره فلا يتحرك» •

قال: «انك غريب فيما يبدو ، فلا تعلم ان مولانا امير المؤمنين اكثر الناس صلاة وسحودا ، وكثيرا ما رأينا الطير على ظهره في اثناء الصلاة تظنه حائطا لسكونه وطول سجوده» . verted by Liff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففال حسن : «انه سجود طویل» .

وجاء رجل اخر كان واقفا هناك وقال: «انكم لا تعلمون من تفوى امير المؤمسين الا قليلا ، اما انا فقد صحبته طويلا ورأيته يقضي لياليه على نلاث: ليلة يقضيها فائما الى الصباح ، وليلة راكما ، وليلة ماجدا ، ناهيك بصومه فانه يصوم الدهر كله الا ثلاثة ايام يفطرها في كل شهر»، فدهش حسن وقال في نفسه: «يجدر بمن كان هكذا ان يكتب له النصر » .

وفيما هم وقوف سمعوا صوتا كهزيم الرعد ، ادركوا اله صوب المنجنيق فتنافروا ووقع الحجر على حائط الكعبة وسقمط الى الارض بجانب ابن الزبير فنفر الحمام عنه وهو لا يزال ساكنا لا يتحرك . فذهل حسن وفال لصاحبه : «ألا تخافون على حياة امير المؤمنين ؟»

قال : «لقد طالما نبهناه الى ذلك وكثيرا ما وقع له مثل ما تراه وهو لا يبالى » •

فقال حسن: «أرجو ان يحرسه الله» .

فقال الرجل: «ان الله حارسه لفرط تقواه وكثرة عبادته ، وقد وقع هنا في العام الماضي سيل طبق البيت ومنع الناس من الطواف فطاف امير المؤمنين سابحا ١»

# -14-

# فشل ابن الزبير

تأمل حسن في وجه مخاطبه وهو يتكلم والاهتمام باد في محياه لا

يدري بماذا يعبر عن منزلة ابن الزبير عنده ولا مقدار حبه له ، ورآه موجها نفسه اليه كأنما يتوقع ان يسأله عن ابن الزبير ليشرح له مسا يعلمه من تقواه وشجاعته وصدق دعوته • قرأ حسن كل ذلك في عيني الرجل فأدرك انه من أشد أنصار ابن الزبير غيرة عليه ، ونبين له مسن قيافته وهندامه انه من وجهائهم • وزاد اعتقادا في وجاهته لما آنسه من لطفه ودعته ، لان الانسان يزداد لطفا ووداعة بازدياد منزلته رفعة : فاذا رأيت جفاء وكبرياء من احد الناس وأنت لا تعرفه فاعلم انه دنيء الطبع ولا عبرة بما قد يكسوه من اللباس الفاخر ، ولا بما في خزائنه مسن الاموال الطائلة •

وبينما حسن يفكر في ذلك ومخاطبه واقف الى جانبه ، سمعا عبد الله ينادي : «ابن ابن صفوان ؟» • ثم رأى الرجل الذي كان يخاطبه بغت وأسرع الى عبد الله يقول : «لبيك يا امير المؤمنين» •

فهم حسن انه عبد الله بن صفوان الجسعي ، وكان فد سمع عن حبه لابن الزبير وتفانيه في نصرته ، وهو أصلع في نحو الستين من عسره ، عريض الجبهة خشن الملامح عريض الفكين ، مما يدل على الثبات والقوة ، ثم التفت حسن الى ابن الزبير وتهيأ للسلام عليه اذا مر بجانبه فاذا هو طويل القامة عريض الكتفين لحيته غزيره في أسفل ذقنه خفيفة فلسي عارضيه ، وتفرس فيه وهو يصلح عمامته عند نهوضه من الصلاة فرأى شعره جمة مفروقة طويلة ، وتأمل في وجهه فرأى الهرم قد بدا فسي ملامحه لفرط ما قاساه من امر ذلك الحصار وشدة ما احاط به من الضيق، وهو في الثالثة والسبعين من عمره ، لانه اول مولود ولد للمسلمين بعد الهجيرة ،

وهم حسن بالسلام عليه وتقبيل يده ، ولكنه رآه اتجه الى موضع اخر دون ان يلتفت الى احد ، وأعجب بسشيته الثابتة التى تدل على جلال

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

ووقار ، ورأى ابن صفوان يسير في أثره مراعيا اياه بعينيه وكل جوارحه، وفي مشيته عرج ، فعلم انهما سائران الى البيت ، فاقتفى أثرهما وهــو يفكر في مخاطبة عبد الله بالامر الذي جاء من اجله لكنه تهيب واستحيى لما رآه فيه من الاضطراب والضيق ، ورأى ان يتحين لذلك فرصة اخرى. وخرج عبد الله من المسجد وابن صفوان يبيعه وحسن في أثرهما • وكان الناس يقفون في الطريق لتحية عبد الله ، حتى اشرفوا على دار واسعة قد غصت بالواقفين من الناس ، وخارجها مرابط الخيول والمعالف. فلسا أقبل عبد الله على الدار توجهت أبصار الناس اليه ووسعوا له ، فأخترق الصفوف وهو مطرق حتى أتبرف على مقعد في صدر القاعة فجلس عليه الاربعاء ، وجلس الى يمينه شاب كبير الشبه به . فأدرك حسن أنه احد اولاده . ثم جاء شابان آخران فجلسا عن يساره ، وجلس بقية القوم بين يديه لا يفوه احدهم بكلمة لفرط ما اخاط بهم من الامر العظيم. ولبثوا هنيهة كأن على رؤوسهم الطير • اما حسن فرأى نفسه غريبا بين هذه الجموع ، وهم بالبخروج فرأى ابن صفوان يشير اليه من بعـــض جوانب القاعة داعيا اياه الى الدخول ، فمشى اليه وجلس الى جانبه وقال له : «يسرني اني عرفتك اليوم وقد طالما سمعت باسمك» • فقال ابـــن صفوان : «فهلا اتسبت لاعرفك انا ايضا» .

قال: «سأطلعك على امري فيما بعد ، فلا غنى لي عن معوتتك» . وكانا يتكلمان همسا والناس سكوت ، وربما ادرك احدهم السعال فأمسك عنه ، فالمفت حسن الى ابن صفوان وقال له: «اي ابناء امير المؤمنين هؤلاء ؟»

قال : «ان الذي تراه الى يمينه هو اخوه عروة بن الزبير ، امسسا الجالسان الى يساره فولداه حمزة وحبيب ، وترى على مقربة منهما شابا مطرقا هو الزبير ولده الثالث ، وان هذا الشاب لجدير بأن يكون ابن

امير المؤمنين» • ثم تهيأ للنهوض قائلا: «لا بد لي من مفارقتك الان لامر يدعو الى ذلك ، فاننا في مجلس ذي بال اليوم ، وستسمع وترى فان هؤلاء من قريش وهم رؤساء القبائل» • ثم سار حتى وقف على مقربة من عبد الله فأشار اليه عبد الله ان يقعد •

وبعد قليل ، وقف احد الجالسين وخاطب عبد الله قائلا: «يا امير المؤمنين ، اننا بحمد الله نؤمن بصدق دعوتك وانك على الحق ، وقد قاتلنا معك حتى لا نجد مقيلا ، ولئن صبرنا معك ما نزيد على ان نموت، وانما هي احدى خصلتين ، اما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا ، واما ان تأذن لنا فنخرج» ،

فلما سمع حسن ذلك الكلام تحقق ضعف القوم وانهم صائرون الى الفشل • ثم سمع ابن الزبير يقول : «ألم تبايعوني على انفسكــــم وأموالكم ؟ »

فقال الرجل : «بلى ولكنا نرجو ان تقيلنا بيعتنا ، اذ لا نرى فائدة من البقاء عليها» •

فقال عبد الله : «انني عاهدت الله على ألا يبايعني احد فأقيله يبعته الا ابن صغوان» •

فالتفت حسن الى ابن صغوان فرآه قد وقف بغتة والحمية والغيرة تنبعثان من عينيه وقد ظهر التأثر في وجهه وقال : «اما انا فاني أقاتـــل ممك حتى اموت ولا أسلمك في مثل هذه الحالة» •

ولم يتم ابن صغوان قوله حتى علت الاصوات وضيح الناس، وانقسموا شيعا وأحزابا ، وبدا ان اكثرهم لا يرون رأي ابن صفوان ، فشق ذلك على حسن ودبت الحبية في عروقه فوقف وقال : «بورك فيك يا ابن صفوان ، بورك في رجل بايع وثبت على يبعته ، ان امير المؤمنين كما تعلمون اولى الناس جذا الامر ، وذلك لان عثمان استخلفه على داره يوم

verted by Lift Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقتله فهو ولي عهده من ذلك اليوم • وانكم لتعلمون انه نعم الخليفة لا تغره بهارج الدنيا • ألا ترون عبد الملك بن مروان كيف يستعين على هذا الامر بالمال والرجال ؟ في حين يستعين امير المؤمنين بالصوم والصلاة تلك هي خلافة الراشدين رحمهم الله اجمعين • الم تسمعوا ماذا فعل عبد الملك يوم جاءه الخبر بالبيعة بعد موت ايبه مروان ؟ • اتنم تعلمون ان عبد الملك كان من فقهاء المدينة ، ولكثرة ما كان يظهره من التديسن والتقوى سموه حمامة المسجد • فلما مات ابوه وبشر بالخلافة كسان المصحف في يده فأطبقه وقال : (هذا فراق بيني وبيتك !) • فأين هذا من سجود امير المؤمنين وصلاته وصيامه مما لا يخفى على احد • هذا وان لامير المؤمنين بيعة في أعناقكم ، وأتم جماعة قريش اهل الحماسة والنخوة ، فكيف تفادرون امير المؤمنين في مثل هذه الحال ؟ • أما لكم اسوة بابن صفوان ؟»

وكان حسن يتكلم والعرق يتصبب من جبينه وقد امتقع لونه وأيقن القوم قد نكصوا على أعقابهم و ولكنه لم يستطع غير الانتصار لما رآه حقا و وكانت الابصار شاخصة اليه لانه غريب لم يعرفه احدهم و وكان عبد الله بن الزبير ينظر اليه ويعجب بغيرته و فلما فرغ من الكلام علت الضوضاء فوقف رجل اخر وقال: «لقد نطقت بالصواب، وان البيعة في أعناقنا لا ننكرها، وما نحن خارجون من بين يديه الا بأمره و ولكننا فرى القتال اصبح عبثا، ومعنا من الرجال عشرة آلاف، وقد جعنا جميعا وعطشنا وقلت مؤوتنا وذخيرتنا وهذه منجنيقات الحجاج ترمينا من فوق الكعبة لا يبالي حرمة هذا البيت وقد نصب لنا الحجاج الان راية الامان فمن خرج اليها سلم و فما بالنا لا نختار الطريق الاسلم» و ثم التفت الرجل الى عبد المله بن الزبير وقال: «اكتب الى عبد الملك بسن مروان لترى رأيه فلعاكما تنتهيان الى امر فيه صلاح الحال» و مروان لترى رأيه فلعاكما تنتهيان الى امر فيه صلاح الحال» و

فلما سمع عبد الله اسم عبد الملك بن مروان أجفل وتغير وجهه وقال:

«كيف أكتب اليه ؟ • • أبدأ بنفسي او أبدأ به • أأكتب (من عبد الله امير المؤمنين الى عبد الملك بن مروان ؟) • فوالله لا يقبل هذا ابدا • ام أكتب (لعبد الملك بن مروان امير المؤمنين من عبد الله بن الزبير ؟) • فوالله لان تقع الخضراء على الغبراء أحب الي من ذلك» • قال ذلك وعاد السبي اطراقه ، وسكت الناس ينتظرون رأيا جديدا فاذا بعروة بن الزبير اخسي عبد الله التفت اليه وهو جالس بجانبه على المقعد وقال له : «يا امسير المؤمنين قد جعل الله لك اسوة» •

فقال عبد الله وقد ظهر الغضب في جبينه : «من هو ؟»

قال عروة : «حسن بن علي ، فانه خلع نفسه وبايع معاوية» ولم يم عروة قوله حتى رفع عبد الله رجله وضربه بها حتى القاه عن المقعد و فأجفل الناس من سقوط عروة وأعظموا غضب عبد الله فتهيبوا ، شم سمعوه يقول له : «يا عروة و والله لو قبلت ما يقولون ما عشت الا فليلا ولا اخذت الا الدنية و وان ضربة بسيف في عز لخير من لطمة في دل» ثم وفف والتفت الى الجموع ولحيته ترقص في وجهه من تمدة التأشر وقال لهم : «اتتم مخيرون فافعلوا ما تشاءون ، وان رجلا يجر الى الحرب بحبل لا يحارب ، وان الله وليي ونعم النصيبي» و قال ذلك وأراد الانصراف ، فوقف ولداه حمزة وحبيب وقالا : «هل نحن مخيران ايضا؟» فعجب حسن لما سمعه وقال في نفسه : «حتى اولاده تخلوا عنه» والتفت الى عبد الله فرآه ينظر اليهما وعناه تلمعان بما يتجلى فيهما من الدمع ثم قال : «نعم وأتسا ايضا في حل ، امضيا واطلبا الحياة ولا تموتا» و ثم اختنق صوته فسكت ريشا ابتلع ريقه ونظر الى ابنه الذالث الزبير وقال له : «يا بني اطلب لنفسك أمانا مع أخويك فوالله اني لاحب بقاءكم » و

فوثب الزبير من مجلسه وقال ولم يبد على وجهه شيء من الخوف : «حاش لله ان أتخلى عنك فما كنت لأرغب بنفسى عنك» •

#### \*\*\*

انصرف عبد الله من باب يؤدي الى دار النساء ، وظل حسن واقفا يسمع ما يدور بين الحاضرين ، فعلم انهم اجمعوا على الخروج الى الحجاج يلتمسون أمانه ، وأدرك ان أشد ما أبعدهم عن عبد الله انه يقتر عليهم، في حين يسخو عبد الملك على بني أمية ويبذل الاموال لمناصريه ، فساءه ذلك لاعتقاده ان هؤلاء انما ارادوا الخروج رغبة في العطاء ، وان صبر ابن الزبير لا يفيده شيئا ولكن الانسان لا يعيش في هذه الدنيا عمرين وانما هي موتة فلا كانت عيشة تشرى بالشرف والمروءة ،

وأحس حسن بيد أمسكته ، فالتفت فاذا بابن صفوان يدعوه اليه فتبعه حتى دخلا حجرة بجانب تلك الدار وابن صفوان يقول : «ان امير المؤمنين يدعوك وقد أحب ان يراك» ، قال ذلك وتركه هناك وخرج ، فسر حسن لهذه الدعوة ورآها فرصة لاداء المهمة التي جاء لاجلها ، وان كان الكلام فيها لا يجدي نفعا ،

ثم عاد اليه ابن صفوان وأشار اليه ان يتبعه ، ومضى به الى حجرة رأيا عبد الله يتمشى فيها وحده وقد اخذ منه الغضب مأخذا عظيما ، وهو تارة يمسح جبهته وطورا يحك لحيته ، وآونة يشمر عن ساعده او يرسل كمه مما يدل على عظم البلبال ، وتأمل حسن في تلك الحجرة فاذا هي لا شيء فيها من الاثاث غير حصير ومقعد ، فلما اقبلا عليه تقدم حسن اليه وسلم بالخلافة فرحب به ودعاه الى الجلوس على المقعد ، فلم ير الجلوس وابن الزبير واقف ، فألح عليه هذا بالجلوس وقال : «دعني واقف ساحس بعد هنيه» ،

verted by Liff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فجلس حسن وبقي صفوان واقفا مكانه يراعــــي عبد الله ويراقب حركاته ولا يتكلم •

ثم التفت عبد الله الى حسن وقال : «من اين قدمت ؟»

قال : «من الشام» •

فبغت عبد الله عند سماع اسم الشام لأن فيها اعداءه ومناظريه ، والتنفت الى ابن صفوان كأنه يطلب مشاركته في الاستغراب فرآه لا يقل عنه استغرابا ، فقال عبد الله : «وما الذي جاء بك الينا ونحن في هذه الحال ، لعلك جاسوس ؟»

قال : «معاذ الله يا مولاي ! • كيف اكون جاسوسا وأفعل ما فعلته اليــوم ؟ »

فجلس عبد الله على جانب المقعد وأمر ابن صفوان بالجلوس فجلس، ثم قال عبد الله: «لا غرابة فيما ظهر منك ان كنت جاسوسك ، لان الجواسيس يتلونون نلون الحرباء ، على اني لا أبالي مهما يكن مسن امرك فما انا ممن يستعينون بالجواسيس وأنا لا اخافهم وانما أستعين بالحق والعدل» .

فوقف حسن وهو يقول: «العفو يا مولاي ، اني أجل نفسي عسن الجاسوسية في هذا السبيل ، وانما انا رسول اليك في مهمة لا ارى مسوغا للكلام فيها الان» •

قال: «وماذا تعني؟ وكيف لا مسوغ لها ؟ • قل • • لا بأس مما تراه من الاحوال • من ارسلك الينا من الشام ؟ • لعلك قادم من عبد الملسك بنصيحة ؟ »

قال: «لا يا مولاي ، بل انا قادم من عند خالد بن يزيد بن معاوية» • قال: «وهو ايضا أموي ، وشأنه عندنا مثل شأن عبد الملك وان يكن • أعرف منه بالكيمياء والشعر وما الى ذلك» •

فقال حسن : «ما كنت أحسب الحقيقة تخفى على مولاي امـــــيم المؤمنين فانها عكس ذلك على خط مستقيم» •

قال : «كيف يكون هذا وكلاهما أموي وقد اتحدا علينا وقامــــــا لحربنا ؟ »

قال: «اما الحرب فقد نصبها عبد الملك وليس خالد • ولو عرفت ما ينهما من الدخائل لتحققت ان خالدا أرغب في بيعة امير المؤمنين من آل العوام انفسهم» •

فقال عبد الله وهو يبتسم ابتسامة الاستخفاف: «وكيف يكون ذلك وهو ابن يزيد الذي أمر بحصار هذا البيت وقاتلنا حتى هدم الكعبسة بمنجنيقاته ثم احترقت وأعدنا بناءها ؟»

فقال حسن: «صدقت يا مولاي انه ابن يزيد بن معاوية ؛ ولكسن لا يخفى عليك انه لما مات يزيد كان الحصين بن النمير لا يزال محاصرا البيت الحرام وأتتم فيه ، وهو لا يعلم بموت خليفته يزيد ، وقيل انكم عرفتم بموته قبله ، واذا صح ما سمعته عما دار بينكم وبينه في شان الخلافة » •

فقطع عبد الله كلامه وقال : «أظنك تعني انه عرض علي البيعة بعد موت يزيد ؟»

قال حسن : «نعم يا مولاي ذلك ما أعنيه ، ولو انك اجبته الى هذه البيعة لما كان على منصة الخلافة سواك» •

فتقطب حاجبا عبد الله بغتة كأنه تذكر امرا يؤلمه ذكره وقال : «ولكنه اراد ان أذهب معه الى الشام ، وأبى الا ان تكون البيعة هناك» •

قال : «وما منع مولاي ان يذهب الى الشام ، انك لو ذهبت معه اليها وقربته منك لم يختلف عليك احد» •

فأسرع عبد الله في قطع الكلام لانه لا يحب ان يتذكر الخطأ الذي

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ارتكبه في ذلك ولولاه لكان بنو العوام خالهاء الاسلام بدل بني أمية لشدة اضطراب حال بني أمية في ذلك الحين • وقال لحسن: «ثم ماذا؟ • أوصلنا الى حديث خالد» •

قال : «لما مات يزيد بايع اهل الشام ابنه معاوية (الثاني) كما تعلمون وهذا لم يكن يرى لبني أمية حقا في الخلافة كما صرح جهارا في خطابه بعد ان تولاها بأربعين يوما ، فانه أمر فنودي : (الصلاة جامعة) • فلما اجتسع الناس وقف فحمد الله وأثنى علبه ثم قال : (اما بعد ، فاني ضعفت عن امركم ، فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابو بكر فلم اجده ، فانتغیت سنة مثل سنة الشوری فلم اجدهم ، فأنتم أولی بأمركم فاختاروا • ما كنت لأتزودها ميتا وما استمتعت بها حيا) • ثم دخل داره وتغيب حتى مات • فلما مات معاوية هذا اختلف الناس فيمن يولونه ، واضطربت الاحوال حتى آل الامر الى مبايعة مروان بن الحكم لانه أكبر بني أمية سنا . وكلنا نعلم شأن هذا الرجل في امر عثمان وكيف انه قد أوقَّد جذوة تلك الفتنة التي لم تتخلص من عواقبها الى اليوم • وهكذا تولى الخلافة مروان دون خَالدُ بن يزيد الذي كان أحق بها منه ، بحكم نظام الوراثة الذي وضعه جده معاوية • على ان بني سفيان لم يرضواً بيعته حتى عاهدهم على انه يجعل الخلافة بعده لخالد • فلما تولاهـــا مروان حدثته نفسه ان يخرجها من نسل معاوية الى نسله ، فتزوج أم خالد حتى تصغر نفس خالد عن طلب الخلافة • واتفق بعد بضعة اشهر ال مروان ناظر خالدا في شأن وشتبه وأهان امه ، فخرج خالد الى امــــه وأطلعها على ما كان فقالت له : (دعه فانه لا يقولها بعد اليوم) • وفـــي المساء جاءها مروان وسألها : (هل اخبرك خالد بما جرى بيننا) • فقالت : (يا امير المؤميين ، خالد أشد تعظيما لك من ان يذكر لي خبرا جرى بينك وبينه) • فلما امسى المساء وضعت مرفقة على وجهه وقعدت عليها هي وجواريها حتى مات ولم يتم السنة في خلافته ، والناس يظنونه مات حنف أنفه • فخلفه ابنه عبد الملك وهو يعلم بالامر ، ولكنه خشي اذا اتتقم لابيه

الله و فعله ابنه عبد الملك وهو يعلم بالامر ، ولكنه خشي ادا اتتقم لاييه ان يفنضح امره ويقال ان امرأة قتلته و فظل حاقدا على خالد ، وظل خالد ينظر اليه نظره الى مختلس و لهذا قلت لمولاي امير المؤمنين ان خالدا أرغب من آل العوام في خلافتك» .



لما فرغ حسن من كلامه ، اطرق عبد الله طويلا ، وشعر حسن وابن صفوان بما يجول في خاطره في اثناء ذلك الصمت الطويل ، ثم رفسع رأسه بغتة ونظر الى حسن وفال : «لقد فات الوقت ، ما يقدره الله فهو كائن ، على اني ما اظن خالدا يرضى بخروج هذا الامر من بنسي أعمامه الى رجل حاربه ابوه عايه ، ولا ارى ثمة مسوعًا لذلك» ، ثم استدرك فقال : «ولكنك لم نذكر بعد ما هو الامر الذي جئت لاجله ٩» فقال حسن : «انه امر لا يستحسن الخوض فيه الان !»

قال : «بل قل» •

قال : «لقد بعثني خالد الى امبر المؤمنين خاطبا» .

قال : «من ؟ ولمن ؟»

قال : «مولاتي رملة اخت امير المؤمنين ، الى مولاي خالد بن يزيد . وقد كتب بذلك كتابا فقدته في المدينة لسبب يطول شرحه» .

فوقع الطلب موقع الاستغراب عند عبد الله لما بينه وبين بني أمية وعلى انه لما تذكر ما سمعه من حسن مال الى تصديق الامر ، وان بقي مرتابا في حقيقة مهمته ، فقال له : «اذا كان خالد كما وصفت فاني أرحب بمصاهرته ، وكنت أود الاطلاع على كتابه ، وليس هناك ما يدعو الى العجلة والحال على ما ترى ، فلنصبر حتى يقضي الله بيننا وبين هذا

الطاغية الذي يرمي بسنجنيقاته بيت الله ولا يخاف عقابا» •

فقال حسن: «ذلك ما دعاني الى التردد في تبليغ الرسالة ، ولكسن يكفيني ما علمته من رضاكم ، رغم اني لا احمل كتاب خالد ، وسأكتب اليه لأطمئنه بالقبول ولكي يرسل كتابا اخر في هذا الشأن ، ثم انسسي أعرض على مولاي ان اكون في خدمته لعلي استطيع امرا يكون فيسه مصلحة له ، فهل ترى ان أذهب الى الحجاج فأكلمه في شأن الهدنة او الصلح فربما كان لكلامي وقع عنده لاني أعد من أنصار بني أمية فلا يرتاب في اخلاصي ؟»

فقطع عبد الله كلامه وقال: «لا ٠٠ لا ٠٠ دعهم وما يفعلون، اني لا أريد وساطة لدى عبد ثقيف » • قال ذلك ووقف، فوقف حسن وحياه ثم انصرف من غير الباب الذي دخل منه، وكان الليل قد ارخى نقابه فنبعه ابن صفوان وناداه قائلا: «رويدك يا اخا العرب» •

فوقف حسن حتى اقترب ابن صفوان منه ، فأمسك هذا بيده وأدنى فمه من أذنه وقال همسا : «تعال معي» •

فمشى معه حتى دخلا دارا بجانب دار ابن الزبير ، فأدخله غرفة خالية وقال له : «سمعتك تعرض على امير المؤمنين التوسط لدى الحجاج في المهادنة او نحوها ، وأمير المؤمنين لم يقبل ذلك أنفة منه ، ولكنني أعلم ما نحن فيه من الضنك ، وان المهادنة تفيدنا في لم شعثنا لاننا قد تشتتنا، لا اقول ذلك خوفا من الموت فاننا لا رغبة لنا في هذه الحياة ، وانما نحن نظلب الآخرة وبنو أمية يريدون هذه الحياة الفانية ويسفكون الدماء من اجلها ، فاذا رأيت ان تقوم بهذه المهمة فافعل» ،

قال : «سأمعى في ذلك جهدي ، ولعلي أوفق الى ما فيه الخبر ان شاء الله » •

فقال ابن صفوان : «انزل الان في دار الاضياف اذا شئت ، او انزل

في داري ۽ ٠

فقال حسن : «بل انزل في دار الاضياف ريشا أدبر الامر» .

فتذكر حسن بلالا والجمل ، وكان قد تركهما بباب المسجد فقال : «ان خادمي ينتظرني بباب المسجد والجمل معه ، وأخاف ان يستبطئني فيظن ان قد مسني سوء» •

فقال ابن صفوان : «انه اذا استبطأك ، فسينام حيث هو ، وفي الفد نـــراه » .

فأطاعه حسن وبات عنده • وقضى معظم الليل يفكر في امر ابن الزبير وفي مسيره الى الحجاج ، ثم ادركه النوم فرأى في منامه انه لقي الحجاج وجادله في امر الكعبة وكيف يرميها بالمنجنيق ، فسمع من الحجاج كلاما غليظا ، فأفاق في الصباح وهو منقبض ألنفس •

ثم جاءه ابن صفوان بالطعام فأكل ، وعرض عليه ان يسير معه الى ببت الاضياف فقال حسن : «ارى ان أبحث عن الخادم والجمل» • فقال : «لا خوف عليهما ، هلم بنا الى دار الاضياف لتعرفها فانها بجانب بيت امير المؤمنين ، ثم تذهب بعدئذ الى حيث تشاء» •

### \* \* \*

سار ابن صفوان مع حسن حتى أدخله دار الاضياف ، واتجه هو الى يبت عبد الله ، ورأى حسن في الدار اناسا لم يعرف احدا منهم ، فجمل يتفرس في الوجوه لعله يرى خادمه بينهم ، فلما لم يجده هم بالخروج الى مواقف الدواب عسى ان يجده مع جمله هناك ، ثم رأى بلالا مقبلا والبغتة بادية في وجهه وعيناه شائعتان كأنه يفتش عن ضائع ، وما كاد بلال يراه

حتى سارع اليه وقال : «ابن كنت يا مولاي • ان سيدي ابا سليمــان سحث عنك » •

... فبغت حسن لذكر ابي سليمان لعلمه انه فارقه في المدينة وقد عهد اليه في تنسم أخبار سمية ، فقلق لمجيئه ونهض وقال : «اين هو ؟»

قال : «تركته في المسجد وجئت للبحث عنك ، فهل أدعوه اليك ؟»

قال: «بل أذهب اليه» • وهم بالخروج فرأى اهل الدار في هرج ومرج يزاحم بعضهم بعضا كأنهم يوسعون الطريق لفادم عظيم ، فوقف مع الواقفين وسأل احدهم عن القادم ، فقال له: «ان ذات النطاقين فادمة الى دار الاضياف» •

فعلم انها أسماء بنت ابي بكر ، أم عبد الله بن الزبير ، وكان يحسبها قد ماتت لكبر سنها لانها ولدت فبل الهجرة بسبع وعشرين سنة ، فهي يومئذ قد بلغت المائة من عبرها ، وكانت مشهورة بكبر العقل وسعسة الصدر وصحة الدين ، فأحب ان يراها فجعل يتطاول حتى اقبلت فاذا هي قد احدودب ظهرها وعسيت ، وجاءت تنوكا على عكاز ، وبنجانبها رجل يسندها ويرشدها الى الطريق ، ورأى الناس يدنون منها ويقبلون اطراف توبها تبركا بها . حتى اذا اقبلت على موقف خدم الدار قالت لهم : «خافوا الله ولا تبخلوا على عباده بالطعام وان كان قليلا في الاسواق فان الله كميل بطعام الغد» ،

فعجب حسن لاهتمام أم الخليفة بأمر الاضياف على عجزها وضعفها، ولكنه تذكر ما يقال عن بخل ابنها عبد الله فظنها جاءت تحث الخدم على اكرام الضيوف لاعتقادها ان ذلك يدفع البلاء عن اهلها • ولا شك في انها كانت قلقة على ابنها عبد الله لعلمها بما يتهدده من الخطر العظيم •

وبعد ان مر موكب ذات النطاقين ، خرج حسن ومعه بلال وسارا الى المسجد ، وسارع حسن الى لقاء ابي سليمان • فحياه وقال : «ما وراءك

یا عمام ؟»

قال : «ان ما ورائی ذو بال یا بنی» •

فبغت حسن وقال : «وما هو ؟ • قل يا عماه • هل اصاب سمية سوء ؟ »

قال : «لم يصبها سوء ولكنها جاءت الى مكة» .

قال حسن : «جاءت الى هنا ؟. وأين هي ؟»

قال: «اصبر ريثما نجلس في بعض جوانب المسجد على انفراد وأقص عليك الخبر» • وكان المسجد خاليا من الناس خوفا من حجارة المنجنيق، فاتحيا ركنا فيه • وحسن في قلق شديد فلما جلسا قال: «قل يا عماه اين سمية الان فقد نفد صبري • وكيف جاءت مكة ؟»

قال : «انها جاءت مكة ، ولكنها الان خارجها» .

فانتبه حسن وقال : «لعلها عند الحجاج ؟»

قال : «نعم يا بني انها عنده» .

فصاح وهو لا يعي ما يقول وما في المسجد من يسمعه غير ابـــي سليمان : «وكيف كان ذلك ؟ أفصح بالله» •

قال : «اخذها زوجة له ، لان آباها عرفجه زفها اليه يوم سفرك ، وأرسلها مع الحملة التي بعث الحجاج يطلبها من طارق بن عمرو عامل المدينة » .

فلما سمع حسن ذلك أطرق كأنه أصيب بذهول ، وتذكر انه شاهد تلك الحملة بالامس مارة قرب مكة ومعها هودج يحرسه فارسان فارتعدت فرائصه وهز رأسه وقال : «أعوذ بالله ! • أأرى سمية تساق الى الحجاج وأبقى واقفا انظر الى هودجها ولا أنقذها ؟ • ولكنني لم اعرفها ولا بد من انقاذها من يد ذلك الظالم ، ومن يد ايبها الخائن الغادر قبحه الله» • ثم التفت الى ابي سليمان وقال : «وهل سيقت الى الحجاج برضاها ؟»

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال ابو سليمان: «ما أظنها الا سيقت مرغمة • فقد علمت ان أباها احتال في اخراجها من المنزل الى ضواحي المدينة وسلمها للجند المعسكرين هناك » •

قال حسن : «اذن هي الان امامنا في هذه الخيام قرب جبل ابـــي قبيس • لا بد لي من الذهاب اليها ، فاما ان أنقذها او اموت فــــي سبيلها » •

فقال ابو سليمان : «اعلم يا بني اني رهين اشارنك وقد قلت لك اني وقفت حياتي على خدمتك ، فاذا رأيت ان تبعثني في شأنها فافعل» • فصمت حسن مفكرا ثم قال : «انني أحتاج اليك يا عماه في ابلاغ رسالة الى مكان بعيد» •

قال: «اني على استعداد للذهاب الى السند في خدمتك» •

قال: «لا ٥٠ بل الى الشام ، الى خالد بن يزيد ، فهل تقبل ؟»

قال : «افعل ان شاء الله ، اين الرسالة ؟»

قال : «اكتبها اليه الان وهي خاصة بالمهمة التي جئت لاجلها» .

قال : «اكتب وأنا بين يديك» .

فأخرج حسن من جيبه منديلا من القباطي (نسيج مصري) وكان قد أعد دواة وقلما في جيبه لمثل هذه الغاية ، وجلس على حجر بجانب احدى عضادات المسجد فكت أسطرا قال فيها :

«الى خالد بن يزيد من حسن ، أما بعد فقد جئت البيت الحرام بعد ان مررت بالمدينة وأضعت فيها كتابك ، ولهذا حديث سأقصه عليك عند اللقاء ، على اني واصلت السفر الى مكة ولقيت ابن الزبير وأبلغته الامر خلال اشتفاله بالحصار وضيق ما حوله ، فأجاب بالرضاء ، ولكنه رأى ان تبعث اليه بكتاب اخر في هذا الشأن ، قاذا شئت فافعل ، وابعث الكتاب مع حامل هذا اليك ، وأنا باق هنا لامر يهمني كثيرا ، والسلام عليكه

## ورحمة الله ،

ثم سلم الكتاب الى ابي سليمان وقال له: «امض على عجل ، واحذر ان يعترضك الحراس حول مكة» ه

قال : «لقد دخلت ولم ينالوا مني مأربا ، وسأترك بلالا في خدمتك لعلك تحتاج اليه في شيء» •

فأثنى عليه وودعه ، وعاد الى ما كان فيه من الاهتمام بأمر سمية ، فرأى ان يذهب الى معسكر الحجاج يبحث عنها ويستطلع خبرها ، وكان كلما فكر في الامر ، وتصور انها زفت الى الحجاج ، اضطرب وثارت أشجانه واشتد قلقه ، حتى لم يعد يستطيع صبرا فعزم على الذهاب الى معسكر الحجاج بحجة انه مندوب من قبل ابن الزبير للمخابرة في شأن وقف الحرب ، ولكنه لم ير بدا من استشارة ابن صفوان لئلا يغضب ابن الزبير ، فنهض لساعته وأسرع الى بيت ابن صفوان فلسم يجده ، فالتسسه في دار ابن الزبير ، فلم يجد احدا في القاعة التي كان الاجتماع فيها بالامس ، وبينما هو مار بالقرب من مرابط الخيل والجمال وبينها الخدم والجمالة وقع نظره على رجل كان في خدمة ليلى الاخيلية ، فتوسم فيه الخير وناداه وقال له : «ما الذي جاء بك الى هذا المكان ؟»

قال : «جئت مع مولاتي» •

قال : «ليلي هنا الأن ؟ وأين هي ؟»

قال : «هي عند امير المؤمنين في بيته ، وأفلنها في حجرة امه ذات النطاقين » •

قال : «ومن این اتیتم ؟»

قال : «من معسكر الحجاج» •

فاستبشر حسن بذلك الخبر لعلمه بأن ليلي لا بد ان تكون قد رأت سمية هناك وسمعت منها شيئا ، فلم يعد يصبر على لقائه ليلي وأخــذ

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتمشى خارج البيت ، وكلما سمع حركة او صوتا ظنها خارجة ، حتى مل الانتظار فعاد الى الخادم وقال له : «هل اقمتم بمعسكر الحجاج طويلا؟» قال : «اقمنا يوما وليلة ، ثم رأيت مولاتي اسرعت الى مكة ، وأرسل الحجاج معنا من أوصلنا اليها لئلا يعترضنا الحراس المحيطون بها» • فأدرك حسن انها جاءت باشارة الحجاج فزاده رغبته في مقابلتها واستطلاع حقيقة الامر • وفيما هو يفكر في ذلك رأى ابن صفوان خارجا من الدار مهرولا • فلما تلاقت نظراتهما أقبل عليه ابن صفوان وقال : «احمد الله على الي رأيتك هنا ، فقد كنت ذاهبا للبحث عنك مخافة ان تكون قد مضيت في الامر الذي ندبت نفسك له بالامس» •

قال حسن : «وماذا تعني ؟»

قال : «أعنى مقابلة الحجاج» .

قال : «وما الذي حدث ؟»

قال: «لقد جاءت ليلى الاخيلية من عنده ، لمثل ذلك الغرض ، وقد سمعت من امير المؤمنين انه لا يرى صلحا ولا هدنة ، لان الحجاج لا يريد منه غير الاستسلام ، وهذا امر مستحيل عندنا والموت اهون منه». فقال حسن : «وأين هي ليلي الان ؟»

قال : «في دار النساء وقد نزلت عند مولاتي ذات النطاقين ، ورملة بنت الزبير عندها ايضا» .

قال : «هل من سبيل الى مقابلتها ؟»

قال : «ذلك يسير • هل اخبرها بأنك تطلب مقابلتها ؟»

قال : «افعل» ٠

## سمية في بيت الحجاج

دخل ابن صغوان ، ثم عاد وأشار الى حسن ان يتبعه ، فدخل وراءه غرفة رأى فيها ليلى وحدها في انتظاره . فلما أقبل عليها فالن : «اذن انت حسن حقا ؟ كيف اذن أكدوا لى انك قتل ؟»

فابتسم وقال : «كدت أقتل ـ ولكنني حي الان فأخبريني هل كنت في معسكر الحجاج ؟»

قالت : «نعم» •

قال : «وهل رأيت سمبة هناك ؟»

فالت : «نعم رأيتها» •

فَخَفَقَ قَلْبُهُ عُنْدُ سَمَاعَ جَوَابُهَا وَعَادَ يَسَأَلُهَا قَائِلًا : «هُلُ رَأَيْتُهَا حَقَيْفَة؟»

قالت «رأيتها ورأتني ، وكلمتها وكلمتني !»

قال : «بالله كيف حالها ؟ وما الذي جرى لها ؟»

قالت: «اراك غائبا عن الدنيا؟ ألم تعلم انها حملت الى الحجاج لتزف السه ؟ »

فلما سمع ذكر الزفاف صعد الدم الى وجهه وقال وهو يظهر التجلد: «نم علمت ، ولكن هل زفت اليه حقا ؟»

قالت : «زفت اليه منذ يومين ، وهي الان في داره مع نسائه» .

قال : «في داره مع نسائه ؟ • اذن صارت زوجة له ؟»

قالت: «نعم» •

قال : «وهل ذكرتماني في حديثكما ؟»

قالت : «ذكرناك وبكينا عليك وهي التي اخبرتني بموتك» •

قال : «وهل هي آسفة على موتي ٩»

قالت : «اما قلبها فمعك ، فهي لا تفتر عن ذكرك لحظة مع حبها من لقائك ، لا يهنأ لها العيش مع احد غيرك. •

فأبرقت أسرة حسن عند سماعه ذلك وقال : «اذا كان الحجاج عقد قرانه بها كما تقولين ، ويئست من لقائمي فكيف ألقاها ؟»

قالت : «الحب كله رجاء يا حسن ، بل الحب يضع الرجاء في موضع الياس » .

قال : «أباقية هي على حبى ؟»

قالت : «نعم وهي مع ذلك لا ترجو لقاءك فكيف اذا علمت بأنك حي؟ فهل انت تحبها مثل حبها لك ؟»

قال: «كيف لا ؟» وهاجت أشجانه ولم يعد يستطيع صبرا على الذهاب اليها وأحس انه مقصر في حق سمية ، وهان عليه ان يضحمي بنفسه لانقاذها و وكلما تصور انها زفت الى الحجاج عظم الامر عليه وكادت الغيرة تحرقه ، فأطرق برهة ثم قال: «وهل زفت الى الحجاج حقيقة ؟ »

قالت : «قلت لك انها زفت اليه وهي في داره مع سائر نسائه» • قال : «أعوذ بالله !• ولكن قلبي لا يصدق انها في بيته مثل احدى نسائه • وهل يحبها هو ؟»

قالت: «يحبها حبا شديدا ، ولم يكن يحلم بحصوله عليها لانها لا تريده ، ولكن المقادير ساعدته فحملوها اليه قسرا» •

فاضطرب وجمد الدم في عروقه وقال : «اني اطير اليها وأختطفها من وسط بيته ومن بين مخالبه !»

فقطعت ليلى كلامه وقالت: «تبصر يا حسن ، ان دون الوصول اليها عقبات لا يستطاع تجاوزها الا بالحكمة» • قال: «وأي حكمة ؟ كيف يمسها الحجاج وأنا حي ؟ و ليس في الحب حكمة و الحب شيء والحكمة شيء اخر و ان الرجل اذا احب ، خضع لقوانين الحب وحدها ، وما في الحب حكمة ولا سياسة ولا رباء وللما وأت ليلى شدة هياجه اشفقت على حياته مما يعترض السبيل الى سمية من الاخطار ، ولاسيما انها عند الحجاج الذي اشتهر بالظلللسم والجبروت و فاذا وقع حسن بين يديه فلن يعفيه من القتل ، فقالت له : «اني معك في ان الحب لا سياسة فيه ولا حكمة ، ولكن المحب ينبعي ان يحرص على حياتك لاجل سمية و تبصر في الامر يا بني ، وسأكون في عونك حتى تبلغ ما تريده ، فاني أعرف قيمة الحب ويسوءني ان يفرق احد بين حبيبين ، بل انسسي فاني أعرف قيمة الحب ويسوءني ان يفرق احد بين حبيبين ، بل انسسي لأنقم على من يسعى في التفريق بينهما ! » و قالت ذلك و تنهدت وأشرق الدمم في عينها و

قَادَرُكُ حَسَنَ انهَا تَنطَقَ عَنَ احْسَاسَ صَادَقَ لَانَهَا احْبَتَ تُوبَةً وَمُنْعُوهَا مِنْهُ فَقَالَ : «بُورِكُ فَيْكُ يَا لَيْلَى فَلَقَدْ خَفَفْتُ مِنْ شَدَةً بِلُواي ، فَأَشْيَرِي عَلَيْ بِمَا نَرِينَ » •

فقالت: «اني وفدت على الحجاج في معسكره، على عادتي في الوفود على الامراء، فرحب بي وأنزلني في دار أعز نسائه عليه، وهي هند بنت النعمان و ولعلك تعلم انها جميلة ذات حسب ونسب ولكنها لا تحبه ولا تحترمه، فلقيت سمية عندها، وتحدثت معها في شأنك فلما انبأتني بفقدك شق ذلك علي، واعتزمت ان أستطلع خبرك في مكة، فعرضت على الحجاج ان آتي اليها وأحاول اقناع ابن الزبير بالاستسلام، مع اني أعلم ان استسلامه مستحيل و فلما جئت مكة علمت انك جئتها بالامس، وخطبت رملة لخالد فقبل ابن الزبير ولكنه استمهلك ريثميا تنقضي الحرب و فكان سروري مزدوجا بسلامتك ونجاحك في المهمة

التي جئت لاجلها • وأرى ان اعود الان الى معسكر الحجاج وأجعلك راويتي ، وأنت تعلم ان لكل شاعر عربي راوية يرافقه فيحفظ أشعساره ويرويها عنه • والحجاج لا يعرفك ، فلن يخطر بباله انك مناظره على سمية ، ومتى وصلنا الى المعسكر وأقمنا به ، تفكرنا في امسسر سمية ، وأسأل الله التوفيق» •

فاستحسن حسن رأيها وقال : «اذن هلم بنا الان ، فاني لا أصبر على هذه الحال» .

قالت: «اسبقني الى المسجد ريثما أودع ذات النطاقين وألحق بك» • قال: «لقد انساني حديث سمية استطلاع ما دار بينك وبين ابن الزبير في امر الصلح او الاستسلام»

قالت: «كنت على يقين من انه لن يقبل ، وقد رأيت أمه أسماء ذات النطاقين اكثر منه تشددا ، واني لأعجب لهذه العجوز وصبرها على المكاره فقد رأيتها مع يأسها من نجاح ابنها تشجعه وتحرضه على الثبات فسسي دعوته ، على اني وقد رأيت معسكره ومعسكر الحجاج ، لا أشك في ان ابن الزبير مغلوب ، فالفرق كبير بين المعسكرين في العدد والعدة وكل شيء » ،

فابتدرها حسن قائلا: «لقد رأيت بعيني اصحاب ابن الزبير واخوته وأهله يتخلون عنه ، وقد نفدت قواته وأقواته فالامر خارج من يديه لا محالــة » •

قالت : «القوة هي الفالبة يا حسن ، والخلافة صائرة الى بني أمية ، لان عندهم الرجال والاموال ، وقد ساعدتهم الاقدار من كل ناحية» ، فقطع حسن كلامها وقال : «ليس يهمني الان الا امر سمية ، وسأسبقك الى المسجد فأتهيأ للسفر» ، قال ذلك وتركها وأسرع الى المسجد ، فوجد بلالا جالسا بباب حانوت لرجل فارسي يبيع الاقتشة بجوار الصفا ، فلما

رآه بلال نهض وتبعه حتى دخلا المسجد ، فقص حسن عليه عزمه على الذهاب الى معسكر الحجاج وأسر اليه الفرض من ذلك .

فقال بلال : «ألا استطيع ان اكون في خدمتك يا مولاي ؟»

قال : «بورك فيك • ولكنني ذاهب في مهمة لا تخلو من الخطر ؛ واذا انكشف امري فيها فلن ينفعني الرجل والرجلان ، على اني ارجو التوفيق • فابق انت هنا بضعة ايام ، فاذا لم اعد فاطلبني في معسكر هذا الطاغية » •

تنكر حسن في ثياب غير ثيابه ، وحمل جرابا فيه أدراج من الرق كتب فيها بعض القصائد ، ثم مكث ينتظر ليلى حتى عادت وقد تلثمت وركبت جملا يقوده خادم ، فركب حسن جمله ، وسارا والخادم يمسي وراءهما حتى مروا ببيت ابن صفوان وكان واقفا بالباب فرأى ليلى وعرفها، وتفرس في حسن فعرفه كذلك رغم تنكره ، فحياهما وقال : «الى اين؟» .

فقال حسن : «لقد عزمت على ان ابدأ السعى في سبيل التوفيق» •

فهز ابن صفوان رأسه وتنهد وقال : «أَسَّأَلُّ الله لكما السلامة» •

وما لبث حسن وليلى ان ابتعدا عن بيت ابن صفوان ، وخرجا من مكة حتى لقيهما رجال الحجاج ، فعرفوا ليلى ولم يعترضوهما ، فواصلا السير حتى اقبلا على معسكر الحجاج .

نظر حسن الى المعسكر والاعلام تخفق فوقه والخيام ممتدة علم مسافة بعيدة ، فعظم امر الحجاج في عينيه وقال : «يا ليلى ان الامر صائر الى هذا العاتي لا محالة ، واني لينفطر قلبي كلما تصورت مصير عبد الله ابن الزبير ، أتظنينه مفرورا بنفسه ؟»

قالت : «كلا ، ولكنه يعتقد انه على الحق» •

قال : «ما الذي اراه على جبل ابي قبيس ؟»

قالت : «ألم تر وقوع الاحجار على الكعبة ؟ ان الحجـــاج نصب

قال : «وأين خيام النساء التي تقيم بها سمية ؟»

فقالت : «نحن سائرون الان الى خيمة الحجاج ، وهي الكبـــــيرة القائمة في وسط هذه الخيام ، وسأدخل انا ثم اخرج وأسير بك الى مكان أعرفه ، وأذهب الى هند بنت النعمان فأرى سمية هناك وأقص عليهــــا قصتك ، وأتفق معها على موعد تلتقيان فيه خارج المعسكر» . وما زالا سائرين حتى اقبلا على خيمة كبيرة قائمة على بضعة عشر عمودا امامها اناس بالحراب ، وآخرون بالسيوف ، وهم أشبه بالحراس عند الروم ــ وكان بنو أمية قد اقتبسوا نظام الحرس من الرومان وتوخاه عمالهم ارهابا للناس ــ وقبل وصولهما الى الباب اناخا الجملين ، ونزلا فمشت ليلي والناس يوسعون لها وحسن يسبر في اثرها حتى وقفت بباب الخيمة، فدخل احد الحراس يستأذن لها ثم عاد يدعوها الى الدخول ، فدخلت وظل حسن مع الواقفين بالباب وهو في شوق شديد لرؤية الحجاج ، وقد طالما مسمع به وبعظم اعماله فوقف بحيث يستطيع رؤيته من باب الخيمة. فاذا هو جالس في صدرها على سجادة ثمينة وقد تربع ووضع السيف على فخذيه تنحت مطرف من خز القاه على كتفيه وأداره عَلَى جنبُه ، ورآه لمَا دخلت ليلي رحب بها بصوت أرق مما كان يتوقعه ، وكان الحجاج رقيق الصوت الا اذا استفاض في الخطابة فيرتفع كثيرا • وتفرس حسن فيه وهو يخاطب ليلي فاذا هو آخفش العينين ، مقطب الوجه ، ولم يجد في وجهه قبولا للابتسام او الضحك .

\* \* \*

لاحت من حسن التفاتة الى جلساء الحجاج ، فرأى رجلا لم يكـــد

يتبينه حتى اضطربت جوارحه واستعاذ بالله من رؤيته فقد كان عرفجة ابا سمية ، وقد جلس بجانب الحجاج يقضي ويمضي وله الحول والطول، وأدرك حسن ان عرفجة لم ينل هذا المنصب الا بتضعية ابنته سمية فهاجت عواطفه وحدثته نفسه بأن يفتك به انتقاما منه ، ولكنه ما لبث ان عاد الى رشده وعلم بما يحيط به من الاخطار فأشاح بوجهمه الى خارج المعسكر لئلا يلاحظ احد عليه شيئا ، كما خشي ان يراه عرفجة فيعرفه ويدبر له مكيدة اخرى ، فمشى متظاهرا بأنه يسير على غير هدي حتى بعد عن خيمة الحجاج ،

ثم سمع ليلى تناديه فسار اليها وتبعها والجراب معلق في كتفسه بوصفه راويتها • وبعد ان قطعا مسافة في المعسكر قالت : «انظر السي هذه الخيسة بجانب هذه الراية انها خيسة القادمين من الشعراء وغيرهم ، فأنم بها ريسا آتيك او أبعث اليك» •

فال : «وسمية ٢٠٠ ألا استطيع رؤيتها الآن ؟ خذيني معك بوصفي خادما لك او تابعا او اي شيء لأرى سمية» •

فرق له قلب ليلى وقالت له: «سر في آثري حتى ندخل مضرب خيام النساء واجعل كأنك تحمل لي هذا الجراب حتى تضعه في الغيمة التي نعن سائرون اليها ، ومتى وصلنا أدبر لك حيلة لمشاهدتها ومخاطبتها» ، فرقص فلبه فرحا ونسي كل خطر في سبيل شوقه لرؤية حبيبته ، وبعد هنيهة وصلا الى خباء له عدة ابواب وحوله خيام اخرى صغيرة ، فعلم انه خباء اهل الحجاج ، وقالت ليلى : «امكث تحت هذه النخلة ومتى دعوتك فادخل» ، وكانت الشمس قد مالت الى المغيب ، فجلس هناك وقليه يدق وعيناه شائعتان ،

ودخلت ليلى الخباء وهو اقسام لكل امرأة قسم على عادة العرب في بناء الاخبية ، فدخلت القسم الذي فارقت هندا فيه فرأتها وسمية جالستين

لا تتكلمان • ولما رأتاها رحبتا بها ، وآنست في وجه هند انقباضا فقالت: «ما لهند غضبى ؟» • فأجابت سمية بفولها : «ومن ذا الذي يقترب من النار ولا يحترق بها • ان ظلم هذا الجبار العاتبي ليصل حنى الى اهمل ستمه » •

وكانت ليلى تعلم ببغض هند للحجاج ، فلم تستغرب ذلك ، ولكنها اغتنست الفرصة وأجابت سمية قائلة : «اراك تشكين من الحجاج وقساوته وأنت لم تعرفيه الا بالامس ، وهو مغرم بك ، ولا يكاد يصدق انسه حصل عليك» .

فقطعت كلامها وقالت: «لم يحصل وان يحصل على شيء باذن الله» وقالت: «ولكن هذا بعيد وأنت في داره وبين يديه ليلا ونهارا» وأشارت بعينيها كأنها تكتم امرا لا تريد ان به وحول به امام هند فاستغربت ليلى قولها وتظاهرت بأنها تريد مخاطبتها في شأن فدخلت بها الى خيمتها الخاصة ، فاستقبلتهما امة الله جاريسة مسمية وكانت تهيى الطعام ، ثم خرجت من الخيمة لبعض شأنها ، فلما خلا المكان قالت ليلى: «رأيتك تتوعدين الحجاج وتبرئين منه وهو زوجك الشرعي ، فضلا عما له من السلطان النافذ عليك ، فكيف تقولين انه لم يحصل على شيء ؟» وكانت سمية قد جلست على حصير من سعف النخل ، وبين يديها وسادة تتشاغل باصلاح ثنياتها وهي تسمع كلام ليلى ، فلمسا سسعت وسادة تتشاغل باصلاح ثنياتها وهي تسمع كلام ليلى ، فلمسا سسعت تنظر الى الارض وليلى تفكر في ذلك وتستغربه ولا تعلم سبب همذا الانفعال فقالت : «مالي ارى سبية ساكتة لا تجيبني عن سؤالي ؟ كيف تقولين انه لم يحصل عليك وأنت بين يديه ؟»

فرفعت سمية رأسها وقد بدا التأثر في عينيها وشفتيهـــــا وقالت : «صدقيني يا ليلى ، انه لن يحصل مني على شيء رغم عقد قرانه بي .

ولم يكن ذلك تفضلا منه ولكنه أجبر عليه لقسم سبق به لسانه • وأسا كونه لن يحصل علي فقد اعددت وسيلة انجو بها منه الى حبيبي ••» قالت ذلك وشرقت بريقها فاختنق صوتها فأرسلت دموعها وهي صامتة لا تشهق ولا تتكلم ، فازداد عطف ليلى عليها ، ولكنها استغربت ما سمعته منها عن الوسيلة التي أعدتها للنجاة • فقالت : «وأي وسيلة أعددت ؟ وأين هو حسن الان ؟»

فلما سمعت سمية اسم حسن لم تعد تتمالك عن البكاء فكان جوابها الشهيق والنحيب ، وهمت ليلى بأن تطمئنها عن حسن ولكنها خشيت ان يصيبها سوء من المفاجأة ، فقالت : «اذا كنت تحبينني فلا تخفي علي سر هذا الامر ، فقد رأيت مني كل اخلاص وأنا خادمة لك الى اخر نسمة من حياتى ، قولى ، ولا تخفي على شيئا» ،

فقالت وهي تمسح دموعها: «اما سبب كونه لم يحصل على شيء مني ، فذلك انه اراد ان يطوف بالكعبة اخر الحجة الماضية فمنعه ابسسن الزبير من ذلك » فأقسم آلا ينزع سلاحه ولا يقرب نساءه ولا الطيب حتى يقتله» •

فتذكرت ليلى انها كانت لا ترى الحجاج الا مدججا بسلاحه حيثما كان ليلا ونهارا • واعتزمت ان تفضي الى حسن بذلك لعلمها انه يشرح صدره ، ثم قالت لسمية : «وما هي الوسيلة التي دبرتها للنجاة منه في المستقبل ؟ »

فمدت سمية يدها الى جيبها فأخرجت منه صرة صغيرة حلت عقدتها فاذا في داخلها قطعة رق ملفوفة على هيئة درج ، فتبادر الى ذهن ليلى الها كتاب ، ثم رأت سمية تناولت ذلك الرق بين اصابعها وقالت : «ان الفرج يأتيني من هذا الدواء!»

فقالت ليلي: «وما ذلك ؟»

فقالت : «هو سم احتفظت به حتى اذا تحققت وقوع الخطر تناولته فيذهب بي الى مكان ارجو ان ألاقي حسنا فيه» •

فرأت ليلى ان تبوح لها بالسر فقالت : «وما قولك اذا لاقيت حبيبك وأنت حمة ؟»

فتفرست مسمية في وجه ليلى وهي تحسبها تمازحها وقالت: «لا تحببي الحياة الي ، فان لقائي اياه في العالم الاخر خير وأبقى ، اما هنا فلا امل لى في ذلك» .

قالت : «لا تقطعي الامل يا سمية» •

فأجابت وهي تحسبها تخفف عنها: «لا أبالي أقطعت الامل ام لسم أقطعه ، فان مدة عذابي في هذا العالم اصبحت قصيرة ، ولا بد مسن انقضاء هذه الحرب فاذا ظل هذا الطاغية حيا كان دوائي في هذه الصرة واذا مات» ، ثم تنهدت وأكملت حديثها فقالت: «ولكن ما الفائدة من بقائي حية وحدي ؟»

فقطعت ليلى كلامها وقالت والجد في غنة صوتها : «اذا بقيت حية فانك لا تكونين وحدك لان حسنا حي !»

فلما سمعت سمية ذلك بغتت وعادت الى التفرس في وجه ليلى ، فرأت المجد باديا في عينيها فوثبت من مجلسها وقالت : «بالله أعيدي ذكسبره وعلليني ببقائه ، قوليانه حي فان ذكره يحييني !» ، قالت ذلك واختنق صوتها فبكت ثم قالت : «ولكن ما الفائدة من التعلل بالاحلام ؟»

فقالت ليلى: «لسنا في حلم ، وانما نحن في يقظة ، وقد آن لك ان تري حسنا انه في اتظارك على مقربة من هذا الخباء وسأدعوه اليسك لتاتقيا» ، ثم خفضت صوتها وقالت: «وتتواعدا على وقت تفران فيه من هذا المسكر ، ولا خوف من مجيء الحجاج الى خيام النساء ما دام قد

وكانت سمية تسمع قول ليلى وهي لا تكاد تصدقه ، ولكنها لم تر بدا من تصديقه ولاسيما بعد ان سمعت ان حسنا بقرب خبائها ، فهرولت الى شق في الخباء ونظرت الى الخارج وكان الليل قد سدل نقابه فلم تر احدا ، فنادت امة الله فأسرعت اليها وقد انارت السراج ودخلت حسى وضعته على المسرجة فقالت لها سمية : «هل رأيت احدا جالسا حول هذا الخباء ؟ »

قالت : «كلا يا مولاتي ولكنني رأيت رجلين مرا معا وخرجا مسن المعسك » •

فقالت ليلي : «هل رأيت احدهما يحمل جرابا ؟»

قالت : «أظنني رأيت مع احدهما شيئا كالجراب» ٠

فأسرعت ليلى وسمية في أثرها وأطلتا من باب الخباء فلم تريا احداء فتحولت ليلى نحو المكان الذي اجلست فيه حسنا فلم تر له اثرا ، فأسقط في يدها ، وفكرت في سبب ذهابه ومن يكون الرجل الذي ذهب به فلم تهتد الى حل •

اما سمية فخامرها شك في قول ليلى ، ولكنها تحققت صدقها لما بدا في عينيها من دلائل الاهتمام وما غشي جبينها من امارات الانقباض ، فقالت لها : «اين عسى ان يكون حسن الان ؟»

فقالت ليلى: «ان ذهابه لا بد ان يكون لامر ذي بال ، فقد جاء معي وهو لا يكاد يصدق انه يحظى برؤيتك ، وما أظنه تحول من هذا المكان بارادته ، ولعله يعود الليلة فلنترقب رجوعه ، ولكن من يكون رفيقه الاخر وهو غريب في المعسكر وقد جاء اليه متنكرا ؟»

ثم دخلتا الخباء ، ومكتت سمية مطرقة مستفرقة في الهواجس وهي مرهفة سمعها فاذا هب النسيم ظنت حسنا قادما فيضطرب قلبها ، وخرجت ليلى الى خباء هند وهي تكتم ما في نفسها لعلها تستطلع شيئا جديدا ، اما سمية فنادت امة الله وكانت انيستها في وحشتها وعزاءها فسي احزانها والمطلعة على مكنونات قلبها ، فلما نادتها لم تسمع جوابها ولا جاءتها فأعادت الصوت فلم يجبها احد ، فاستعاذت بالله من تلك الليلة ، وخرجت الى حيث تتوقع ان تراها فرأت في الظلام شبحين عرفت منهما امة الله ، ورأت الثاني بلباس الرجال فخفق قلبها وتوقعت ان يكسون حبيبها فلم تعد تصبر عن المناداة فقالت : «امة الله ؟»

فقالت : «لبيك يا مولاتي اني قادمة على عجل» • قالت ذلك وظلت واقعة مع الرجل ، فقلقت سمية ولم تعد تستطيع صبرا وهمت بالمسير نحوهما فرأتهما قادمين فتقهقرت حتى وقفت بباب الخباء ووسعت حتى يقع نور السراج على وجه القادم مع امة الله فتعرفه ، ولكنه ظل واقفا على بضع خطوات من الخباء ، ثم تبينت انه بلباس حرس الحجاج ، فتشاءمت منه ودخلت الخباء مسرعة وأمة الله في أثرها • وكانت امة الله قد ادركت اضطراب سيدتها من منظر الرجل فابتدرتها قائلة : «لا تخافي يا مولاتي ان الرجل رسول خير» •

قالت : «ممن ؟»

قالت وقد خفضت صوتها : «من حسن» •

فبدت البغتة في وجهها وقالت : «ليدخل» •

فخرجت امة الله وعادت والرجل معها وعليه لباس الحرس • ولم تكن ملابس الجند قد تميزت يومئذ عن ملابس سائر الناس تمييزا تاما • غير ان حرس الامراء الامويين كان لهم لباس خاص بهم ، اقتبسه معاوية من الروم مع علامات خاصة، فوقفت سمية لاستقبال الرجل وركبتاها تصطكان

لعظم اضطرابها من منظره ٠

اما هو فلما دخل حياها باحترام وقال لها بصوت منخفض: « لا يزعجك امري يا مولاتي ولا يخيفك هذا اللباس فاني خادم لــــك ولمولاى حسن» •

فلما سمعت صوته تفرست في وجهه فعرفت انه عبد الله خادم حسن فصاحت فيه : «انت عبد الله ؟»

قال : «نعم يا مولاتي اني خادمك عبد الله» •

قالت : «وما الذي جاء بك الى هذا المعسكر ؟ وأين حسن ؟ • هل هو حى كما يقولون ؟» • قالت ذلك وشرقت بدموعها •

فقال : «نعم يا سيدتي انه على قيد الحياة ، ولم اكن أعرف ذلك الا هذه الساعة ، وكنت قد يئست من حياته مثلك ولكن الله انعم علينسل بنجاته ، فالحمد لله » .

قالت : «وأبن هو ؟»

قال: «انه مختبىء على مقربة من هذا المكان حتى لا يراه احد، لانه جاء متنكرا ولم ينتبه له الا ابوك، فطلب الى الامير ان يقبض عليه • وقد اطلعت انا على هذه المكيدة فأسرعت اليه وآنبأته بها ، وخرجت به الى مخبأ قرب هذا المعسكر ، وجئت لأنبتك بذلك لنتعاون على استنباط حيلة تخرجان بها الى حيث تشاءان وأنا في خدمتكما» •

فقالت: «سامح الله ابي، بل لا سامحه الله على ما يسومنا اياه من البلاء و لقد اصبحت أكره اسم عرفجة وأكره ان اراه من اجل همده المعاملة و آه يا ربي! ما العمل؟ ما الحيلة؟ قل لي يا عبد الله: هل حسن في مأمن؟»

قال : «نعم يا مولاتي انه في مكان امين ولا بأس عليه» • فقالت : «وكيف ادخلت نفسك في زمرة الحراس ، وكيف انطلى امرك

على الحجاج وعلى ابي ؟»

قال : «ان حكايتي طويلة ، وخلاصتها اني لما يئست من لقاء مولاي حسن في المدينة وكنت قد عثرت على رحله وفيه كتاب من خالد بن يزيد الى عبد الله بن الزبير لا بد من ايصاله اليه ، رأيت القدوم به الى مكة، فاذا كان مولاي حسن قد سبقني اليها لقيته وسلمته اليه ، واذا لم اجده اوصلت انا الكتاب الى ابن الزبير . فلما دنوت من مكة علمت ان رجال الحجاج يحيطون بها من كل جانب ، ولا يستطيع احد الدخول اليها ، وخشيت ان بقع الكتاب في ايديهم ، واحتلت لدخول معسكر الحجاج لعلي أتنسم خبرا عن سيدي ، وقد يسر لي الدخول اني من ثقيف قبيلة الحجاج ، وهو كثير الثقة في اهل قبيلته ويعرفني من قبل ، ولكنني أعلم انه رجل شدید داهیة فربا شك في امري فیأمر بقتلي ، فعزمت على ان أتقرب اليه بأن اعطيه الكناب ، والسيما اني لم أر فيه فائدة بعد فقد مولاي ، وربما تمكنت باقترابي من الحجاج من استطلاع خبر مولاي، فتظاهرت بأني قادم على الحجاج لامر ذي بال يهمه ، وجئت المعسكر وطلبت ان أقابله في خلوة فأذن أي ، فلما عرفته بنفسي عرفني • تــــم اخرجت له ذلك الكتاب وأنا عالم ان ليس فيه ذكر لمولاي حسن ، وانما هو خطاب من خالد بن يزيد الى عبد الله بن الزبير في امر خطبة او نحوها؛ فتظاهرت بأني عثرت بالكتاب مع رجل قادم من الشام ، ولما رأيت عليه اسم عبد الله بن الزبير شككت في امره فقتلت حامله ، وجئت بالكتاب الينه ٠

«فلما سمع الحجاج ذلك مني ، مع علمه بأني من قبيلته ، أحسن الظن بي وقربني منه وجعلني من حراسه كما ترين ، وفي مساء ذلك اليوم قدم ابوك على الحجاج فأطلعه على ذلك وأنا واقف ببابه ، فلما اطلع ابوك على الكتاب ناداني فدخلت الفسطاط فقال : (من اين اتيت بهذا الكتاب؟!)

فقصمت عليه الخبر كما ذكرته ، فقال : (ان صاحب هذا الكتاب عدو لنا عرفناه في المدينة وحاولنا قتله ، ولكن الذي ذهب لاغتياله لم يعد الينا : فهل فتلته انت ؟) • فلما سمعت قوله اطمأننت على حياة مولاي ، ومضيت في اتمام الحيلة فقلت : (لا أعلم أهو الذي قتلته ام لا ، ولكنني قتلت شابا بلباس كذا) . وذكرت له ما يقرب من صفات مولاي فقال : (لعله هو وقد أحسنت على اي حال) • وأدناني ابوك منه ومكثت في جملة الحراس وأنا أتفقد الاحوال وأستطلع الاخبار حتى جاءنا مولاي في هذا النهار مع ليلي الاخيلية وقد تنكر ، فعرفته ، ولم ينتبه لي ولا انا اردت ال يعرفني لئلا ينكشف امرنا ، فتجاهلت حتى دخلت ليلي على الحجاج وخرجت . وكان ابول مم الحجاج في الفسطاط ، فلما خرجت ليلى رأيت علائم الفدر في وجه ابيك ، ومسعته يخاطب الحجــــاج فأصغيت فاذا هو يشير باصبعه الى ليلي ويقول : (ان راويتها جاسوس متنكر) . وأشار بالقبض عليه ، فعلمت انه عرف حسنا واحتلت فـــــى الخروج حتى جئته وهو جالس بقرب هذا الخباء فأخبرني انه جاء مــــن اجلك ، فذهبت به الى خربة وراء هذا المعسكر لا يُعتَّدي اليها احد ، ووعدته ان آني اليك وأطلعك على امره لندبر حيلة للفرار» •

وكان عبد الله يتكلم وسمية تتطاول بعنقها وتصيخ بسمعها وعيناها شاخصتان فيه ، فلما جاء على اخر الحديث اطمأن قلبها وزال قلقها على حبيبها ، فانبسطت أسرتها وقالت : «بورك فيك يا عبد الله ، انك لنعم الرجل . واذا أتيح لنا ان ننجو على يدك فستكون شريكنا في سعادتنا ، والا فلا حول ولا ٥٠٠»

فقال: «ان النجاة قريبة ان شاء الله ، ولكن لا بد من الصبر ، فاذني لي في الانصراف الان ، لاعود الى موقفي لئلا يشكوا في امري ، فاذا حدث شيء او احتجت الى شيء فاني رهين اشارتك ، واذا حدث عندي

شيء جئتك به» • قال ذلك وهم بالخروج فاستوقفته وقالت له: «الى اين ؟ وكيف تترك حسنا وحده في تلك الخربة ومن اين يأكل وأين ينام؟» فقال: «أتظنين اني تركته ولم أعد اليه ؟• كوني مطمئنة فاني أدبر له كل ما يحتاج اليه» • وودعها وخرج •

وتذكرت سمية ليلى ، فنادت امة الله وقالت لها : «ابن هي ليلى ؟» فقالت : «هي في خباء هند» ، وخرجت ثم عادت تقول : «لم اجد في الخباء احدا» ،

فاستفربت ذلك وقالت : «ألم تسألي الخدم عنهما ؟»

قالت: «سألت الخادمة فذكرت لي ان هندا خرجت عند الفـــروب تتمشى بين الاخبية ، ثم جاءت ليلى للسؤال عنها فلما لم تجدها اقتفت اترها ، ولم تعودا من ذلك الحين» •

فقالت: «وأين تذهبان في هذا الليل؟ اخاف ان يكون الحجاج بعث للقبض على ليلى لانها واطأت حسنا على التنكر» • وخافت سمية اذا بالغت في البحث عنهما ان تنصرف الشبهة اليها فدخلت خباءها وجلست تفكر فيما مر بها في تلك الليلة من الغرائب • وكلما تصورت انها نجت بحبيبها وخرجت من معسكر الحجاج يختلج قلبها فرحا •

اما عرفجة فانه عرف حسنا حالما وقع بصرة عليه ، فتجاهل وانتظر حتى خرجت ليلى ثم طلب القبض عليه كما تقدم ، ففوض اليه الحجاج ان يفعل به ما شاء ، فلما ارفض المجلس خرج عرفجة الى كبير الحراس وأوصاه بأن يبعث بضعة عشر من رجاله بالسلاح يقتفون أثر راوية الشاعسرة ويقبضون عليه حيثما وجدوه ، وكان عبد الله قد سبق الى حسن وخرج به الى ذلك المخبأ ،

فلما لم يعثر الحراس على حسن هناك ، عادوا الى عرفجة وأنبأوه بذلك فقال : «الى بليلى فانها في اخبية النساء» • فعادوا اليها فرأوها

تتمشى مع هند بجوار الاخبية ، فأشاروا البهمسل ان تأتي الى فسطاط الحجاج ، فلما سمعت ذلك خافت من انكشاف امرها ولكنها لم تر بدا من الطاعة فسارت مع الحراس حتى اتوا الفسطاط والظلام قد عقد قبابه، فلم يدخلوا فسطاط الحجاج بل دخلوا فسطاطا اخر رأت في صدره عرفجة جالسا ، فلما رأته استعاذت بالله من شر ذلك المساء ، ولكنها كانت جريئة لا تبالي بمن تلاقي ، فدعاها الى الجلوس وقال لها : «ابن هو راويتك يا ليلى ؟»

فلما سبعت سؤاله ادركت ان امر حسن قد انكشف فلم تشأ ان تشرك نفسها في ذنبه فيقعان معا فلا تعود قادرة على مساعدته ، فعمدت الى الحيلة وقالت : «وأي راوية تعنى ؟»

قال : «راويتك الذي يحمل جرابك وقد جئت به اليوم» •

قالت : «وهل دخلت على الامير ومعي راوية ؟»

قال : «لم يدخل معك ولكنه بقي خارجا ، ولما مضيت أقتفي أثرك» • قالت : «وهمل يدل ذلك على انه راويتي ؟ وكيف يكون راويتي ولا ادعوه الى الجلوس في حضرة الامير ؟»

قال : «اراك تتنصلين منه ونحن لا نريد به شر» •

قالت : «لا يهمني ما تريدون به ، ولكني جئت الى المعسكر بالامس وليس معي راوية» •

قال : «كان معك رجل يحمل جرابا» .

قالت: «أتعني الرجل الذي يحمل الجراب؟ لقد التقيت به عند دخولي المعسكر ورأيته يسير بجانبي فلم أتتبه لامره، ولا اعرفه ٥٠ ومع ذلك فاذا كنتم تسيئون الظن بمن يبذل نفسه في خدمتكم فلا حيلة لنا فيكه ٠٠ فيكه ٠٠

فلما رآها غضبت جعل يخفف عنها ويقول : «نحن لم نسيء الظن

بك يا ليلى ، وأنت شاعرة الامير ولك عنده المنزلة السامية ، ولكن هذا الرجل قد خدعنا وهو جاسوس دخل معسكرنا ونعن نحسبه راويتك» قالت : «وهل الامير ممن يخافون الجواسيس ؟ ان من كان مثله حزما وفوة لجدير بأن يخافه الجواسيس ، على اني لو علمت بجاسوس في هذا المعسكر لاطلعت الامير على خبره» •

قال : «بورك فيك ، وأرجو ان تكوني عينا على هذا الرجل ، فاذا رأيته فأنبئينا بمكانه ، فقد بعثنا من يقبض عليه فلم يقفوا له على اثر ولعله يظهر غدا فاكتمي هذا الان» ، فال ذلك ونهض ، فنهضت ليلى وخرجت من عنده قلقة على حسن ، وان سرت لنجاته من قبضتهم ، ثم عادت توالى سمية وقصت عليها الخبر ، فأطلعتها سمية على حديث عبد اللها ، فاطمأن بالها ،

فضى حسن ليلته في الخربة التي اختبأ فيها بجانب المعسكر ، وهي تطل على الطريق المؤدي الى مكة ، ولم يغمض له جفن لشدة قلقه وتشتت افكاره ، وقد عظم عليه ان يخرج من معسكر الحجاج فرارا ولكنه ادرك انه يستحيل عليه النجاة بغير ذلك ، ولبث حتى الصباح وهو يفكر في وسيلة لانقاذ سمية من الحجاج ،

كان عبد الله قد وعده ال يوافيه في مخبئه ليدله على طريقة للفرار ، فقضى ليله في هذه الهواجس ، وفي الصباح صعد على أكمة أشرف منها على معسكر الحجاج لعله يرى عبد الله او رسولا منه ، فرأى بينه وبين المعسكر ارضا خالية وتبين المكان جيدا ، وفيما هو يتطلع رأى رجلا قادما على هجين من أطراف المعسكر كأنه آت من الصحراء ، تسسم اقترب الرجل منه فتبين انه خادمه عبد الله ، فاستبشر بقدومه فلما وصل عبد الله ترجل وأشار اليه ان يعود الى الخربة مخافة الرقباء ، فقال له حسن : «ما وراءك الان ؟»

قال : «أبشرك اولا بأن الحجاج لم يقرب سمية وان كان قد عقد قرانه بها» • قال : «وكيف عرفت ذلك ؟»

قال: «عرفته عن ثقة ، فقد اخبرتني به ليلى الاخيلية ، وهي التي ساعدتنا في تدبير الحيلة للخروج» • وذكر له امر القسم الذي اقسسه الحجاج ، فانشرح لذلك صدر حسن ، ثم قال: «ومادا دبرتموه للنجاة من بطش الحجاج ، اني لاستنكف فرارنا على هذه الصورة ، ويخيل الي ان سمية لا ترضى مني هذا الضعف» •

قال: «انها لما علمت بنجاتك سرت سرورا عظيما ، لانهم لو ظفروا بك لفتكوا بكما معا • ثم اي فائدة من بفائك في المعسكر بعد انكشاف امرك ، وهل تستطيع مفاومة الحجاج وجنده ؟ • وعلى اي حال قد جئتك بما استقر رأينا عليه في هذا الصباح ، وهو ان اترك هذا الجمل عندك وأعود ، فتتأهب انت للرحيل في العشاء وتخرج من وراء هذا التل حتى تطل على الطريق التي تراها امامك ، وسنجدني وسيدتي سمية هناك وكل منا على هجين ومعنا المؤونة اللازمة للسفر في الصحراء اياما • ومتسى بعدنا عن مكة صرنا في مأمن » •

فسر حسن لهذا التديير ، على صعوبة تنفيذه ، وفال لعبد الله: «احذر ان يطلع احد على ما دبرتموه ، فتكون الثانية شرا من الاولى • وثـــق بأنني ان وقعت في هذه المرة فلن يسعني الا ان أناضل عن سمية حتى الموت بين يديها» •

قال : «لقد اعددنا كل شيء ، ولا خوف على سمية لان الحجاج لا يأتي الى خباء اهمله مطلقا في هذه الايام للسبب الذي ذكرته لك» .

اطبأن بال حسن وجلس في مخبئه بالخربة يتناول طعاما أحضره له عبد الله ، ولم تمض ساعة حتى سمع صوت قعقعة اللجم ووقع حوافر الخبل ، فصعد الى الاكمة وتطلع نحو مصدر الصوت فرأى اكثر مسن

عشرين فارسا قد اكتسوا بالدروع ، وفي مقدمتهم فارس ضخم اسود ، هو قنبر عبد عرفجة ، فلما وصلوا الى المكان اشار قنبر بيده الى حسن وقال : «هذا هو فامسكوه» ، فأحاطوا به من كل ناحية ، ولم ير حسن بدا من التجلد فقال لهم : «ما بالكم ؟ وما الذي تطلبونه ؟»

فضحك قنبر مستهزئا وقال: «إن الامير يدعوك الى وليمة العرس!» فاستشاط حسن غضبا من استخفاف العبد به ، وقال له: «اخسأ يا عبد السوء» •

وما أتم كلامه حتى أحدق به الفرسان وسيوفهم مسلولة ، فوضع حسن يده على قبضة سيفه وقد ثارت الحمية في رأسه وقال لهم : « لا يغرنكم عددكم ، ولا تظنوا اني اهاب سيوفكم وخيولكم، فاما اخبرتموني بسا نريدون بالحسنى ، وأما فلن تنالوا مني شعرة قبل ان يقطر حسامي من دما تكم» ، قال ذلك وقد اخذ الهياج منه مأخذا عظيما ولم يعد يبالي الحياة ،

فتقدم اليه فارس منهم لا يظهر من وجهه غير عينيه خلال اللثام وقد شهر السيف بيده وقال : «نراك تظهر من الضعف قـــوة ، وما انت الا جاسوس نذل لا احسبك تحتمل ضربة من هذا السيف» •

فلما سمع حسن قوله صعد الدم الى رأسه وصاح في هذا الفارس قائلا: «أبتخوفني بسيفك؟ انما يخاف السيوف من يخاف الموت، ولست ذلك الرجل ، فاذا اردت النزال فانزل نتبارز راجلين، فلا يصح النزال وأنت راكب وأنا راجل ، واذا خفت فانزلوا جميعا وأنا أستعين الله عليكم » .

فضحك الفارس بصوت عال سمعه الجميع ، قال وهو يحول شكيمة جواده عن حسن : «لو ان الامير أمرنا بقتلك لاريتك القتل كيف يكون، ولكنه أمرنا ان نقودك اليه اسيرا • فامش» •

قال : «لا اسیر ماشیا وأتنم راکبون ، فاما ان ارکب معکـــــم او تىشىوا معى !»

فلما رأوا هذه الجرأة منه هابوه وحسبوا له حسابا ، وجعلــــوا ينتساورون فيسا بفعلونه • فأشار بعضهم بقتله ، وعارض اخرون لان الامير لم يأمرهم بذلك • ثم قر رأيهم على مسايرته ريشما يبلغون به المعسكــر ويقدمونه فيرى الامير رأيه فيه •

وكانوا يعلسون انه يندر ان يساق الى الحجاج منهم وينجو من القتل. فانه كان سفاكا للدماء حتى احصوا الذين قتلهم في حياته فبلغوا مائة الف وعشرين الفا ، ووجدوا في سجونه بعد موته ثلاثة وثلاثين الفا لم بجب على واحد منهم قتل ولا صلب • فرأى الفرسان ان يعاملوا حسنا بالحسنى ويتركوا امر الايقاع به الى الحجاج • فتقدم اليه فارس غير الذي كلمه اولا وقال له : «لو كنا قد امرنا بقتالك لقاتلناك مشاة او فرسانا ، ويحكم الله بينا وبينك ، ولكننا جئنا لنحملك الى الامير» • فرسانا ، ويحكم الله بينا وبينك ، ولكننا جئنا لنحملك الى الامير» • وكان

قال: «قلت لكم اني لا اسير معكم ماتسيا وأتنم راكبون» • وكان فنبر وافغا يسمع كلامه وهو يستغرب صبرهم على جرأته ، فلما سمع قوله بقدم اليه وقال بلهجة العبيد ورطانتهم: «امش يا حسرت وهل انت احسن منى ؟ »

فلما سمع حسن كلامه جرد سيفه وصاح فيه قائلا: «اذا تكلـــم الناس فاخرس انت يا عبد النحس • والا فاني مطير رأسك بحد هــذا السيــف » •

فضحك قنبر حتى بانت نواجَّذه ثم قال : «بعد قليل نرى من المقتول منا . ولكنك غير ملوم لان سمية خرجت من يديك ، تعال وانظرها بين نساء الامير !»

فلما سمعه حسن يذكر سمية ، عز عليه ان يحتقره ذلك العبد وبهزأ

به ، فهاج غضبه واستغرب سكوت سائر الفرسان عن وقاحته ، ولكنه أمسك نفسه وقال له : «لولا خوفي ان يقال لطخت حسامي بدم عبد لئيم لأطرت رأسك عن جذعك ، ولكنني ارجو ان يكون ذلك نصيب مولاك الخائن ، فاخرس ولا تخاطبني والا فأنت الجاني على نفسك» .

فلم يزدد قنبر الا قحة واستخفافا : واقترب من حسن ويده على قبضة سيفه وقال : «ألمثلي تقول هذا الكلام يا حسن ثم تعرض بذكر مولاي، والله اني ضاربك ضربة أعلمك بها الادب والحشمة» • قال ذلك وهم باستلال السيف : فعيل صبر حسن لقحة ذلك العبد وسكوت بقيمية الفرسان ، فجرد حسامه وتلقاه بضربة على عنقه فذهب رأسه يتدحرج على الاحجار •

فلما رأى الفرسان ذلك صاحوا فيه : «لقد حل لنا دمك بعد هذه الجرأة ، كيف تقتل هذا الرجل بين أيدينا ؟»

فلم يبال حسن ضوضاءهم وقال لهم : «اتعدون هذا رجلا ؟ • ان من يعده رجلا لجدير بأن يناله ما ناله • ثم اني رأينكم سكتم عن قحته فلم يسعني الا قتله ، وقد قلت لكم اني لا أبالي الموت فلا تخوفوني به » • قال ذلك والشرر يكاد يتطاير من عينيه ، وظل واقفا وسيفه يقطر مسن دم قنبر وقد اشتفى قلبه بقتله ويئس من الحياة . لانه لم يكن يتوفع من هؤلاء الفرسان الا الفتك به فعزم على الدفاع الى اخر نسمة من حياته ، فاذا مات كريما •

على انه ما لبث ان رأى الفرسان يتسارون ، ثم تقدم احدهم وترجل عن فرسه وقدمه له قائلا : «هذا جوادي فاركبه حتى تأتي المعسكر وشأنك والامير ، وسأركب انا جملك» •

فلما سمع صوت الفارس عرف انه خادمه عبد الله ، فاستأنس به ، وأدرك انه هو الذي حماهم على الابقاء عليه ، فركب الجواد ، وساروا

جميعا نحو المعسكر ٠

وكان السبب في معرفة مكان حسن ، ان عرفجة لما خرجت ليلى من عنده ولم تطلعه على مقره بعث عبده للبحث عنه في المعسكر ، فقضى هذا طول الليل في البحث ، وفي الصباح رأى هجانا قادما الى المعسكر من ناحية تلك الخربة ، فلم يعرف الهجان ولكنه شك في امره ، فذهب يبحث في المكان الذي رآه قادما منه ، وهناك وقع بصره على حسن وجملسه فأسرع الى سيده فأنبأه بما رأى ، فأوعز هذا الى الحجاج فأرسل كوكبة من الفرسان للقبض على الجاسوس الهارب ،

وكان عبد الله قد عاد الى موقفه مع الحراس ، فلما علم بالامر احتال حنى ألحق بأولئك الفرسان ، لعله يستطيع مساعدة سيده ، وبذل جهده حتى ابقوا عليه بعد ان قام بقتل قنبر ، رغم ما له من منزلة رفيعة عند الحجاج مراعاة لسيده ، ولانه ينفع في مثل هذه المهام .

وقد ساعد عبد الله في بلوغ غايته ان الجند لم يكونوا يحبون فنبر لفرط استبداده وقحته ــ واستبداد العبيد ثفيل على الطباع ــ فلسا قتله حسن فرحوا فيما بينهم وبين انفسهم ، وان أظهروا الغضب .

وبعد ان أرسل عرفجة الفرسان دخل على الحجاج في خيمته ، وجلسا ينتظران ما يكون ، وأخذ عرفجة يمهد للفتك بحسن ، فأقنع الحجاج بأنه جاسوس وبأنه اذا بقي حيا فلا يؤمن شره ، وما كان الحجاج في حاجة الى من يوصيه بالقتل ، وهو بطبعه شديد الرغبة في سفك الدماء .

وآن وقت الغداء ، فلم يشأ الحجاج مفادرة الفسطاط قبل مجيء الفرسان ليرى ذلك الجاسوس الذي بالغ عرفجة في وصف خطره ، فلما أحس الجوع أمر بأن يؤتى بالطعام الى الفسطاط ، وكان الحجاج من الاكلة المشهورين في الاسلام أمثال : سليمان بن عبد الملك ، وميسرة البراش ، وغيرهما ، حتى قالوا انه أكل ٨٤ رغيفا مع كل رغيف سمكة في

اكلة واحدة ! • فلما جاءوه بالطعام دعا من في مجلسه الى مشاركته فيه ، فاعتذروا جميعا تهيبا منه الا عرفجة فانه أكل معه ، وان ظل طول الاكل قلقا يفكر فيما دبره لحسن من المكايد • فلما فرغ الحجاج من الطعام رفعت المائدة ، وجلس الحجاج صامتا • وكان عظيم الهيبة حسن الفراسة فاذا سكت لبث الذين في حضرته سكوتا كأن على رؤوسهم الطير •

## \*\*\*

وفيما هم على تلك الحال ، دخل الحاجب وقال : «لقد عاد الفرسان وعما قلل يصلون» •

فقال الحجاج: «وهل الاسير معهم ؟»

قال: «لم أر بينهم احدا ماشيا» •

قال : «لعله جاء على جواد» • قال : «ان بينهم رجلا بلباس غريب ، فلعله هو الاسير» •

فنهض عرفجة ووقف بباب الفسطاط يتفرس في القادمين ، ولما وقع نظره على حسن عرفه ، وكانت هذه هي المرة الثانية التي يراه فيها بعد مقابلتهما في المدينة .

ولما رأى حسن عرفجة ارتعدت فرائصه من الغيظ ، وود لو ان سيفه اصاب عنقه بدلا من قنبر ، ولاحظ عرفجة ان قنبر ليس بين القادمين فظنه تأخر في الطريق ، وعاد الى الفسطاط وجلس بجانب الحجاج ثم دخل الآذن وأنبأ الحجاج بوصولهم فقال : «ادخلوا الرجل لنراه» •

فأدخلوه عليه وقد نزع سيفه ووقف بين حارسين احدهما عبد الله وفي يد كل منهما حربة ، ولا تسل عن هواجس عبد الله في تلك الساعة لما يعلمه من رغبة الحجاج في سفك الدماء ، وأما حسن فانه وقف بقدم ثابتة كأنه بين بعض الاصدقاء ، والتفت الى من حوله في الفسطاط فرأى

في صدره الحجاج وعرفجة ، والى الجانبين رؤساء الاجناد وكلهم سكوت تهيبا من الحجاج • لانه قلما رؤي ضاحكا ، واذا ضحك فانه لا يزيد على ان يكشر عن أنيابه • وقد تسمع قهقهته فاذا نظرت الى وجهه لم تجد فيه اي أثر لغير التجهم والعبوس !

وكان حسن يسمع بظلم الحجاج وشدة وطأته ورغبته في سفك الدماء، ولكنه اعتزم الصبر والتبات حتى الموت، وبقي واقفا برهة لا يخاطبه احد في شيء والحجاج ينظر اليه ويتفرس فيه ثم قال له: «ممن انت؟» قال: «ما انا من ثقيف ولا من أمية» •

قال : «وماذا تعنى ؟»

قال: «أعني اني لست من قبيلة الامير ولا من قبيلة امير المؤمنين ، ومهما يكن من امري بعد ذلك فليس مما يغير رأي الامير في "٠٠» فقطه عرفة كلامه وقال : «أدنا هذا الحداد بخاط ما المداد فقطه عرفة كلامه وقال : «أدنا هذا الحداد بخاط ما المداد فقطه عرفة كلامه وقال : «أدنا هذا الحداد بخاط ما المداد فقطه عرفة كلامه وقال : «أدنا هذا الحداد بخاط ما المداد فقطه عرفة كلامه وقال : «أدنا المداد بخاط ما المداد بخاط المداد بخاط ما المداد بخاط المداد بخاط ما المداد بخاط ما

فقطع عرفجة كلامه وقال : «أبمثل هذا الجواب يخاطب ولي امـــــير المؤمنين ؟! انها قحة !»

فلم يصبر حسن على سماع ذلك من عرفجة والنفت اليه وقال: «بل القحة ان يتصدى مثلك للجواب عن مولانا الامير ويقطع الكلام عليه» فأراد عرفجة ان يتكلم فرأى الفضب في وجه الحجاج وهو يهسم بالكلام فسكت ، وقال الحجاج: «لسنا في مقام جدال ، فأخبرني منا الذي جاء بك الى هذا المعسكر متنكرا ؟»

فتحير حسن ، ولم يدر بم يجيب ، وخاف ان يصرح بحقيفة غرضه فيهيج غيرة الحجاج عليه ، ولا سبيل بعد ذلك للنجاة ، فلبث ساكتا ، فاستبطأ الحجاج جوابه فأعاد السؤال فقال حسن : «جئت لامر يهمني ولا يهم سواي ولا علاقة له بأمر الخلافة او الامارة» .

فقال الحجاج : «نرى اجوبتك مبهمة فأفصح» •

فلبث حسن ساكتا ، فاغتنم عرفجة فرصة سكوته وقال للحجاج : «ان

اجوبته مبهمة لانه يخاف ان يعترف بفعلته ، وهو جاسوس من عبد الله بن الزبير على مولانا الامير • بل هو عدو امير المؤمنين يتمنى سقوط دولته ويسعى في ذلك جهده • واذا شئت ان تتحقق ذلك فاطلب اليه ان يلعن الكاذبين » •

فالتفت الحجاج الى حسن كأنه يستطلع رأيه فيما قاله عرفجة ، فقال حسن : «حاش الله ان اكون كما يقول» •

فقال الحجاج : «اذا كان الامر كذلك ، فالعن الكاذبين : عليا بن ابي طالب ، وعبد الله بن الزبير ، والمختار بن ابي عبيد» •

فارتبك حسن لانه لا يعتقد كذب هؤلاء ، ولا يريد ان يلعنهم • وكان يعلم انه اذا لم يلعنهم فان هذا يكون حجة عليه فقال : «لا ارى علاقة بين صدق نيتي في خدمة امير المؤمنين عبد الملك وبين لعن هؤلاء» •

فقال عرفجة: «أرأيت يا مولاي كيف هو خائن غادر يكذب على الامير كذبا صريحا ؟ أما قلت لك انه جاسوس والجاسوس يستوجب القتل ، اقتله يا مولاي وأرح نفسك منه » قال ذلك وأطرافه ترتمش ولحيته تنتفض في وجهه على صفرها ، وعيناه ترتعشان كأنهما قد فت فيهما حصرم ،

وكان الحجاج مع عتوه وظلمه ذا فراسة ونظر ، فأدرك ان تمنسع حسن عن اللعن لا يدل على جاسوسيته ، ولكنه اعاد السؤال عليه وقال : «لقد صبرنا عليك حتى الان • سألناك عن نسبك فلم تجبنا وهذا ذنب وحده يكفي لاتهامك • ثم سألناك عن غرضك في طرق هذا المسكر متنكرا فأجبت جوابا مبهما ، وكلفناك لعن الكاذبين فأبيت • فهل تتوقع ان نصبر عليك اكثر مما صبرنا ؟»

فلما سمع كلام الحجاج أيقن بدنو أجله ، ولكنه لم يجزع ، وعز عليه ان يشمت به عرفجة ، فلبث ساكتا يفكر فيما يفعل ، واغتنم عرفجة

الفرصة فخاطبه قائلا: «اجب الامير • ألست جاسوسا خائنا جئت لتكيد لامير المؤمنين ؟»

ثم التفت الى الحجاج وقال: «اني أعجب لصبر مولاي على هــذا الخائن وكيف لم يأمر بقطع رأسه ؟»

فلما تحقق حسن بلوغ الامر غايته وخاف ان تنفذ حيلة عرفجة فيه فيأمر الحجاج بقتله ، اعتزم الايقاع بعرفجة ، فالتفت اليه وخاطبه بقلب جسور وقال : «أتدعوني خائنا وما الخائن الا انت ؟»

فوثب عرفجة من مجلسه مفضبا وقال: «كيف تجرؤ على هذا الكذب في حضرة الامير وهو أعلم الناس بصدق طاعتي واخلاصي و والله لو أذن لي الامير لقطعت رأسك بيدي ، فاني لأعلم الناس بخيانتك ، ويعلمها ايضا غلامي قنبر» وقال هذا ثم تلفت حوله متفقدا عبده قنبر ، فلما لم يجده صاح: «اين قنبر ؟» و فأجابه حسن ساخرا وقال: «لن يجيبك فنبر لانه نال جزاءه!» و فالتفت عرفجة الى الحراس مستفهما ، وقبل ان يسألهم اشار احدهم بيده اشارة فهم منها ان قنبر قتل بيد حسن فأجغل عرفجة وحملق عينيه وصاح فيه: «وهل قتلت غلامي ايضا ؟» ثم تقف غير خائف من القصاص ؟!» و ثم التفت الى الحجاج وقال: «أتراه لم يستوجب من القتل بعد ؟ »

فابتدره حسن قائلا: «قتلته لخياتته ، وسوف تنال جزاءك بأمر مولانا الامير متى ثبتت خيانتك» •

فقال عرفجة : «أتتهمني بالخيانة وخياتنك ظاهرة للعيان وقد اضفت اليها جريمة القتل ؟»

فلما رآهما الحجاج يتجادلان ويحاول كل منهما اثبات الخيانة على الاخر ، رأى من الحزم والدهاء ان يصبر حتى يستمع لجدالهما ، وان كان هذا على غير ما تعوده جلاسه منه .

اما حسن فلما رأى الحجاج مصفيا ، التفت الى من حوله من الامراء وقال : «أشهدكم على ان دم الخائن مهدور أيا كان ١٣

فقال عرفيجة : «ما الخائن الا انت» •

فتجلد حسن حتى ملك نفسه ونظر الى عرفجة وقال له بصوت هادىء: «من الخائن منا يا عرفجة ؟• أأنا الخائن وأنت الامين الصادق في خدمة امير المؤمنين ؟»

قال : «وهل في ذلك شك ؟»

قال : «وماذا تقول في الكرسي ؟»

فلما سمع عرفجة لفظ الكرسي ارتعدت فرائصه وبدت البغتة فــــي وجهه ، ولكنه تجاهل ولجأ الى المفالطة قال وهو يضحك ويظهـــــر الاستخفاف : «أي كرسي ؟ • لا شك في انك تهذي» •

فقال حسن: «أنسيت الكرسي ولهيب ناره لا يزال يلفح وجهك ! • أفلم تدرك اي كرسي أعني يا عرفجة ؟»

فتحقق عرفجة اطلاع حسن على حرق الكرسي ، ولكنه استغرب ذلك وأنكره وعاد الى محاولته المغالطة فقال : «ما بالك تهذي يا رجل ؟ وأي كرسي تعني ؟»

وكان الحجاج ينظر في عيني عرفجة ، فلم يخف عليه انه في ورطة ، وبقي صامتا يصني ، فقال حسن : «ألم تفهم أي كرسي يا عرفجة ؟ • هو كرسي المختار بن ابي عبيد الذي كلفتموني لعنه الان !»

فازداد تغير وجه عرفجة وقال : «وما شأنه ؟ وما علاقة المختار بما تقول ؟ »

فقال حسن وقد رفع صوته : «ألا تعرف علاقته بك ؟ اذا كنت لا تعرف تلك العلاقة ، فاسأل محمدا بن الحنفية ، وهو قريب من هنا ٠٠ اسأله او اسأل من شئت ٠ واذا انكرت استنطقنا رماد الكرسي» ٠

فلما مسمع عرفجة هذا التعريض أوجس في نفسه خيفة ، ولم يجد سبيلا الى التخلص الا ان يمضي في تجاهله ومغالطته فقال وهو يضعك: «أنظن مثل هذه المفتريات تنطلي على مولانا الامير ؟ وهل تظنه يصغي لكلام مختلق لا معنى له ولا اصل ؟ • ان الامير ان يكن قد مد لك في حبل الحلم ، فما ذلك الا لكي يأخذك بجريرتك ويجعلك عبرة لامثالك من الخائنين» •

فقال حسن: «للامير ان يفعل بي ما يشاء ، ولكن ذلك لا ينفي كونك خائنا منافقا ، واذا كنت قد انكرت امر الكرسي ، فان امسره معروف وأهل المدينة يعرفون عنك محافظتك بضعة أعوام على محفة لا يعرف احد ما فيها ، ولم يكن فيها الا كرسي المختار الذي زعم انه لعلي بن ابسسي طالب ، واستغله في الدعوة الى قتال بني أمية من ورائه ، فلما مات اخذت الترسي لنفسك ، لتخلف المختار في استغلاله لمناصبة بني أميسة المعداء ومحاولة اخراج الخلافة منهم الى محمد بن الحنفية الذي كان المختار يدعو له» ،

فقطع عرفجة كلامه وقال : «ما هذا الا اختلاق» •

فقال حسن: «ان ابن الحنفية شاهد على ذلك ، ومهما يكن من امره فيما يختص بالخلافة فلا يشك احد في صدقه ، واذا كان شعب علي بعيدا من هنا ، ففي المسجد بمكة من شهدوا حريق الكرسي معي ، وشهدوا الاهانة التي لحقت بعرفجة النزيه الصادق من محمد بن الحنفية حين جاءه مستأذنا في الدعوة الى يبعته وخلع طاعة امير المؤمنين عبد الملك بن مروان ا»

ولم يتم حسن كلامه حتى ضج من في الفسطاط ، ومال الحجاج الى تصديق حسن ، وكان الحجاج مع تقريبه عرفجة لا يجهل خبثه ونفاقه ، ولكنه انما قربه لانه يحتاج الى أمثاله في بعض اغراضه ، فلما رجح ثبوت

هذه النهمة عليه صمم على قتله ، ولكنه أجل ذلك ليرى ما يكون .
اما عرفجة فلما غلبته الحجة عمد الى المواربة فقال وهو يظهر التعقل والهدوء: «يلوح لي ان مولاي الامير سكت عما سمعه من هذا الرجل كأنه مال الى تصديقه» .

فقال الحجاج : «وهل تحسبه اختاق ذلك كله اختلاقا ؟»

قال : «نعم يا مولاي» •

فقال الحجاج : «لا يعقل انه يفعل ذلك ، ولاسيما انه يستشهد اناسا معروفين • ثم ما الذي يدعوه الى هذا الاختلاق ؟»

فقال : «يدعوه الى ذلك امر افظع من خيانته ، ولو اني ذكرته لك ما ترددت في صلبه !»

فقال : «وما ذلك ؟»

قال : «اني لأضن بعرض الامير ان يذكر في مثل هذا المقام ، فاذا أذن مولاي في خلوة ذكرت له السبب ، وأنا ضامن انه يقتنع ببراءتي» .

فقطب الحجاج حاجبيه وأشار بيده فخرج كل من في الفسطاط من الامراء من العراء من وينهم حسن ، وقد سر لما رآه في وجوه الامراء من دلائل نقمتهم على عرفجة لفظاظته وسوء سريرته ، وأن اظهروا له غير ذلك خوفا من الحجاج ، وفاتهم أن الحجاج نفسه لم يكن يثق به .

فلما خلا عرفجة آلى الحجاج اخذ يقص عليه حديت حسن مع سمية ثم قال : «وقد كنت أعدها لخدمة مولاي بعد ان طلبها منذ أعوام • فجاء هذا الثباب وخدعها بحبه ، وهي فتاة لا تدرك أمور الدنيا ، فانخدعت بظاهره ، وكادت توافقه على ان تفر معه او لم أطلع على فعلته ، فسعيت في قتله بمساعدة طارق بن عمرو عامل المدينة • وهذا طارق بين يدي مولاي ينبئك بصدق قولي • ولكن الرجل الذي انفذناه لقتله لم يظفر به ، فنجا ثم جاء متنكرا الى معسكر الامير بعد ان علم بزفافها اليه ليحاول

ان يخدعها مرة ثانية ، ولكني رأيته ساعة مجيئه مع ليلى بالامس ، وبعثت من يأتون به ، فعلمت انه سار الى جهة اخبية النساء ، وقد شق علي ان أصرح بذلك لمولاي الامير لئلا أكدره ، فاكتفيت بأن ذكرت انه جاسوس، لعلمي بأنه صاحب الكتاب الذي جاءنا به الفتى الثقفي منذ حين وظنناه قتله ، ثم علست بأنه فر الى الخربة المجاورة فأرسلنا الفرسان للقبض عليه ويؤيد صدق قولي ، انك لما سألته عن سبب مجيئه الى هنا لم يستطع جوابا » ،

فرأى الحجاج كلام عرفجة معقولا ، ولكنه رأى التهمة الموجهة اليه معقولة ايضا فلم ير خيرا من التريث حتى ينجلي له وجه الصواب • فأمر بسجن حسن ، وتظاهر بأنه اقتنع ببراءة عرفجة •

سيق حسن الى خيمة أفردوها له في طرف المعسكر ، ووقف ببابهسا حارسان مسلحان ، فلما تركزه فيها بعد ان شدوا وثاقه أيقن باستحالة النجاة ، وجعل يفكر فيما مر به وما كان من امر عرفجة معه ، فرأى ان الحجاج لم يقتنع كل الاقتناع بخيانة عرفجة ، وأدرك ان هذا يستعديه عليه من طريق اثارة غيرته ، والغيرة تعمي وتصم ،

وقضى حسن في ذلك بقية يومه ، وجاءوه بالطعام فلم يتناول منه شيئا ، ثم قضى ليلته ساهرا وخيال سمية امام عينيه ، وفكره يبحت عبثا عن وسيلة الى النجاة بنفسه وسمية .

وفيما هو متوسد على حصير من سعف النخل وقد اثقلته الاغلال، سمع وقع أقدام خفيفة في الخيمة ، ثم صوتا يهمس في أذنه قائلا : «لا تخف يا مولاى انى خادمك عبد الله» .

وحاول أن ينهض فأعانه على ذلك عبد الله ثم قال له: «لقد احتلت حتى جعلوني احد الحارسين المنوط بهما تناوب مراقبتك ، وأنا الان في نوبة السهر على حراستك ، وقد نام رفيقى فدخلت لاسائك عما تريد»،

فقال حسن : «لا أريد شيئا ولا رغبة لي في النجاة ، الا اذا نجت سمية معي» •

فقال عبد الله : «وما حيلة الحر الاعزل يا مولاي اذا وقع بين أيدي من لا يتورعون عن قتله ظلما وعدوانا ، مستعينين بكثرة عددهم وعدتهم؟ أيسلم نفسه لهم طوعا ، ام يحاول الخلاص من أيديهم بأي وسيلة ؟»

قال : «أتريد ان أفر من المعسكر وحدي وأترك سميــة في بيت الحجاج ؟ وهل تحسب ان حياتي بعيدا من سمية مما أحرص عليه ؟»

فقال عبد الله: «لا يا مولاي ، لست أعني ان تخرج وحدك ، وانما أعني البحث عن وسيلة تخرج بها انت وسمية معا ، ولا عار في الفرار من وحس كاسر لا يعرف الحق ولا يراعي العدل» .

فسكت حسن ، واستأنف عبد الله الكلام فقال : «سأذهب غدا الى خباء النساء لاستطلاع الامر ، ثم اعود اليك بما يستقر علبه الرأي • فدع القنوط وكل واشرب حتى يأتمي الله بالفرج» • ثم ودعه وخرج •

وشعر حسن بالارتياح وأعجب بغيرة عبد الله وصدق مودته ، نم مكث في اليوم التالي ينتظر رجوعه .

وكانت سبية قد واعدت عبد الله على الخروج معه في مساء الامس، ثم سمعت خبر القبض على حسن والرجوع به الى المعسكر ، وسجنه ، وما لبثت ان رأت الجند قد أحدقوا بخبائها ومعهم السلاح ، فأيقنت ان الحجاج اطلع على سر قدوم حسن الى معسكره فتحققت وقوعها فسي الخطر ، ودعت اليها امة الله جاريتها ، وكانت هي التي اخبرتها بسجن حسن ، فجاءت وهي تظهر عدم المبالاة ، فقالت لها سمية : «هل رأيت الجند المحدقين بنا احداقهم بالقتلة المجرمين ؟»

قالت : «رأيتهم • ولكن ما لنا ولهم ؟»

فقالت سمية : «أتتجاهلين با امة الله ؟ ألا ترين انهم سجنوني كما

سجنوه ؟ وهل تشكين في ان ذلك العاتي قد اطلع على ما بيني وبين حسن فلم يبق الا ان يفتك بنا ؟!»

فالت : «لا أظنه يفتك بك» .

فقطعت كلامها وفالت: «تظنينه يستبقيني لمأربه الدني، ! • ولكن ما انا مبقية على نفسي • اين السم الذي حفظته لي ؟ • لقد آن وقته ! » • وكانت امة الله قد اخذته لتحفظه عندها •

قالت: «أتتوقعين لحسن البقاء وقد وفع في قبضة هذا الظالم الذي لا يرى فيه الا مناظره على عروسه ١٠ آه يا امة الله! يا ليتني ظللت على يأسي الماضي ولم أعلم ببقاء حسن حيا! ان هذا لن يعفيه من القتل • فكيف ابغي الحياة في بيت رجل قتل حبيبي ٢٣

فقطعت امة الله كلامها وقالت : «انه لم يقتله بعد يا مولاتي • وعسى الله ان ينقذه من بين يديه فان الله قادر على كل شيء» •

قالت : «نعم ان الله قادر على كل شيء ، ولكن أليس حسن في حكم المقتول الان ؟» • قالت ذلك وخنقتها العبرات •

فاحتارت امة الله ، ولم تدر بم تعزيها عن توقع قتل حبيبها ، ولم تستطع لومها على تفكيرها في الانتجار حتى لا تبقي في بيت قاتل حبيبها، فظلت ساكنة ، واستأنفت سمية الكلام فقالت : «اين السم ؟ اعطيني اياه»، فتغير وجه امة الله وتناثرت الدموع من عينيها وقالت : «دعي السم الان فان وقته لم يأت بعد» ،

قالت : «اعطيني اياه ، وأعاهدك على اني لا اتناوله الا بعد ان اقطع الامل من بقاء حسن » • ثم اطلقت لنفسها عنان البكاء ، فبكت امة الله معها ، ولكنها اشفقت عليها من الاسترسال في الحزن على هذه الصورة

فكظمت ما في نفسها وقالت: «أتعدينني انك لا تتناولين السم الا بعد وقوع الخطر حقيقة ؟» • فلما عاهدتها على ذلك خرجت ثم عادت وناولتها ورقة فيها المسحوق السام • فتناولته منها وقبلته وهي تقول: «انت هو منقذي من احزاني ومتاعبي • انت وحدك معيني على قهر ذلك العاني ، وانقاذي منه •

وكان الحجاج قد أمر باخراج النساء من الخباء الا سمية وخادمتها وأمر الحراس ان يحدقوا به وهم في غفلة عن سبب ذلك ، فكانت سمية تصيح بسمعها من جدران الخباء لما يتحدث الحراس به ، وسمعته من يحدثون بما اظهره حسن من الشهامة وعزة النفس وما ظهر في كلام عرفجة من التلاعب والفدر ، وكانت كلما سمعت ذلك منهم رقص قلبها فرحا ولكنها لا تلبث ان تعود الى هواجسها ،

اما عبد الله فلما جاء الى سمية ليخاطبها في امر الفرار رأى الحرس محدقا بخبائها فعاد ولم يرها ، وأخبر حسنا بما كان فازداد الامر تعقيدا عنده ففزع بآماله الى الصبر والتسليم للاقدار .

## \* \* \*

قضى حسن اياما على هذه الحال ، ثم حدث ان رأى نفسه فيما يرى النائم وكأنه يقول لبلال خادمه الذي تركه في مكة : «اذا استبطأتني فاطلبني في معسكر الحجاج» ، فلاح لحسن ان يكون بلال جاء المعسكر ولم يعلم بمكانه ، فلما دخل عبد الله عليه ذكر له هذا الامر ووصف له بلالا وقيافته فقال عبد الله : «رأيت في هذا المعسكر عبدا أظنه هو الذي تعنيه ويظهر انه يفتش عن ضائع ولم ينتبه له احد لان الحجاج وحاشيته وسائر الامراء يتأهبون للهجوم على ابن الزبير مرة واحدة ولولا ذلك لكشف عرفجة امره واتهمه بالجاسوسية» ،

فقال حسن: «يهمني امر هذا العبد، فاستقدمه الي على عجل» • فخرج عبد الله فرأى بلالا فاغتنم اشتغال الناس بالتأهب وجاء به الى السجن متظاهرا بأنه يحمل له طعاما ، فقال بلال لحسن: «لقد بحثت عنك حتى يئست من لقائك وكدت أرجع خائبا • فالحمد لله على انبي رأيتك ولو في السجن •••»

فقال حسن : «وماذا وراءك ؟»

قال : «جئت اليك في مهمة مستعجلة وأخشى ان يكون قد فات أوانها » •

قال : «وما هي ؟»

قال: «استدعاني ابن صفوان الى منزل عبد الله بن الزبير في مكة وسألني عنك ، فلما اجبته بأنك لم تعد بعد قال: (ان اسير المؤمنين عبد الله بن الزبير يحب ان يراك لامر ذي بال خاطبه في شأنه منذ بضعة وعشرين يوما ، وهو يريد الان ان يعهد اليه في امر مهم) ، فجئت على عجل وقد قضيت ثلاثة ايام في البحث عنك حتى جاءني عبد الله كما رأيت » ،

فقال حسن : وابن الزبير يطلب ان يراني في مكة ؟»

فقال: «نعم يا مولاي وقد ألح علي كثيراً ، وقال ان الوقت ضيق» و فأطرق حسن وأعمل فكرته فتبين له ان ابن الزبير انما طلبه في شأن خطبة اخته رملة لخالد بن يزيد ، وتذكر انه انما جاء الحجاز لاجل هذا الامر ، ولكنه لم يدر كيف يجيب الدعوة وهو سجين ، فالتفت السبى عبد الله وقال: «انك عرضت علي منذ ايام ان تخرجني من هذا المعسكر، فهل تستطيع هذا اليوم ؟»

قال : «ذلك سهل علي في اي وقت تشاء ، واني أفديك بروحي» • فقال : «لا أبغي الفرار وانما أبغي الخروج الليلة لمقابلة ابن الزبير ثم

اعود في الصباح الى محبسي، •

فأعجب عبد الله بعزة نفسه وقال له : «افعل ما بدا الك فاني رهن اشارتك » •

وكانت الشمس قد مالت الى المفيب فقال عبد الله: «تمهل قليلا حتى يجيء الليل فأعطيك ثوبي فتلبسه وتخرج به وألبس انا ثوبك وأحل محلك هنا ريشا تعود ، وسوف لا يشك من يراك انك من حراس الحجاج . فتظاهر بأنك ذاهب في مهمة الى ابن الزبير ، واذا رأيت ان تبقى هناك على ان ألحق بك ، فافعل» .

فأعجب حسن بمروءة عبد الله وتضحيته في سبيل نجاته ، فقال : «بورك فيك من صديق صادق ، اخاف ال أصاب بسوء فلا اعود فتقع ان تحت طائلة العقاب» •

قال: «اذا اصابك سوء، فلن يبقى لي مأرب في الحياة ، على ان القوم يعتزمون الهجوم غدا على ابن الزبير، فما أظنهم ينتبهون لخروجك، ولن اجد مشقة في اطلاق نفسي من السجن» .

فقطع حسن كلامه وقال: «أما رجوعي فلا بد منه لاني لا استطيع ان اترك سمية» • قال ذلك وصمت بغتة كأن فكرا جديدا طرق ذهنه تمسم قال: «لا بد لي من الانتقام من ايها الخائن» • ثم التفت الى بمسلال وقال له: «أتذكر ما رأيناه خلسة من خيمة صاحبك سعيد في فسطاط محمد بن الحنفية ؟»

قال : «أتعنى حكاية عرفجة والكرسى ؟»

قال : «اياها أعني ، فهل تستطيع الحصول على كتاب من محمد بن الحنفية الى الحجاج يشهد فيه بأن عرفجة جاء بذلك الكرسي وعرض عليه ان يدعو الى يبعته اهل العراق ليخلعوا بيعة عبد الملك بن مروان؟» قال بلال : «ذلك شيء يسير ، فاني صديق قديم لسعيد ، ولهذا

دالة عليه» •

فقال حسن: «اذن اذهب الان الى شعب علي ، واسلك اقرب الطرق اليه ، فاذا حصلت على الكتاب فعجل بالعودة به الى هنا ، حيث اكون قد عدت بعد مقابلة ابن الزبير، •

فخرج بلال وسار في مهمته ، وخرج عبد الله الى المعسكر فوجد القوم يتأهبون للقتال في صباح الغد ، ورأى زميله واقفا بباب الخيمة ينظر اليهم متحسرا على حرمانه من الذهاب معهم ليصيب بعض العنيمة ، فقال له: «اذا شئت اللحاق بالجند فافعل وأنا ابغى هنا لحراسة السجين»، فسر الرجل وشكره وانصرف ،

ولما غابت الشمس دخل عبد الله على حسن فألبسه ثيابه وسلمسه الحربة ، ثم لبس هو ثياب حسن وجلس مكانه ، فخرج حسن قاصدا الى مكة ، ولم يشك فيه احد لظنهم انه من الحراس ولانشغالهسم بالتأهب للهجوم على مكة ،

## - 10 -

# ام ابن الزبير

دخل حسن مكة دون ان يعترضه احد ، ولاحظ ان اسواقها خالية من الناس ، غير انه ما كاد يشرف على المسجد حتى وجد الناس قسد ازدحموا فيه وفيما جاوره من المنازل ، فعلم انهم يتوقعون شرا ولم يفتهم ما نواه الحجاج ، فسار توا الى منزل عبد الله بن الزبير فرأى الناس

يتدافعون عند بابه ، وسأل عن ابن صفوان فعلم انه في خلوة مع ابن الزبير ، فوقف مع الواقفين حتى مضى معظم الليل ، فمل الانتظار وشق طريقه بين الناس ملتمسا الحجرة التي فيها عبد الله ، فلما بلغها سأله الخدم عما يريد ، فذكر انه يريد مقابلة امير المؤمنين لامر ذي بال ، فأبلغوا امره الى ابن صفوان ، فخرج اليه وما كاد يراه حتى رحب به ، فسأله حسن : «ابن امير المؤمنين ؟»

قال : «تركته يصلى الفجر» •

قال : «لقد جِنَّت لمقابلته اجابة لطلبه» •

فقال: «نعم لقد طلب ان يراك لامر يريد ان يسره اليك و وسوف أدخلك عليه» و قال ذلك وعاد الى الحجرة ومكث حسن في انتظار عودته في فناء البيت وهو يتوقع ان يطول غيابه لعلمه بطول صلاة ابن الزبير مذرآه يصلي في المسجد من عهد قريب و

على ان انتظاره لم يطل ، وسرعان ما عاد ابن صفوان وأشار اليه ان يتبعه ، فمضى وراءه حتى دخل الحجرة فوجد عبد الله واقعا وسطها وفد تقلد الحسام ولبس الدرع تحت جبة خز ، وتحتها سراويل ومنطقة ، وقد فاحت منه رائحة المسك ، فهم حسن بتقبيل يده ، فلم يمكنه من ذلك ورحب به ، ثم اشار الى ابن صفوان فخرج ، وأقفل عبد الله الباب نفسه ، فاستغرب حسن ذلك ولبث واقعا ينتظر ما يبدو منه ، فرآه يتجه الى وسادة على طنفسة هناك فجلس وقد وضع سيفه مستعرضا على ركبتيه وأسند ذراعيه عليهما فوقه ، وأشار اليه ان يجلس بجانبه ، فجلس صامتا ،

وظل عبد الله مطرقا وهو يلاعب لحيته بين انامله ، ثم التفت السى حسن وقال له : «ما أظنك حصلت على كتاب من خالد» •

قال : «ان الرسول لم يعد بعد» .

قال : «وما أظنني اراه ولو عاد من الغد» .

فقال حسن دون ان يدرك قصده : «كيف لا وهو رهن اشارة امير المؤمنين ؟ »

قال: «على اي حال ، لقد ايقنت بصدق رغبة خالد في الزواج من اختي ، وانه فيما علمت لافضل القوم ، فاذا لقيته فأوصه عني بها خيرا ، واذكر له ان مصاهرته لآل الزبير جاءت متأخرة ، ولو انه عجل بها بضعة أعوام لما استطاع بنو مروان الاستبداد بالامر ، بما لا ينطبق على كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » • قال هذا وقد ظهر التأثر في عينيه وخشن صوته ، ثم واصل كلامه قائلا: «ليت شعري كيف يسود العتاة الظلمة ؟ وكيف يتغلب قوادهم المنافقون الذين يرمون بيت يسود العتاة الظلمة ؟ وكيف يتغلب قوادهم المنافقون الذين يرمون بيت الله بالحجارة على رجال يعبدون الله ويعملون بكتابه ؟»

فأدرك حسن انه يئس من الفوز ، وأراد ان يستطلع ما اعنزمه فقال:

«لا يخفى على مولاي ان النصر من عند الله يؤتيه من يشاء . ولا عجب في ان تكون الغلبة في الدنيا لمن همهم الدنيا ، فقد كانت الغلبة لمعاوية على الامام على صهر الرسول وابن عمه ، وقد فتك ابن زياد بالحسين وآل بيته ، ذلك لان الدنيا شيء والآخرة شيء اخر ، وقد انقضى العصر الذي ساد فيه الحق والدين والتقوى ، وأصبح الحكم الان لا يتولاه غير اهل الدهاء والسياسة و ٠٠» ، ولما بلغ الى هنا بلع ريقه وبدا فسي وجهه انه اراد التصريح بشيء ثم توقف خوفا او حياء ، فنظر عبد الله اليه نظرة من يتوقع اتمام الكلام ، فأتم حسن كلامه قائلا : «ولا اخفي على مولاي ان آل مروان ، وآل ابي سفيان قبلهم ، لم يخلص لهم الملك دون بني هاشم وغيرهم الا بالدهاء والسياسة وبذلهم المال لدعاتهـــم وأنصارهم» ، فلما ذكر المال ، بدا الانقباض في وجه عبد الله وقال : «لا تذكر ني بالمال وأمره فقد كنت شحيحا به لانه مال بيت الله ، ولعلي

لو بذلته للاحزاب لم يستطع ابن مروان الاستبداد بالامر دوني ، واكني لا ألتمس الدنيا بالباطل ولا ابتياع الانصار بالمال» •

فقال حسن : «لو ان مولاي اصغى لمتبورة الحصين بن نمير يوم وفاة يزيد لما صار الامر الى بني مروان ٠٠»

فقطع عبد الله كلامه وقال: «سمعتك تذكر هذا الامر قبل اليوم ، ولقد سمعته كذلك من كثيرين ، على اني لو اطعت الحصين ورافقته الى دمشق لما بايعني بنو أمية ، فهؤلاء شق عليهم ان يبايعونا في ديارنا وببن اهلنا ، فكيف لا يكون ذلك أشق عليهم في ديارهم وبين احزابهم ، ومع ذلك فقد قضي الامر ، وما بعثت اليك الا لاوصيك باختي خيرا ، فأوص بها خالدا ، وأبلغه عني اني أوصيه كذلك بأن يدع امر الخلافة فانها فأقة على اهل الدين في هذا الزمان ، وليشتغل بما هو مشتغل به من العلم والكيمياء فذلك خير له وأجدى عليه ، ولا اخفي عليك اني قطعت الامل في الفوز بعد ان نبذني الاهل والاصدقاء خوفا من الموت ، ولو اني ظلبت الدنيا لما المتنع علي الحصول عليها ، ولكنني اطلب الآخرة ، ولو وقد دعوت الناس الى الحق فلم يصغوا ، فلم يبق الا ان اتركهم وشألهم، وقد انبأني الجواسيس بأن الحجاج وقومه عزموا على مهاجمتنا فسي الفد ، ويفعل الله ما يشاء» ، قال ذلك وغص بريقه فتشاغل باصلاح غمد حسامه ، ثم وقف وقال : «تعال معي الى امي الأخبرها بما استقر عليه الرأي في شأن رملة» ،

فوقف حسن ومشى في اثره وقد لاح ضوء الفجر ، فدخلا حجرة رأى حسن في صدرها امرأة عجوزا عرف انها أسماء ذات النطاقين أم عبد الله ، وهي بنت ابي بكر الصديق ، وأخت عائشـــة زوج النبي • وكانت قد كف بصرها وبدا الهرم في وجهها ، فحياها عبد الله وقبل يدها، فقبلته وتنهدت ثم قالت : «ما وراءك يا بني ؟ مالي أشم منك رائحـة

قال : «اني أتحنط كل يوم استعدادا للموت . وأما الان فقد جئتك بحسن الذي ذكرت لك قدومه من عند خالد بن يزيد لخطبة اختي رملة وقد اخبرته بقبول الخطبة فان خالدا لاهل لذلك» .

فرفعت رأسها وهي تجيل عينيها المطبقتين كأنها تحاول اذ تنظر الى ابنها ، ونظر حسن الى وجهها وقد تغطى جانباه بالنقاب فرأى دمعتين تقطرتا من جانبي انفها بغير ان يبدو للبكاء آثر في وجهها ، فلم يستغرب صبرها وتجلدها لما سمعه من ثبات جأشها وقوة قلبها ، ثم قالت : «لقد صنعت خيرا يابني» ، وسكتت وكأن في نفسها شيئا تكتمه ثم قالت : «في اي ساعة نحن من الليل الان ؟»

قال عبد الله: «نحن في الصباح» وما أتم كلامه حتى سسع في الخارج دوي شديد أعقبته صيحات الاستنكار من الواقفين بالبسساب الخارجي للمسجد، فأدرك حسن ان الهجوم قد بدأ ، وان ما سمعوه هو صوت وقوع حجارة المنجنيقات على الكعبة و ونظر الى عبد الله فاذا هو قد تغيرت سحنته وبان القنوط في وجهه ثم التفت الى أمه وقال: «لقد بدأ اعداؤنا هجومهم الاخيريا أماه ، وقد آليت ألا أفعل امرا الا استشرتك ، فبماذا تشيرين ؟»

فنظر حسن الى اسماء وتفرس في وجهها فاذا هي تزيح النقاب عن وجهها ، ثم قالت وشفتاها ترتجفان من الشيخوخة لا من الخوف : «انت أعلم بنفسك يابني ، فان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه اصحابك ، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية ، وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد انت ، أهلكت نفسك ومن قتل معك، وان قلت : (كنت على حق فلما وهن اصحابي ضعفت) ، فهذا ليس فعل الاحرار ولا اهل الدين !»

فقال عبد الله: «انسا اخاف ان قتلني اهل الشام ان يمثلوا بي» • فقالت: «يابني ان الشاة لا تتألم بالسلخ، فامض واستعن بالله» • فقبل عبد الله رأسها وقال: «هذا رأيي الذي أصر عليه حتى اليوم، ووالله يا أماه ما ركنت الى الدنيا ولا احببت الحياة فيها • وما دعاني الى ذلك الامر الا غضبتي للحق ولقد زدتني برأيك هدى وبصيرة» • تسم سكت قليلا، وقال: «اسمعي يا أماه، اني اشعر بأني مقتول في يومي هذا > فلا يشتد حزنك، وسلمي الامر لله، فان ابنك لم يتعمد ايثار منكر، ولا عمل بفاحشة، ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم او معاهد • ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل انكرته • ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي» •

فقالت وقد بان الجد في جبينها : «ارجو ان يكون عزائمي فيك جميلاه ان تقدمتني احتسبتك ، وان ظفرت سررت بظفرك ، فامض لشأنك ، والله معك ، ولئن قتلت ففي سبيل الله» .

ثم اتجه عبد الله الى حجرة اخرى ليودع اخته ، وظل حسن واقفا في انتظار عودته ، فسمع اسماء تتأوه وقد رفعت وجهها وقالت :

«اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة ، وبره بأبيه وبي ، اللهم قد سلمته لامرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني فيه ثواب الصابريسين الشاكرين» ، فاستغرب حسن صبرها وقوة ايمانها ، ثم عاد عبد الله اليها وهم بتقبيل يدها ، فأمسكت بيده وضعته الى صدرها قائلة: «هذا وداع فلا تبعد»، فقال : «انما جئت مودعا فكأني بهذا اليوم اخر ايامي من الدنيا» ، فخفق قلب حسن تأثرا ، وترقرق الدمع في عينيه ، ونظر الى اسماء فاذا هي لم يبد في وجهها ما يدل على التأثر ، فعلم ان ثباتها فوق ما كان يسمعه عنها ، ثم ما لبث ان سمعها تقول لعبد الله : «امض على بصيرتك

وادن مني حتى اودعك» • فدنا منها وعانقها فعانقته وأحاطت يديهـــا بخصره وقبلته فوقعت يدها على الدرع فنفرت وقالت : «ما هذا صنيع من يريد ما تريد!» • فقال عبد الله وقد بدا الخجل في وجهه : «ما لبسته الا لأشد به متني« • فقالت : «انه لا يشد متننا • البس ثيابك مشمرة» • فمد عبد الله يده الى الدرع ونزعها ، ودرج كميه ، وشد اسفل قميصه وجبته تحت ثنيات سراويله وأدخل اسغلها تحت المنطقة ، ثم خرج •

## -17-

#### مقتل ابن الزبير

خرج حسن في أثر عبد الله بن الزبير وقد عزم على البقاء معه حتى النهاية ، وشعر عبد الله بذلك ، فالتفت اليه وقال : «ناشدتك الله ألا تعرض نفسك للقتل» .

وكان حسن على يقين من فوز جند بني أمية ، لكثرتهم واتحادهم ، ولكنه ظل سائرا في أثره حتى خرجا من المنزل ، فلما وقع نظر عبد الله على المنتظرين هناك وقد تهيأوا للقتال وغطت الدروع أبدانهم ، قال لهم: «اكشفوا وجوهكم حتى انظر اليكم» • ولما كشفوها علم انهم بقية اهله فقال : «يا آل الزبير لو طبتم بي نفسا عن انفسكم كنا اهل بيت من العرب اصطلحنا في الله • فلا يفزعكم وقع السيوف فان ألم الدواء للجراح أشد من الم وقعها • صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم ، غضوا أبصاركم عن البارقة ، وليشغل كل امريء قرنه ، ولا تسألوا عنى فس كان

سائلًا عنى فانى في الرعيل الأول • احملوا على بركة الله» • وبقي حسن حائرا لا يستطيع الاشتراك في القتال ، نزولا على رغبة ابن الزبير . وحتى لا يراه الحجاج او بعض رجاله فيثبت لديهم ما اتهمه به عرفجة • فآثر الالتجاء الى المسجد حتى تنتهى المعركة • فلما مضى عبد الله ومن معه الى القتال التفت فرأى اعلام بني أمية قد مـــــلات الطرقات ، فسارع الى المسجد الحرام ، ولكنه لم يستطع الدخول ، لان الحجاج كان قد اوقف ببابه اناسا ليمنعوا الناس من دخوله ، فدخل منزلا الى جوار المسجد وأطل من كوة فيه فرأى ابن الزبير يناضل مناضلهــة الاسود ، ويتنقل في المعمعة من جهة الى اخرى ، وبجانبه ابن صفوان يدافع عنه : ثم سمع عبد الله يقول : «ويلمه فتحا لو كان له رجال» . فقال له ابن صفوان : «اي والله وألف» • فحدثت حسن نفسه بأن يمضى اليهما ويقاتل معهما ، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الحجاج قد ترجـــل وأقبل يسوق الناس الى مقاتلة ابن الزبير بعد ان رآهم لا يقوون على الوقوف بين يديه ، وكان حامل علم ابن الزبير يقف بباب شيبة من ابواب المسجد ، فهجم الحجاج عليه بمن معه ، فرآهم ابن الزبير فسارع الى صدهم عنه ، واستمر آلقتال على أشده بباب المسجد ، ثم دخله آلفريقان. ولم يمض قليل حتى استطاع الحجاج ورجاله قتل صاحب العلم وأخذوه منه : فتفرق رجال ابن الزبير من حوله ، ولكنه ظل يقاتل حتى قتل هو وابن صفوان ، ثم رأى حسن رجلا أسرع الى جثة عبد الله وحز رأسه وحمله الى الحجاج ، فلما رأى الحجاج الرأس سجد وأكــــرم صاحب البشارة • ثم أمر بأن يحمل رأسا ابن الزبير وابن صفوان الى المدينة. وبأن تصلب جثة ابن الزبير في الحجون ــ وقد صلبوها اياما ــ وهكذا ايقن حسن باتنصار الحجاج ، وتذكر ان سمية عنده في المعسكر ، فرأى ان يسارع اليها فيه ، فاماً نجا بها ، واما عاد الى محبَّسه ، وسرعان ما

تسلل الى المعسكر ، وهو يحاذر ان يراه احد ممن يعرفونه فيحبط مسعاه، وقال في نفسه : «لقد خلا الجو لعبد الملك بن مروان وأصبحت الخلافة لا ينازعه فيها منازع» • وكان حسن كلما دنا من معسكر الحجاج تمثلت له النجاة بسمية هينة فمشى وهو لا يزال بلباس الحرس والحربة بيسينه فلا ينبك الذي يراه عن بعد انه من حرس الحجاج فلما دخل المعسكر لم ير فيه الا نفرا قليلا من الحامية • فالتمس خباء النساء وقلبه يخفق لما يتنازعه من عوامل الرجاء والخوف والحياء والشوق • فبينما هو يرجو السعادة بالفرار بسمية كان يعد الفرار عارا ٤ ولكنه هونه على نفسه لانه لا يرى غير الفرار سبيلا الى نجاته والا فانه سيكون سببا لتعاسة سمية او قتلها • فمشى في طريقه الى المعسكر ، وهو ني ملابس الحراس التي اخذها من خادمه ، فلما بلغه رأى ان يذهب اولا الى خيمة السجن ليرى ما تم في امر خادمه الامين وليستعين به على انقاذ سمية ، فلما بلغ الخيمة رآها خالية ، فوقف برهة يفكر في الامر ، ثم رأى ان يعجل بالذهاب الى سمية في الخباء لئلا تفوت الفرصة • وفيما هو سائر وقد أوشك ان يبلغ الخباء سمع صوت ابواق ، فالتفت فرأى جماعة من الفرسان عائدين من مكة ، فأسرع في مشيته ليبتعد عنهم • وكانت الشمس قد مالت السي الغروب فلما أطلُّ على الخباء لم ير حوله احدا ، وخشي ان تحول بغتة سمية دون ما يبغيه من سرعة الخروج بها ، لانها لم تره منذ خروجه من

وفيما هو يدور حول الخباء سمع خفق نعال فيه ، فأصاخ بسمعه فرأى شبحا خارجا ، وما تفرس فيه حتى أدرك انه امة الله جارية سمية، ولم يكن قد رآها من قبل ولكنه سمع بأوصافها اما هي فكانت قد رأته في دار عرفجة بالمدينة ، فلما رأته والحربة في يمينه وعليه ثياب حراس

المدينة ، فتمهل في سيره ، وأخذ يبحث لمعرفة مدخّل الخباء ومخرجه ، وهل سمية وحدها ، ام عندها احد من النساء او الخدم او غيرهم .

الحجاج ، استعادت بالله ، ثم ما لبثت ان تفرست فيه فعرفته وقالت : « حسن ؟ »

قال : «نعم م اين مولاتك ؟»

قالت : «هنا» • وأشارت الى الخباء الذي خرجت منه •

قال: «وكيف حالها؟» • قالت: «انها في حال تدعو الى الرثاء حزنا عليك ، وخوفا من ذلك الظالم ولأسيسا بعد اذ فرغ من الحرب ، وقتل ابن الزبير ، فتحلل بذلك من قسمه» •

فاضطرب حسن وهم بالدخول الى الخباء ولكنه خشي ان تسيء البغتة الى سمية فقال لأمة الله: «ادخلي وانبئيها بقدومي لنخرج معا من هنا الان» •

قدخلت امة الله . ولم يصبر حسن الا قليلا ثم دخل في اثرها فوجد سمية جالسة وهي تفرك عينيها بأناملها وتنظر الى امة اللسه وتفول : «أصحيح ما تقولين ؟ حسن هنا ؟! حسن جاء ؟! • لا • • لا • • انك تمزحين ، او انا في حلم !»

ولاحظ انها قد تغيرت وامتقع لونها لفرط ما قاسته ، فازداد خفقان قلبه ، وأجابها بدلا من امة الله فقال : «بل انت في يقظه يا حبيبتي • وها أنذا جئت لانقاذك • هلم بنا نخرج الان من هذا المعسكر • هيا يا سمية فان الوقت ضيق والخطر قريب» •

فوقفت وركبتاها تصطكان ، ولبست نعالها والتفت بعباءتها ، وفالت وهي ما زالت مذهولة : «ما احسن هذا اللقاء ، هلم بنا» •

وكانت امة الله مشتغلة بأخذ بعض الطعام للتزود به خلال الرحيل . ولكنها كانت اكثر منهما انتباها لما حولها • فسمعت وقع حوافر خيـل قادمة من بعيد فأسرعت اليهما وهي تقول : «لقد جاء الفرسان . وأظنهم الحراس الذين كانوا حول الخباء بالامس» •

فلما مسمعت مسمية ذلك التفتت الى حسن وقالت وصوتها يرتجف : «حسن • حسن • لا تخرج فانهم اذا رأوك خارجا اشتدت شبهته مسم فيك • • لا تخرج • واذا كانوا قد جاءوا للقبض عليك فلنمت معا» • فتارت الحمية في رأس حسن ، وهان عليه لقاء الالوف تفانيا فــــي

الدفاع عنها فقال : «لا عاش من يمسك بسوء وأنا حي» •

وشعروا بافتراب الخيل من الخباء : وكان الليل قد سدل نقابه وبدأ الظلام يتكاثف فأمسكت سمية بيد حسن ، وقالت وهي ترتعد : «اما ان نعيش معا ، واما ان نموت معا » و ولا تسل عن خفقان قلبيهما تأثرا للقاء الفجائي وما صحبه من بواعث الاضطراب لقدوم اولئك الفرسان ، فبقيا واقفين صامتين ، وقد امتقع لونهما وتصبب العرق من وجهيهما وارتعدت فرائصهما ، ومع ذلك كان حسن يشعر بأنه أشد بطشا من الاسد ، وبأنه قدير على انقاذ سمية من جيش بأكمله ، وكذلك كانت سمية قد انساها قدير على انقاذ سمية من جيش بأكمله ، وكذلك كانت سمية قد انساها اللقاء كل خوف على نفسها ، وأصبح كل همها ألا يصاب حسن بسوء ، فامسكت به وهي لا تدري أتحرضه على الفرار بنفسه ولا صبر لها على فراقه بعد هذا اللقاء ، ام تفر هي معه وفي فرارها خطر عليه ، ام تستبقيه في الخباء معها وفي بقائه تهمة كبرى ؟

مرت كل هذه الهواجس بهما في لحظة انتظارهما وصول الفرسان القادمين ، ومعرفة ما وراءهم ، فلما وصل الفرسان الى الخباء ، احدقوا به من جميع الجهات ولكنهم ظلوا مرابطين خارجه ، كما كانوا بالامس ، فاطمأن قلب حسن ورجح ان قدومهم ليس لشبهة او تهمة جديدة ، فأخذ يعدى و وع سمية حتى سكن جأشها ، وقضيا ساعة يتبادلان الاحاديث ، وقد نسيا الحجاج وفرسانه ، وحسبا انهما في مكان غير ذلك المكان ، بل خيل لهما ان اولئك الفرسان انما هم ملائكة من السماء جاءوا لحراستهما، خيل لهما ان اولئك الفرسان انما هم ملائكة من السماء جاءوا لحراستهما، في تلك الساعة التي تزيد قيمتها عندهما على قيمة الحياة كلها .

ويينما حسن وسسية سابحان في ملكوت المناجاة : يتشاكيان ما مر بكل منهما من أحداث الفراق سمعا طنين سهم مرسل في الفضاء ، ثم سمعا صوت ارتطامه بعمود الخباء من الخارج ، وكانت امة الله مشغولة ببعض الشؤون في طرف الخباء بالقرب من موقع السهم فلما سمعت صوت وقوعه أطلت من الخباء فلم تر غير الفرسان ، ثم رأت السهم يستقر في العمود ، فخفت الى مكانه وانتزعته فاذا في موضع الريش منه رق مقوي، فعادت به مسرعة الى حسن ففتحه فاذا هو كتاب من عبد الله خادمه يقول فيه : «اطلع عرفجة على مقركما فوشى بكما وأرسل الفرسان للقبسض عليكما فتجلدا والله مع الصابرين» ،

فاضطرب حسن وأيقن بوقوعهما في الخطر : ولم ير بدا من تهيئة كل اسباب الاطمئنان لسسة . وكانت قد قرأت الكتاب معه فامتقع لونه لما تسلكها الجزع فابتدرها قائلا : «لا بد لي من الذهاب الى الحجاج بنفسي ، فاني لا أظنه أرسل في طلبي الا معتقدا اني فررت من محبسي بالامس » •

فقطعت كلامه قائلة : «أنذهب الى الحجاج وأنت تدري ما يكون منه ؟ و أعوذ بالله من شر هذا الرجل و انه لا يعرف غير القتل وسفك الدماء ولا شك في ان نقمته عليك قد اشتدت بعد ان علم بأنك عندي هنا و يا ليتني مت قبل هذا و دعني أذهب بدلا عنك فأذهب فداء لك و فانى مقنولة على اي حال» و

فوضع يده على كتفها وقال: «لا ارى الامر يقتضي كل ذلك ، ولئن قتلت فما كنت انت سبب قتلي ، وعسى ألا أقتل ، وقد كنت استطيع الفرار بنفسي من بين أيدي هؤلاء الفرسان ، ولكني لا أريد النجاة وحدي ، وأخاف اذا خرجت معي ان تقعي بين أيدي احدهم فتلحقك

اهانة ، وهي عندي شر من القتل ، اما ذهابي الى الحجاج بنفسي فانسه أحفظ لشرفي وشرفك ، وما يأتي به القدر لا مناص منه ، هذا ابن الزبير كان الى صباح هذا اليوم يسمونه امير المؤمنين فقتلوه وصلبوه وحملوا رأسه الى المدينة ، وقد استقبل الموت باسما وأمه تشجعه على استقباله فلا توهني عزيمتي ، ولا تخوفيني لقاء الحجاج ، ولكن اذا قدر لسبي الموت فاذكري انني ذهبت شهيدا في سبيل هواك ، قال ذلك واختنق صوته ، فتساقطت دموعها على خديها تأثرا ، وكانت مطرقة فرفعت وجهها ومدت يدها الى جيبها وأخرجت لفافة السم وقالت : «ليطمئن قلبك فقد اعددت ما يلحقني بك اذا اصابك سوء ، وهب انك نجوت وأراد هذا الطالم ان يتخذني زوجة له بالفعل ، فان هذا السم كفيل بانقسساذي من ذلك » ،

فأعجب حسن باخلاصها له وأنفتها وقال : «الحق ان مثل عواطفك النبيلة هذه لا تكافأ بأقل من الروح ، ولكن عسى الله ان يأتي بالفرج»، ثم رفع يده عن كتفها وقال : «أمنودعك الله يا سمية وموعدنا غدا ان شاء الله» • قال ذلك وخرج ولم ينتظر جوابها لئلا تحاول ان شنيه عن عزمه بدموعها • فلما صار خارج الخباء صاح بأعلى صوته : «ايسن عربف هذه الكوكبة ؟»

فتقدم اليه فارس منهم وقال : «وماذا تريد منه ؟»

قال : «أريد ان يهديني الى فسطاط الامير لاذهب اليه» .

فقال : «لم يأذن لنا الأمير في الرجوع اليه ، وانما أمرنا ان نحرس هذا الخباء حتى يأتي هو ، ولعله آت الساعة» •

فأدرك حسن أن ذلك تدبير عرفجة ، وأنه أراد أن يرى الحجساج حسنا وسمية معا ليثير غيرته ، فاعتزم أن يحيط معاولته فقال : «ولكنني في حاجة إلى رؤية الامير الساعة» •

قال الفارس: «لا يمكنك الخروج من هذا المكان» •

فال: «لا بد من خروجي» • ثم هم بالعدو ليذهب توا الى خيمة الحجاج ويحاول احباط مكيدة عرفجة ، ولكن الفارس حذره قائلا: «خبر لك ان تمكث هنا» •

فقال: «واذا لم أمكث ؟»

قال : «اننا مأمورون بابقائك هنا حيا ريشا يجيء الامير» •

فأدرك حسن ان الحجاج انما اراد الابقاء عليه ليبحث التهمة التي وجهها الى عرفجة في شأن الكرسي ، فتجلد وقال : «اقول لكم لا بد من ذهابي الساعة الى الامير ، والا خذوني الى السجن أمكث فيه السسى الصباح» • قال ذلك ومشى فتجمهروا حوله ليمنعوه ، واذا بفارس أقبل من بعيد ووراءه بضعة فرسان ، فلما رآه حراس الخباء تهامسوا فيما بينهم ثم ترجلوا • ففهم حسن ان الحجاج وحاشيته هم القادمين • فوقف ينتظر ما يكون •

وكان الحجاج ما زال بثيابه التي حارب فيها ابن الزبير وقد غطته المدروع هو جواده وعليها بقع الدماء ، فلما أقبل قال للفرسان : «ماذا تفعلون هنا ؟»

فقال عريفهم : «نحرس هذا الخباء لنمنع من فيه من الخروج» • قال : «ومن أمركم بذلك ؟»

قال : «أمرنا به عرفجة باسم مولانا الامير» .

فأطرق الحجاج وقد ادرك الله عرفجة لا هم له الا الايقاع بحسن ولم يكن الحجاج يعلم بمجيء هذا الى خباء سمية ولا بما أمر به عرفجة ، وانما جاء الى خباء نسائه لانه تحلل من قسمه بعد مقتل ابن الزبير ، فلما علم بما أمر به عرفجة ، سأل العريف : «وهل حاول احد الخروج ؟» فقال العريف وهو يشير الى حسن : «وجدنا هذا الرجل خارجا ، وطلب

الذهاب الى الامير» •

ونظر الحجاج الى حسن ، فلما عرفه تحقق صحة ما اتهمه عرفجة به وعظم عليه ان يراه خارجا من خباء نسائه ، فهم بأن يقتله ولكنه تذكر التهمة التي وجهها الى عرفجة فرأى ان يصبر عليه الى الغد حتى يثبت التهمة على عرفجة ، ثم يقتلهما معا شر قتلة ،

وكان الحجاج مع عتوه وظلمه ذا دهاء وحكمة ، فكظم غيظه ريشما يتحقق الامر فقال : «خذوه الى السجن وموعدنا العد» .

فسر حسن لذلك التأجيل ، ومضى مع الحراس وهو يلتفت الى الوراء ليتحقق ابتعاد الحجاج عن خيمة سمية غيرة عليها منه وان كان زوجها .

### - 17 -

# محاكمة حسن وعرفجة

قضى حسن ليلته في السجن وعليه الحراس ، وفي الصباح ساقوه الى فسطاط الامير باكرا وقد امر الحجاج ألا يحضر المجلس احد غمسير عرفجة وحسن ، فدخل حسن ووقف وسط الفسطاط ، وظل عرفجمة جالسا بجانب الحجاج كأنه من خاصته وكان الحجاج اذا نظر الى حسن كاد يتميز غيظا ولكنه صبر نفسه حتى يثبت التهمة على عرفجة فقال له : «لقد كنت في السجن من قبل ، فكيف خرجت منه ؟»

قال حسن : «خرجت منه لامر اقتضى هذا الخروج ، ثم عدت اليه

ماائعا ولو انني اردت الفرار ما رجعت» .

فقطع عرفجة كلامه وقال ساخرا: «ذهبت لامر ضروري ؟• أما ذهبت الى عدونا وكنت في منزله طول ليل امس ، واذا كنت قد رجعت فذلك لكى تذهب الى الخباء • لا الى الحبس» •

فالتفت الحجاج الى عرفجة لفتة ظهر الفضب فيها وأدرك عرفجة منها تغير الحجاج عليه فأراد تخفيف غضبه فقال: «لا أجهل اني جاوزت الحد بتكلمي في حضرة الامير، ولكنني لم استطع الصبر على نفاق همذا الفلام وخداعه، فهو يوهمنا انه ليس من الاعداء ولا من الجواسيس، ثم يفر من السجن ليلا ويحمل اخبارنا الى عدونا، ويرجع بعد ذلك لكي يوهمنا انه رجع الى السجن بينما الامير قد رأى بنفسه لاي شيء رجع»، فأدرك الحجاج ان عرفجة يعرض بوجود حسن في الخباء ليثير غضبه عليه فيأمر بقتله توا قبل استكمال التحقيق، فصبر والتفت الى حسن وقال: «لا يهمنا السبب الذي خرجت لاجله الى ابن الزبير، فانك متهم عندنا في اي حال، وسنبحث امر دخولك خباء نسائنا فيما بعد، اما الان عندنا تهمت صديقنا عرفجة بالامس، ونريد ان نعلم ما حملك على هذا الاتهام، وأي دليل على صحته لديك ؟»

فأضطرب عرفجة لعودة الحجاج الى التحقيق في تهمته . وخاف عاقبة نملق الحجاج له بذكر الصدافة ولكنه تظاهر بالاستخفاف وجلس يصغي لما سيقوله حسن ، فقال هذا : «أما كونه خائنا لدولة بني أمية فأمر لا شك فيه . وقد رأيته بعيني واقفا بين يدي محمد بن الحنفية في الشعب، ومعه الكرسي الذي كان المختار بن ابي عبيد يسسبسسه كرسي علي ، ويستغله في الدعوة الى بيعة ابن الحنفية ، وقد سمعته يطلب من محمد امداده بالمال للخروج على بني أمية في العراق ، والدعوة الى بيعته لانه في زعمه اولى من بني أمية بهذا الامر» ،

وكان الحجاج مصغيا لما يسمعه وهو يتفرس في حسن ويراقب حركاته وسكناته فرجح انه صادق في دعواه • فقال له : «ثم ماذا ؟»

وال: «اما ابن الحنقية فاستخف بطلب عرفجة وردعه عن القيام بهذا الامر، ثم أمر باحراق الكرسي، فأحرق بين يديه، وأخرج عرفجة من عنده مهانا» .

ورأى عرفجة ان الحجاج أوشك ان يصدق دعوى حسن ضده ، فلم ير سبيلا الى دفع تلك التهسة الا بالخداع والمغالطة . فوفف ووجه خطابه الى الحجاج وقال : «اذا كان لكلام هذا الفلام أقل تأثير في نفس مولاي فليأمر بقتلي حالا ، ولكن هذا الفلام كاذب في كل ما ادعاه ، وقد اختلق هذه التهمة ليخفف بها ذنبه الذى لم يرتكبه احد قبله» •

فقال حسن : «اما ذنبي فلا انكره ، وسأبسطه لمولاي . وله ان يحكم بعد ذلك بما بشاء ، وأما انت ٠٠»

ففاطعه عرفجة فاصدا ان يشغل الحجاج عن ذنبه هو . وقال له «ان ذنبك لا يحتمل الانكار لانه ظاهر للعيان • وأما اتهامك اياي بالمروق من دعوة بني مروان فاختلاق محض لم نسمع بمنله • وأغرب ما فيه انك لم تستطع اقامة دليل عليه ، ويستحيل ذلك عليك» • قال ذلك وجلس وكأنه فاز على خصمه بالحجة والبرهان •

ولكن الحجاج لم يعبأ بذلك فالتفت الى حسن وقال : «لا تصح دعوى بلا بينة ، فما هي ببنتك على ما تقول ؟»

قال : «لقد كان الحديث بينه وبين ابن الحنفية سرا ولم يكن معهما ثالث » •

فصاح عرفجة: «أسمعت يا مولاي ؟ أرأيت تناقض اقوال المنافق الكذاب ؟ اذا كان ذلك الامر حدث سرا بين اثنين كما قال الان فصا الذي أطلعه على هذا السر ؟١٠ ان جهله ابى الا ان يوقعه في شر أعماله

لانه لم يحسن سبك أكذوبته» •

وشك الحجاج في صدق حسن فقال له: «لقد صدق عرفجة ، فانك زعمت انك عرفت ما دار بينهما وسردته على انك رأيت وسمعت ، فكيف تقول بعد هذا ان الحديث كان سرا بينهما ولم يكن معهما ثالث ؟»

فلما رأى حسن انخداع الحجاج بكلام عرفجة ، تجلد وقال : «نعم يا مولاي كان الكلام بينهما في فسطاط مقفل ، ولكنني سمعت ورأيت خلسة ! »

فقال عرفجة : «لقد بدا من تناقض أقوالك انك لم تسمع ولم تر ، ولملك تريد ان تستشهد بشريك لك في خداعك وكذبك ، ولكني لا أقبل الا شهادة محمد بن الحنفية نفسه ، فانك اعترفت بأنه وحده الذي سمع حديثي» •

فقال الحجاج : «هذا طلب عادل ، ما في ذلك شك» •

وهنا تذكر حسن انه ارسل بلالا الى ابن الحنفية ولا يدري ماذا كان من امره معه فقال: «ان الامير أدرى مني بما يحول دون الوصول الى مثل هذه التمهادة • لاننا اما ان نستقدم ابن الحنفية الى هنا ، واما ان نذهب اليه او نستكنبه ••»

فقطع عرفجة كلامه وقال: «لا أقبل الا شهادة ابن الحنفية نفسه» • فقال الحجاج: «ذلك شيء يسير ، وان ابن الحنفية مصدق عندنا وان لم يكن على دعوتنا» •

قال ذلك وتحرك عن وسادته كأنه يريد استئناف البحث ، ثم التفت الى حسن وقال : «بقي علينا النظر في تهستك ولكنها ليست تهمة نطلب الباتها وانما نحن نسألك عما دعاك الى هذه القحة ؟»

وكان حسن قد هم باخبار الحجاج انه ارسل من يأتي بشهادة ابن الحنفية ، فلما فاجأه بهذا السؤال ، اضطرب ولكنه تجلد وهم بأن يجيب فاعترضه عرفجة قائلا : «انا أروي لك الخبر كله يا مولاي ، فانه يخجل ان يرويه » •

فلم يعد حسن يصبر على نفاق عرفجة فرفع صوته وقال : «لمـــادًا أخجل ؟. أأخجل لاني انقذتك من الموت انت وأهل بيتك ؟. ام أخجل لانك خدعتني بوعدك ثم نكثت غير مرة ؟ • اني لم أعمل عملا اخجل من ذكره» • ثم وجه كلامه الى الحجاج وروى له باختصار قصته مع عرفجة منذ أنقذه في العراق • وكان الحجاج مصغيا الى الحديث باهتمام ؛ فلما بلغ حسن الى سعي عرفجة في قتله قاطعه هذا قائلا : «لقد سعيت في قتله يا مولاي لاني رأيت معه كتابا الى عبد الله بن الزبير الذي فر اليـــه بالامس . وقد ابلغت امره الى طارق بن عسرو عامل المدينة فعده جاسوسا، وأرسل من يقتله • اما اني وعدته بابنتي فان مولانا الامير خطبها بعد ذلك فكيف أرفض شرفا أولانيه الامير ؟. والعجب كل العجب انه بعد ان علم بأنها زفت الى الامير ما برح يرجو الحصول عليها • وبلغ من قحته انه جاء الى هذا المعسكر محاولًا اغراءها بالفرار معه • ولكن الله أوقعه في أيدينا وسجناه : ففر الى عدونا ليوقع بنا ، ثم اغتنم اشتغال الامير وجنده بالقتال وعاد الى حيث رآه الامير بنفسه خارجا من خباء سمية ، فاذا كان الامير يرى الصبر عليه حلما ، فاني لا صبر لي على مثل هذه الخيانة» • فوقع كلام عرفجة على قلب الحجاج وقوع النار على يابس العشب ؛ وثارن غَيرته فالتفت الى حسن وقال : «هل تنكر الله تحب سبية ؟» قال : «كلا» •

> قال : «تقول ذلك بين يدي وأنت تعلم انها من نسائمي ؟» فظل حسن ساكتا ، فقال اه الحجاج : «وهل هي تحبك ؟»

فأدرك حسن انه اذا صرح بحبها له جر عليها الموت كما جره علمي نفسه فأراد الرفق بها فقال: «لا أدرى ٠٠»

فقال عرفجة : «انها لا تحبه ، ولكنها فناة ساذجة استغل طيبة قلبها ليخدعها ، ولا شك في انها تفاخر كل نساء المدينة بسا نالته من الحظوة لدى امير جند عبد الملك وفاتح الحجاز وحامى ذمار بنى أمبة» .

فاستاء حسن من ذلك التدليس القبيح ولم يسعه الا توبيخ عرفجة فقال له بصوت ملؤه الرزانة والتعقل: «لا أنكر ان سسية نالت احسن ما تتمناه فتاة بزواجها من مولانا الامير، ولكنك يا عرفجة لم تزف ابنتك الى الامير الا رغبة في المال، ولو مهرك هذا المال زنجي لزففتها البه!»

فصاح عرفجة : «يا للقحة • أتقول ذلك في حضرة الامير وتذكير عروسه بين يديه على هذه الصورة ؟!» • ثم التفت الى الحجاج وقال : «لقد كفاك يا مولاي صبرا وحلما على من لا يستحق غير القتل والعذاب الاليسم » •

فالتفت حسن اليه وقال: «أتحرض الامير على قتلي يا عرفجة وانك لاكثر استحقاقا للقصاص ؟ • انك ملاق حتفك عاجلا جزاء خيانتك للدولة التي ندعي انك تدافع عنها • وأما انا فاذا قتلت فاني أذهب شهيد الامانة والحب الصحيح !»

فالتفت عرفجة الى الحجاج وقال: «أسمعت يا مولاي؟ انه ما زال يذكر الحب» •

فقال حسن: «وهل الحب عار ١٠ نعم اني احب سمية حبا شديدا ، كما اني أكره أباها كرها شديدا ، ولا أبالي ان أصرح بذلك ولا ان أقتل في سبيله ، اما انت فانك ستقتل لان شهادة ابن الحنفية آتية عما قليل ، وهي قاطعة بخيانتك للدولة ولامير المؤمنين» .

وحانت منه التفاتة الى باب الفسطاط ، فرأى بلالا قادما من بعيد وتمد

علاه الغبار • فخفق قلبه ، والتفت الى الحجاج وقال : «ارجو ان يأذن مولاي في ادخال هذا القادم ، فهو رسولي الى ابن الحنفية ، وعسى ان يكون قد عاد من عنده بكتاب يثبت صحة دعواي، •

فقال الحجاج : «وأي رسول ؟»

قال: «رسول كنت أنفذته الى ابن الحنفية في شعب على ليستكتبه شهادة بما دار بينه وبين عرفجة من حديث الكرسي و هذا الرسول كان معي يوم حريق الكرسي ، فليأمر مولاي بادخاله لنرى ما جاء به ، •

فنادى الحجاج · «يا غلام» • فدخل احد غلمانه فقال له : «نرى رجلا قادما برسالة فأدخله علينا» •

فعاد الغلام ومعه بلال و وأخرج هذا عقدة من القصب الغليظ سلمها الى الحجاج مختومة ، فقرأ الختم من الخارج فاذا هو ختم ابن الحنفية ، ثم أخرج من العقدة لفافة من الرق فتحها وقرأها وعرفجة جالس وقد بانت البغتة في وجهه ورقصت لحيته على صدره ، ولكنه عمد السبى الاستخفاف والمغالطة فصار ينظر الى الحجاج ويبتسم كأنه واثق بأن الكتاب يتضمن براءنه ، فلما فرغ الحجاج من قراءة الكتاب التفت الى نجة وقال له : «لقد صح الصحيح ولم يبق مجال للمكر والخديعة ، وهذا خط محمد بن الحنفية وختمه يثبتان صحة ما اتهمك بههذا الشاب»، فهم عرفجة بأن يتكلم ، ولكن الحجاج انتهره وقال : «لا تتكلم ولا «الي بالجلاد» ، فخرج وعاد برجل عليه قميص من جلد وعلى رأسه عمامة مستطيلة وييده سيف حاد ، فأشار الحجاج بسبابته الى عرفجة وحسن وقال للجلاد : «ائتني برأسيهما» ، فصاح عرفجة : «كيف تأمر بقتلي ولم تنحقق تهمتي ؟ ، ان هذه الرسالة مزورة» ، وأخذ في الصياح حتى سمع صوته كل من في المعسكر فغضب الحجاج وصاح في الجلاد :

«هات رأس هذا اولا» • وأشار الى عرفجة •

فجره الجلاد حتى أركعه في الفناء ونزع عمامته عن رأسه ، فأخذ يلتفت الى الحجاج وهذا معرض عنه ، ولم يكن الا كلمح البصر حتى طار رأسه من بين كتفيه والناس ينظرون •

ووقف الجلاد بين يدي الحجاج وسيفه يقطر من دماء عرفجة ، فأشار الحجاج الى حسن وقال للجلاد: «وهذا ايضا» •

فأمسك الجلاد بطوق حسن وأراد جره الى الخارج • فقال حسن للحجاج : «أتقتلني بعد ان رأيت صدفي واخلاصي ؟»

فصاح فيه الحجاج صيحة الغضب وقد احمرت عيناه وتجلى الغدر فيهما وقال: «أتسألني لم أقتلك وأنت مستحق الصلب منذ ايام ١٠ انها صبرت عليك حنى تحققت خيانة دلك الغادر» •

فقال حسن: «اذا لم يكن بد من قتلي فافتلوني داخل هده الخيمة وليس على مشهد من الناس» •

فقال الحجاج: «أتشترط علينا؟» • ثم التفت الى الجلاد وصرخ فيه قائلا: «اقتله يا جلاد والا قتلتك!»

فعاد الجلاد الى حسن وهم بجذبه ، فقال حسن : «لا تجذبني هكذا فما انا بخائف من المون ، رغم اني واثق ببراءتي» ، قال ذلك ومشى نحو الباب ،

وفيما هما يهمان بالخروج ، علا صوت قعقعة وسمع الحاضرون معها قائلا يقول : «البريد ٠٠ البريد ٠٠ بريد المير المؤمنين» ٠

وكانت عادة الولاة اذا جاء البريد ألا يمنعوه او يؤخروه لحظة واحدة فلما سمع الحجاج بوصوله صاح قائلا : «ادخلوه» •

ولم يتم كلامه حتى دخل عليه رجل كهل قد أنهكه التعب وتعفرت نيابه ، فترامى عند قدميه وسلم اليه كتابا مختوما . وكان حسن مشغولا

بنفسه عن كل تلك المشاهد ولكن عينه ما كادن نقع على ذلك الكهل حتى بغت اذ عرف انه صديقه ابو سلبمان ، وتذكر انه كان قد ارسله الى خالد بن بزيد في الشام ليأتي منه بكتاب في شأن رملة الى ابن الزبير ، فهم باستئذان الحجاج في كلمة يقولها لذلك الرجل قبل قتله ، ليكلفه ابلاغ خالد رضاء ابن الزبير وان رملة في انتظاره لتزف اليه فيكون قد أتم مهسته قبل موته ،

ورفع حسن وجهه الى الحجاج فرآه تناول الكتاب ونظر الى خاتم الخلافة على ظاهره ، ثم قبله ووقف تعظيما للخلافة ، ثم نظر الى الرجل الذي حمله وقال له بعد ان تفرس فيه : «من ابن نك هذا الكتاب؟ • أأنت من عمال البريد؟»

فقال ابو سليمان : «لست منهم يا مولاي . ولكنهم حملوني على دواب البريد تعجيلا بابلاغ هذه الرسالة» • قال ذلك وهو يلهث وصوته يمقطع ويتلجلج من التعب والخوف •

ففض الحجاج خاتم الكتاب وفنحه ، وجعل يعيد قراءت ويناءب ويحك شفتيه باصبعه ويعبث بشعر لحيته وفد ظهر التأثر في عينيه ، ثم اخذ ينظر الى حسن ويتفرس فيه ثم يعود الى قراءة الكتاب ويتأمل في ختمه ويقلبه بين يديه ، كل هذا وأبو سليمان ما زال مستلقيا عند قدميه وهو يلهت من التعب وينظر الى وجه حسن كأنه لم يعرفه وحسن ينظر في وجهه ، وكلهم سكون ينظرون ما يبدو من الحجاج بعد تلاوة ذلك الكتاب ،

وأخيرا ، اشار الحجاج الى الجلاد بالانصراف فانصرف ، ثم صرف بقية الحاضرين ولم يبق في الخيمة الاهو وحسن وأبو سليمان • فالتفت الى حسن وقال : «هذا كتاب من امير المؤمنين جاءني بما كنت تبغيه انت ووالله لولا حرمة الخليفة لم يكن في الارض من ينجيك من القتل» •

فلما سمع حسن ذلك ابرقت أسرته ولكنه لم يطمئن تماما لانه لم يفهم فحوى هذا الكتاب ، فأطرق وظل ساكتا .

«من امبر المؤمنين عبد الملك بن مروان ، الى الحجاج بن بوسف امير جندنا في الحجاز ، أما بعد فقد بلغني انك خطبت ابنة عرفجة المنافق ، وهي مخطوبة لحسن : فأخذتها وحرمته منها ، والرجل ينتمي الينا وتهمنا رعايته ، فاذا اتاك كتابي فاحمل الفتاة الى خطيبها ، وأمهره بما يقوم بالنفقة ، ووالله لرجوعك عن الحجاز ولم تفتحه أهون علي من ارتكابك هذا الامر مع رجل من صنائعنا وخاصتنا ، وثقتي انك فاعل ما اقول والسلام » ،

فسا فرغ الكاتب من تلاوة الكتاب حتى رقص فلب حسن طربا ، وخيل اليه انه في حلم ، فجعل ينظر الى ما حوله ليتحقق انه في يقظة ، ثم مسع الحجاج يقول له : «لم تتل الكتاب عليك الا لتعلم اننا مسسا تجاوزنا عنك الا عملا بأمر امير المؤمنين» و والتفت الى غلامه وقال : «أعطه الله دينار و وسمية طالق منذ الان وو فامض الى خباء النسساء وأنبئها بذلك ، لتخرج معه من هذا المسكر قبل غروب اليوم» و قال ذلك ووقف ، فخرج حسن والفلام ، وكان ابو سليمان قد استراح ووقف مع الواقفين ، فلما خرجوا خرج معهم وهو يهم بأن يخاطب حسنا وحسن يهم بأن يخاطب حسنا وحسن يهم بأن يخاطب حسنا وحسن

وقبل ان يتكامل خروجهم ، رأوا فارسا يسوق جواده نحو فسطاط الحجاج والبغتة ظاهرة في وجهه فلما وصل ترجل ودخل دون ان يستأذن وقال : «ان مصيبة حلت في خباء النساء» •

فاما سمع حسن الصوت علم انه صوت عريف الحرس ، وخفق قلبه خشية ان تكون المصيبة حلت بسمية • ثم ما لبث ان سمع العريف يقول: «ان مولاننا سمية سقطت لا حراك بها كأنها تجرعت سما او اصابهـــا الموت بغتة ! »

فأحس حسن كأن جبلا سقط على رأسه ، وكاد يفقد رشده وشعل عما كان فيه من سؤال ابي سليمان عن الطريقة التي حصل بها على ذلــــك الكتاب ، ثم لم يسعه الا ان يعدو نحو خباء سمية . ولم يكن ابـــو سليمان أفل بغتة منه . اذ جاء ذلك الخبر صدمة قوية اطارت صوابه ، فسار في أثر حسن الى الخباء ، وسار في أثرهما بلال وعلام الحجاج . وكانت سبية قد سمعت ما داريين الحجاج وفرسانه امام خبائها ، كما سمعته وهو يأمرهم بأخذ حسن الى السجن الى الصباح ، وأيقنت ان الحجاج قاتله لا محالة • ولكنها تعللت بالآمال البعيدة وصيرت حتسى ىرى ما يكون في الغد ، ففضت ليلتها تفكر في مصير حسن ، وأصبحت وقد أعدت السم وجلست وراء الخباء ، تستطلع أنباء المحاكمة مسن الحراس ، فلما جاءها احدهم بسقتل ابيها وأخذ حسن لقتله أظلست الدنيا في عينيها . وكانت امة الله قد يئست من تخفيف المصيبة عليها ولم تعد تستطيع مخاطبتها فتركتها وشأنها ، وبعد قليل جاءها احد الحراس بنبأ فتل حسن داخل خيمة الحجاج ، فسارعت الى السم وابتلعته مرة واحدة ثم وقعت مغشيا عليها • فصاحت امة الله وواولت ، وأخبرت الحراس ان مولاتها تجرعت السم فأسرع احدهم على جواده بالنبأ الى الحجاج . وظل حسن يعدو نحو الخباء ، وهو لا يكاد يرى طريقه ، ولا يبالي ما يعترضه من الاحجار او الاوتاد حتى أشرف على الخباء فصاح وهو لا يعي ما يقول: «سمية ٠٠ سمية ٠٠ انا حي يا سمية» ٠

وَلَمَا وَصُلُ الْيُ الْخَبَاءُ ارَادُ الْفُرْسَانُ مُنْعَهُ ، ثُمَّ تَرْكُوهُ بِعَدُ انْ اخْبَرَهُم

الفلام بأمر الحجاج فأطل من الباب فرأى سمية مستلقبة وحولها نسوة يبكين . وكأنها جثة بلا روح وقد اطبقت عيناها وامتقع لونها وانحل شمرها وابيضت شفتاها فلم يتمالك ان اندفع نحوها وفي يده خجره فتفرقت النساء عنها ، ثم اخذ يجس يدها ويقول : «حبيبني ٥٠ روحي٠٠ منيتي ٥٠ ماذا اصابك ؟٠! نجرعت السم يأسا من حياتي ؟٠ اني حي يا سمية ٥٠ سية انا ان تحيي مثلي او اموت مثلك ١»

ولما ايقن بموتها ، هم بأن يطعن نفسه بالخنجر ، ولكنه شعر بيسد المسكت به وسسع صوتا يناديه : «تسهل يا حسن : ان سسية حية لا بأس عليها» ، فالتفت فرأى ليلى الاخيلية وبيدها كوب ماء جاءت لترش سسيه به ، فقال لها : «ماذا تقولين ؟ ، كيف تحيا سمية وقد تجرعت السم ؟! • انه كاف لقتل أشد الرجال !»

فقالت ليلى : «ان الذي تجرعته ليس سبا فلا تخف!»

فوقف ذاهلا ثم قال لليلى: «لا تعلليني بالاوهام ، ان سببه قد مانت ولا بد لي من ان اموت لانها ماتت لاجلي» •

قال ذَّلكُ ورفع يده بالخنجر فصاحت فيه ليلى : «تسهل يا حسس. ان سمية حية ولم نتجرع السم ولكنها في غيبوبة» •

قالت ذلك وتناولت بعض الماء بيدها ورشتها به فحركن رأسها ثم حركت شفتيها وقالت : «حسن ٥٠ حسن ٥٠ قتاوك قنلهم الله ١٠ انسبي ذاهبة اليك» ٠

فلما سمع صوتها جثا عند رأسها باكيا وقال لها: «سسية ١٠ انت حية يا حبيبتي ١٠٠ انظري الي ١٠ انا حسن ١٠ انا حي يا حبيبتي وقد انقذني الله ١٠٠ افتحى عينيك يا سمية» ٠

ففتحت عينيها فلما رأته قالت : «ما هذه الأحلام ؟ • حسن ؟ • أين نحن يا حسن ؟ »

فأجابها : «نعم انا حسن يا سمية» .

فجلست وألقت نفسها عليه وأخذت في البكاء ، فقال لها : «لا نبكي يا سمية اننى في خير» •

فقالت له ليلى : «دعها تبكي لتنفس كربتها وتصحو من سكرتها» • نسكت وبرك سبية تبكي وتشهق ، ثم رآها ترفع رأسها وتنظر الى وجهه وتنبيح : «حسن حبيبي • • هل انا في يقظة ام في منام ؟»

فأجلسها بجانبه وهو يقول لها : «انظري يا سمية ، ها أنذا حي ، وهذه صديقتنا ليلي ، ان اسباب تعاستنا فد زالت والحمد لله» .

فقطعت كلامه فائلة: «والحجاج ؛ الحجاج ؛» • وعادت الى البكاء • فقال لها: «لقد جاء أمر الخليفة بأن يطلقك ، ويردك الى خطيبك ، وسيخرج اليوم من هدا المعسكر» • فحدقت بنظرها فيه كأنها تنحقق ما يفول ، فأقسم لها بحبها انه ما فال الا الحق •

سكن روع سمية بعد ان اطمأنت الى نجاتها ونجاة حسن ؛ ثم التفتت الى من حولها فرأت امة الله جاريتها ، وليلى الاخيلية ، وهند زوجـــه الحجاج ، ففالت : «ان السم تأخر فعله ، أليس كذلك ؟»

فقالت ليلى: «انك لم تنجرعي الا دقيق الذرة • وأما السم الذي ظنت انك تجرعته فهو معي» • قالت ذلك وأخرجت من جبها ورقسة فتحتها وفيها السم وقالت: «ألا تذكرين اللبلة التي بت فيها عندك ؟ • انني غافلتك وأبدلت بالسم دقيق الذرة ، لاني خفت ان تعجلي بتجرعه دون ما يدعو الى ذلك ، فالحمد لله على نجاتك» •

فهمت سمية بليلى وقبلتها وقالت : «جزاك الله خيرا» • وكذلك شكرها حسن ثم قص عليهم ما دار بينه وبين الحجاج حتى اتى على ذكر ابي سليمان وكيف جاء في ابان الضيق فكان السبب في نجاته من المون،

كما كانت ليلى سببا في نجاة سمية منه • وكان ابو سليمان واقفا خارج الخباء فناداه حسن فدخل وهو يقول : «هل يدخل عبد الله ؟»

قال حسن: «اي عبد الله ؟»

قال : «خادمك» .

قال : «فليدخل ، اني أعده صديقي» ،

ثم دخل عبد الله وهو يقول: «لا تظن اني تخلفت عن خدمة مولاي، ولكنني اصبحت بعد اخراجك من السجن موضع غضب عرفجة ، فلم اعد استطيع الظهور وبقيت متخفيا أتنسم الاخبار ، فلما تحققت نجاتك جئت لاكون في خدمتك» .

وكانت سمية قد صحت ونحققت انها فازت بحبيبها وانها نجت من ابيها فثبتت بصرها في حسن ، وثبت هو بصره فيها ، واكتفيا بتفاهمهم اللواحظ ، ثم قال لها : «الى ابن تودين الذهاب ، وأبن نقيم ؟»

فأجابه ابو سليمان على الفور : «تقيمان عندنا بالمدينة» .

فقال حسن : «لقد أذكرتني امر رملة . هل اتيت بالكتاب من خالد الى ابن الزبير . وكيف حصلت على هذا الامر من عبد الملك ؟»

فقص ابو سليمان قصة سعيه في ذلك الامر على يد خالد ثم قال : «وأما ابن الزبير فقد جئته بالكتاب ولكنه واأسفاه عليه قتل ولا ندري ما تم بأهله» .

فقال: «اهله في مأمن بمكة ، وقد صرح لهم قبل موته بقبوله مصاهرة خالد ، وبعد عودتنا الى المدينة سأبعث عبد الله الى خالد بالخبر ليبعث من يحمل رملة اليه» .

ثم التفت الى ليلى وقال لها : «لن انسى لك جميلك ما حييت ؛ ويكفي انك كنت سببا لبقاء سمية كما كان العم سليمان سببا لبقائي» .

فقالت ليلى: «لا فضل لي في ذلك وقد فعلته لاني جربت هذا العناء وعرفت شقاء المحبين وجهادهم ، ولا اظن احدا من هؤلاء ادرك مسسن حالكما ما ادركته » • قالت ذلك وشرقت بريقها •

فأدرك حسن انها تشير الى قصتها مع توبة ، فشكر الله وسكت حتى لا يثير عواطفها .

ثم وقف ابو سليمان وقال : «كل ذلك بتدبير العزيز الخكيم ؛ وكل شيء يجري بقضاء من الله سبحانه وتعالى • هلم بنا الان نستعمم للرحيل » •

فلما تحققت سمية قرب سفرها التفتت الى هند بنت النعمان زوجة الحجاج وقالت : «ارجو ان بوفقك الله الى سبيل تنجين به كسسسا نجوت انا » •

فنلألأت الدموع في عيني هند ولم تجب ٠

\* \* \*

وفي أصيل ذلك اليوم شدوا الرحال وساروا جميعا فاصدين المدينه، ما عدا ليلى فانها التمست وجهة اخرى ، ولما وصلوا ساروا توا الى بيت عرفيجة وقد اصبح بما فيه ارثا شرعيا لسمية ، وكذلك كل ما كان بملكه، وفي يوم وصولهم جاء سليمان لاستقبالهم وقد سر بنجاح مهمتهم ، واحتفلوا بزفاف سمية الى حسن احتفالا شهدته سكينة بنت الحسين وكثير من سكان المدينة ، وأكثرهم كانوا يكرهون عرفجة ، وغنى ليلتها طويس ، كما غنت عزة الميلاء ، وأجاد أشعب الطماع في المجون حتى

كادت تتمزق خواصر الناس من الضحك • وبعد انتهاء العرس ســــــار عبد الله الى خالد في دمشق ومعه كتاب من حسن بتفصيل ما حدث في شأن رملة وقبول عبد الله بن الزبير خطبته لها فجاء خالد وتزوج رملة كما هو مدون في التاريخ •



# سُلْسُلُم رُولِكُ مَا رَحُ لِلْسِلْكِ مِنْ الْسُلْكِ الْسُلْلِلْلِلْلِلْلْلْلِلْلِلْلْلِلْلِلْلْلِلْلِلْلْلِلْلِلْلِ

يَّن فريخانة	1 = 1 ×	فتاةغسّان	•
یں فرجہ ہے۔ . بن طولون		أرمَانوسَة المصرّبة	
الرحئ الناص		عَذراء قرَيش	
ة القيرَوَان	10 فتا	۱۷ مکضشیان	-2
ح الدين الأيوبي	17 _ صَلا	غادة كرتبلاء	_0
جَرَهِ الدِّرّ	۱۷ ۔ ش	اكحَجّاج بن يوسف	-7
والبالعثماني	٨١ _ الان	فتحالأندلس	-1
يرالمتهدي	ا 19 اسـ	شاك وعبدالومئن	-1
لوكالشارد	LH _Y.	أبومسام المغرساني	-9
بداد الماليك	۲۱ است	العبّاسة أخت الوشيد	_1.
ياد المحتبين	-YY	الأمين والمأمون	